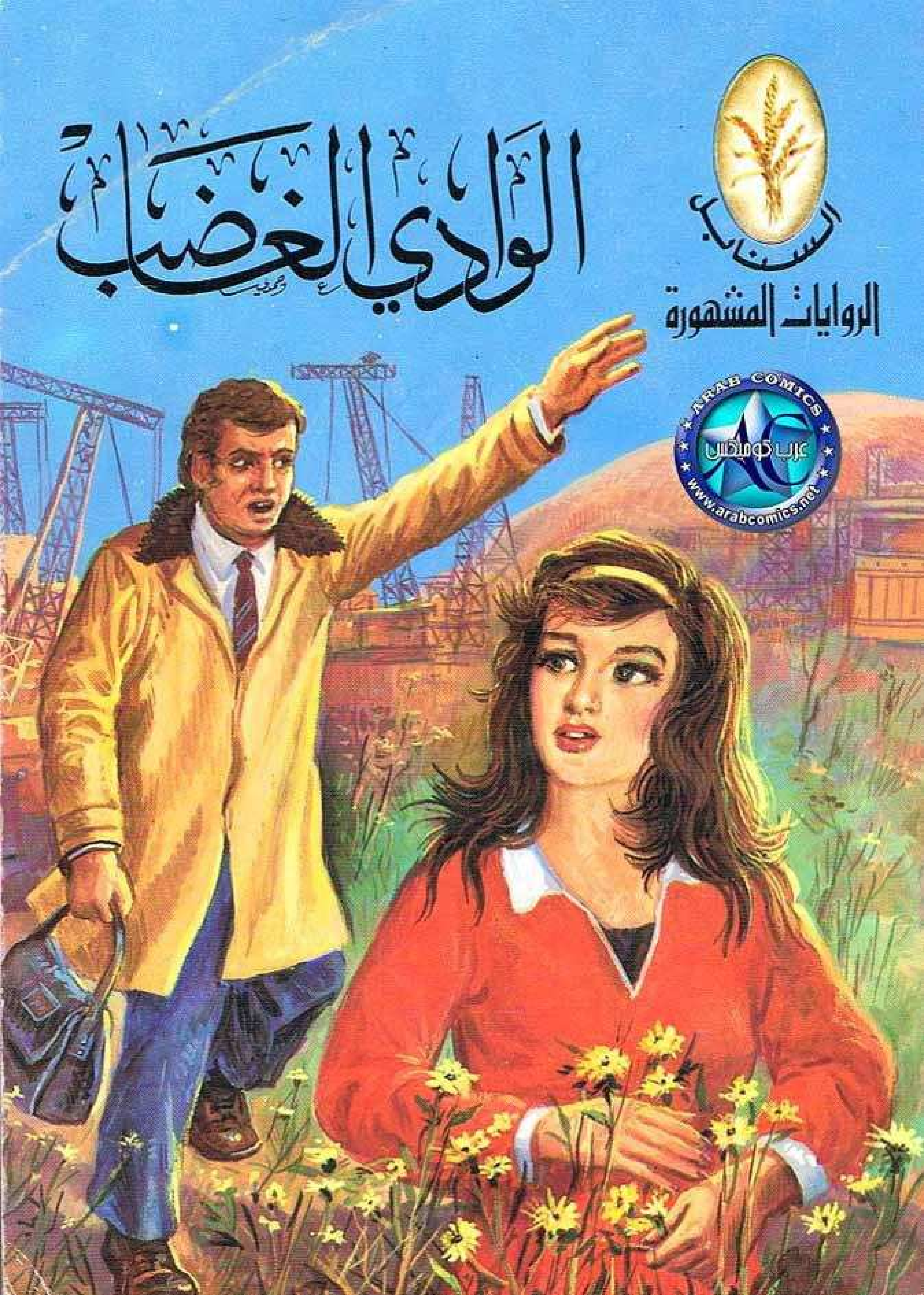

السنابل
الوادي الغاضب
الروايات المشهورة
ARAB COMICS
عرب كوميكس
www.arabcomics.net



رئيس التحرير : وجدي رزق غالي

١٠ أ شارع حسين واصف ، ميدان المساحة ، الدقي – الجيزة ، مصر

الطبعة الأولى ١٩٩٠

رقم الإيداع : ١٩٩٠ / ٨٣٧٤

الترقيم الدولي : ISBN ٩٧٧ – ١٦ – ٠٠٠٩ – ٥

طبع بمطابع دار العالم العربي





تأليف : نايغيل غريمشو

أعدها بالعربية : إسماعيل أبو العزايم

رسوم : محمد قطب

مكتبة لبنان

بيروت

الفَصْلُ الأَوَّلُ

أَوْقَفَ فريزْبي سيّارَتَهُ وَ فَتَحَ نافِذَتَها ، وَكانَ المَطَرُ يَنْهَمِرُ على الوادي ، وَ نَظَرَ إلى المَشْروعِ الَّذي كانَ قَريباً مِنْهُ ، وَقالَ لِصاحِبِهِ وَ هُوَ يُشيرُ إلَيْهِ : « أُنْظُرْ إلَيْهِ ، أَ لا يُغْضِبُكَ مَنْظَرُهُ ؟ »

رَدَّ عَلَيْهِ صاحِبُهُ المُسْتَشارُ جُونْز قائِلاً : « وَلكِنْ لَيْسَ في وُسْعِنا أنْ نَفْعَلَ شَيْئاً الآنَ ، أَ لَيْسَ كذلِكَ ؟ »

قالَ فريزْبي : « يُمْكِنُنا أنْ نُحاوِلَ ، أَيُّها المُسْتَشارُ . إنَّهُمْ لَمْ يَكْسِبوا المَعْرَكَةَ بَعْدُ . »

قالَ جُونْز : « سَوْفَ تُقامُ مَبانٍ أُخْرى بَعْدَ هذا المَشْروعِ . سَوْفَ تُقامُ المَصانِعُ هُنا في هذا المَكانِ . »

رَدَّ فريزْبي : « نَعَمْ ، سَتُقامُ المَصانِعُ هُنا وَ في المَدينَةِ أَيْضاً . وَ سَوْفَ يَأْتونَ إلى تريبورْن بِكُلِّ أَصْنافِ النّاسِ الغُرَباءِ . لَقَدْ قُلْتُ هذا مِنْ قَبْلُ ، وَأَقولُهُ اليَوْمَ ، إنَّ هذا المَشْروعَ لَنْ يَعودَ عَلَيْنا جَميعاً إلا بِالضَّرَرِ . »



وافَقَهُ جُونْز قائِلاً بِحُزْنٍ : « سَوْفَ يَكونُ ضَرَرُهُ بَليغاً ! »

قالَ فريزْبي : « إنَّها الطّاقَةُ الذَّرِّيَّةُ . وَ لَيْسَ مِنْ شَكٍّ أنَّ مَخاطِرَها عَديدَةٌ وَجَسيمَةٌ . وَ نَحْنُ لا نَعْرِفُ عَنْها القَدْرَ الكافِي مِنَ المَعْلوماتِ ، وَهذا ما يُخيفُني . »

قالَ جُونْز : « وَ يُخيفُني أنا أَيْضاً . »

كانا على الطَّريقِ الَّذي يَعْلو المَشْروعَ ، وَكانَتِ التِّلالُ تُحيطُ بِهِما مِنْ كُلِّ جانِبٍ ، موحِشَةً بارِدَةً ، كَما بَدَتِ السَّماءُ الرَّمادِيَّةُ موحِشَةً هِيَ الأُخْرى ، وَأَطْبَقَتْ سُحُبُها على التِّلالِ . أَمّا مَدينَةُ

تريورْن فَقَدْ كانَتْ واقِعَةً في الوادي وَراءَ تِلْكَ التِّلالِ .

قالَ جُونْز : « أنا لا أفْهَمُ أولَئِكَ العُلَماءَ . »

قالَ فريزْبي غاضِباً : « أيُّ عُلَماءَ ؟ أنا لا أريدُ أنْ أفْهَمَهُمْ ! هَيّا بِنا ، أريدُ أنْ أتناوَلَ طَعامَ الغَداءِ . لِنَعُدْ إلى تريورْن . »

كانَ الرِّجالُ عائِدينَ لِنَوْبَةِ العَمَلِ في المَشْروعِ بَعْدَ ظُهْرِ ذلِكَ اليَوْمِ المَطيرِ . وَكانَتْ مَجْموعَةٌ مِنْهُم تَنْتَعِلُ أحْذِيَةً ذَواتِ رَقَبَةٍ طَويلَةٍ تَسيرُ عَبْرَ المَبْنى الرَّئيسِيِّ ، حَيْثُ كانَتْ هيلين لانْسنْغ واقِفَةً بِالبابِ إلى جِوارِ فِرِد لودْج ، وَكانَتْ هِيَ أيْضاً تَنْتَعِلُ حِذاءً ذا رَقَبَةٍ .

نَظَرَ لودْج إلى حِذائِها وَقالَ : « أنْتِ في حاجَةٍ إلى هذا الحِذاءِ هُنا ، يا آنِسَةُ هيلين . »

قالَتْ : « نَعَمْ يا فرِد ، فَالمَكانُ موحِلٌ ، أ لَيْسَ كذلِكَ ؟ »

نَظَرَ إلى الأرْضِ المُحيطَةِ وَقالَ : « إنَّ المَكانَ مُوحِلٌ وَسَوْفَ يَزْدادُ وَحْلاً . كَمْ أتَمَنّى أنْ يَنْتَهِيَ كُلُّ شَيْءٍ . »

وَأشارَتْ إلى الرَّسْمِ التَخْطيطِيِّ لِلْمَشْروعِ الّذي كانَ مُعَلَّقاً على الحائِطِ ، وَقالَتْ : « لِيُصْبِحَ على هذا النَّحْوِ ؟ »

« نَعَمْ . »

كانَ الرَّسْمُ يُبَيِّنُ المُفاعِلَ الذَّرِّيَّ ، وَبِجانِبِهِ بُرْجانِ مُتَّصِلانِ بِهِ ، أمّا داخِلَ المُفاعِلِ فَقَدْ كانوا يَشْطُرونَ الذَّرَّةَ ، فَتَنْجُمُ عَنْ ذلِكَ حَرارَةٌ يَسْتَخْدِمونَها في تَسْخينِ الغازِ وَتَحْويلِ الماءِ إلى بُخارٍ لِيَسْتَخْدِموهُ في إدارَةِ آلاتٍ يُسَمّونَها تُورْبينات ، وَ هِيَ آلاتٌ تُوَلِّدُ الكَهْرَباءَ .

قالَ : « في الحَقيقَةِ ، أنا لا أفْهَمُ ما يَحْدُثُ ؛ فَأنا لَسْتُ إلا رَجُلاً عادِيًّا يَرْعى هذا المَبْنى ، وَهُوَ مَبْنًى جَميلٌ وَ نَظيفٌ وَ خالٍ مِنَ الوَحْلِ . » وَنَظَرَ إلى المَطَرِ وَقالَ : « كَما أنَّهُ جافٌّ . »

مَضَتْ مَجْموعَةُ العُمّالِ إلى سَبيلِها ، وَجاءَ رَجُلٌ رَبْعَةٌ خَشِنُ المَلامِحِ يَلْبَسُ مِعْطَفاً ثَقيلاً ، وَيَضَعُ عَلى رَأسِهِ خُوْذَةً مَعْدِنِيَّةً بَيْضاءَ . وَصاحَ بِهِ لودْج : « مَرْحَبًا يا غلين ! هَلْ أتَيْتَ لِلْعَمَلِ ؟ »

تَوَقَّفَ غلين أوين وَنَظَرَ إلَيْهِ ، ثُمَّ سَألَهُ بِخُشونَةٍ : « ماذا تَعْرِفُ عَنِ العَمَلِ ؟! إنَّكَ تَجْلِسُ في غُرْفَةٍ جَميلَةٍ دافِئَةٍ طَوالَ النَّهارِ . هَلْ تَتَحَدَّثُ عَنِ العَمَلِ ؟ يَنْبَغي أنْ تُحاوِلَ القِيامَ بِعَمَلِنا هذا ذاتَ مَرَّةٍ . »

قالَ لَهُ لودْج : « لَقَدْ كُنْتُ أحاوِلُ أنْ أتَوَدَّدَ إلَيْكَ . »

رَدَّ عَلَيْهِ أوين قائلاً : « أخْرُجْ إلى هذا الطَّقْسِ وَ لَنْ تُحِسَّ بَعْدَ

ذلِكَ بِمَشاعِرِ المَوَدَّةِ .» ثُمَّ مَضى في طَريقِهِ .

قالَتْ هيلين : « إنَّهُ عادَةً ما يَكونُ لَطيفاً . ماذا أَلَمَّ بِهِ ؟»

قالَ لَها لودْج : « لَقَدْ تَغَيَّرَ كَثيراً . إنَّهُ مَسْئولٌ عَنِ العَمَلِ هُناكَ ، وَلَمْ تَكُنِ الأُمورُ عَلى ما يُرامُ . إنَّ أَمْرَهُ غَريبٌ ! وَكانَ يَنْبَغي أَنْ يَكونَ سَعيداً لِقيامِهِ بِهذا العَمَلِ ، وَلكِنَّهُ لَيْسَ كَذلِكَ فيما يَبْدو . لَقَدْ مَرَّ بِأَوْقاتٍ صَعْبَةٍ .»

قالَتْ هيلين : « رُبَّما كانَ يُعاني مِنْ بَعْضِ المَتاعِبِ العائِلِيَّةِ . هَلْ هُوَ مُتَزَوِّجٌ ؟»

« نَعَمْ . وَ لكِنْ لَيْسَتْ لَدَيْهِ مَتاعِبُ مِنْ هذا القَبيلِ . إنَّ زَوْجَتَهُ رَقيقَةٌ وَ لَدَيْهِ ثَلاثَةُ أَطْفالٍ لُطَفاءَ . وَ لكِنْ مَرَّتْ بِهِ بَعْضُ المَتاعِبِ ، فَقَدْ ظَلَّ فَتْرَةً دونَ عَمَلٍ مِمّا جَعَلَهُ يُفَكِّرُ في مُغادَرَةِ الوادي ، وَأَخَذَ النّاسُ يَتَحَدَّثونَ عَنْ ذلِكَ ، ثُمَّ حَصَلَ عَلى عَمَلٍ هُنا ، وَهُوَ يَتَقاضى مُرَتَّباً مُجْزِياً . وَكانَ يَنْبَغي أَنْ يَكونَ مَسْروراً ، وَلكِنَّ الغَريبَ أَنَّهُ لَيْسَ كَذلِكَ . إنَّهُ رَجُلٌ غَريبٌ في تَصَرُّفاتِهِ ، سَريعُ الغَضَبِ !»

قالَتْ : « رُبَّما كانَ الجَوُّ هُوَ السَّبَبَ ، إنَّهُ جَوٌّ فَظيعٌ حَقًّا .»

قالَ لودْج : « إنَّهُ لا يُحِبُّ رَئيسَكِ .»

سَأَلَتْهُ : « رَئيسي أَنا ؟ السَّيِّدُ وُرْد – تُوماس ؟ إنَّ بَعْضَ النّاسِ لا يُحِبّونَهُ .»

قالَ : « لا ، بَلِ السَّيِّدُ مُورْغان .»

سَأَلَتْهُ في دَهْشَةٍ : « داڤيد مُورْغان ؟! لِماذا ؟ إنَّ مُعْظَمَ النّاسِ يُحِبّونَهُ .»

قالَ لودْج : « لَقَدْ كانا مَعاً بِالمَدْرَسَةِ هُنا في تريورْن . وَقَدْ أَصْبَحَ مُورْغان عالِماً مَشْهوراً الآنَ ، أَمّا أُوين فَلَيْسَتْ لَهُ أَيَّةُ أَهَمِّيَّةٍ . رُبَّما كانَ هذا هُوَ السَّبَبَ .»

قالَتْ : « إذا كانَ هذا شُعورَهُ فَلَنْ يُحِسَّ بِالسَّعادَةِ . يا لَهُ مِنْ مِسْكينٍ !»

قالَ لودْج : « هذا غَباءٌ ! إنَّهُ هُوَ الَّذي يَصوغُ حَياتَهُ ، فَإذا جَعَلَها تَعيسَةً ، فَهُوَ غَباءٌ مِنْهُ .»

قالَتْ : « رُبَّما كانَ الأَمْرُ كَذلِكَ . لَقَدِ اشْتَدَّ سُقوطُ المَطَرِ الآنَ ، وَأَنا بِالتَّأْكيدِ في حاجَةٍ إلى حِذائي ذي الرَّقَبَةِ لأَخوضَ بِهِ في الطّينِ . عَلَيَّ أَنْ أَذْهَبَ . إلى اللِّقاءِ يا فرِد .» وَ ابْتَسَمَتْ لَهُ ، ثُمَّ خَرَجَتْ مِنَ

الباب الرّئيسيّ للمبنى ، و بدأت تجري تحت المطر . وظلّ يراقبها و هي تبتعد ، وعندما استدار ليذهب إلى مكتبه ابتسم وقال لنفسه : « إنّها فتاة لطيفة .»

كان المطر لا يزال يسقط بغزارة بعد ظهر ذلك اليوم . وعندما دخلت هيلين مكتب مورغان ، وكان آنذاك ينظر من النّافذة ، سألته : « ماذا ترى هناك ؟» فاستدار بسرعة عندما سمع صوتها ، و لم يكن قد شعر بدخولها الغرفة .

أجابها : « لا شيء في الحقيقة .» ثمّ ابتسم .

كان مورغان طويل القامة ، ذا شعر بنّيّ اللّون وعينين لامعتين تنمّان عن الذّكاء ، ولكنّ الجزء السّفليّ من وجهه كان يبدو متجهّماً إلا عندما يبتسم ، فعندئذٍ يختفي مظهر التّجهّم ، وكان يروقها هذا .

قالت : « أنظر إلى تلك التّلال والسّماء الغائمة . أ لن تتوقّف هذه الأمطار أبداً ؟»

قال : « إنّه ريف تصعب الحياة فيه ، و رغم ذلك فأنا أحبّه .»

قالت و هي تنظر من النّافذة: « أ تحبّه ؟ لا بدّ أنّي قد اعتدت

حياة المدينة .»

ابتسم لها ثانية وقال : « لقد كنت متأثّرة بحياة المدينة ، ولكنّك تتغيّرين .»

قالت : « أنا لا أشعر بذلك . إنّ الوادي يبدو لي مكاناً بارداً فيه قسوة . إنّه يخيفني !»

قال لها : « إنّه غير قاسٍ . انظري هناك إلى المدينة .» وكانت أضواء المدينة تبدو لهم مثل زهور صفراء صغيرة .

و واصل حديثه قائلاً : « هذا هو الوادي ، إنّه ليس أرضاً جرداء لا يسكنها أحد ، بل منطقة مليئة بالنّاس والمنازل ، وسوف ندخل النّور والطّاقة للمصانع الجديدة ، الّتي ستوفّر العمل والثّروة . لا تفكّري في الرّيح الّتي تصفّر في الوادي الآن ، فكّري في المنازل الدّافئة والنّاس الّذين يعيشون فيها .»

سألته : « هل تحبّ تريورن حقيقة ؟»

أجاب : « نعم ، لقد ولدت هنا ، ويجب ألا يضار الوادي .»

نظرت إليه و سألته : « هل يقلقك شيء ؟»

« لِماذا أَقْلَقُ ؟»

« لا أعْرِفُ ، وَلكِنْ يَبْدو لي في بَعْضِ الأَحْيانِ أَنَّكَ غَيْرُ سَعيدٍ .»

قالَ بِاقْتِضابٍ : « لا .» وَ سادَ الصَّمْتُ لِفَتْرَةٍ قَصيرَةٍ .

قالَتْ في النِّهايَةِ : « إنّي أُضيِّعُ وَقْتَكَ . لَقَدْ جِئْتُكَ بِهذِهِ الأَوْراقِ .» وَ وَضَعَتِ الأَوْراقَ عَلى مَكْتَبِهِ وَسارَعَتْ إِلى غُرْفَتِها .

اِلْتَقَطَ مُورغان الأَوْراقَ وَ نَظَرَ إِلَيْها دونَ اهْتِمامٍ كَبيرٍ لِفَتْرَةٍ مِنَ الزَّمَنِ ، ثُمَّ أَلْقى بِها عَلى مَكْتَبِهِ وَ عادَ إلى النّافِذَةِ مَرَّةً أُخْرى . وَكانَتْ مَلامِحُ القَلَقِ تَبْدو عَلى وَجْهِهِ ، وَلَمْ يَكُنْ هُناكَ إلا صَوْتُ الرِّيحِ ، وَتَساقُطُ حَبّاتِ المَطَرِ على الزُّجاجِ . وَ مَرَّتِ الدَّقائِقُ دونَ أَنْ يَتَحَرَّكَ .

الفَصْلُ الثّاني

كانَ الجَوُّ في الخارِجِ عاصِفًا ، أَمّا داخِلَ الغُرْفَةِ فَقَدْ كانَ المِصْباحُ الكَهْرَبائِيُّ يُرْسِلُ ضَوْءَهُ على أَلْوانِ البِساطِ الزّاهِيَةِ ، وَعَلى الأَثاثِ الفاخِرِ .

وَكانَ جيمْس وُرْد – تُوماس يَجْلِسُ بِمُفْرَدِهِ أَمامَ المِدْفَأَةِ ، وَكانَ يَبْدو طَويلَ القامَةِ ، وَ يَجْلِسُ مُسْتَقيمَ الظَّهْرِ .

وَكانَ يَقْرَأُ مَجْموعَةَ أَوْراقٍ في يَدِهِ ، وَكانَ كُلَّما فَرَغَ مِنْ قِراءَةِ صَفْحَةٍ وَضَعَها عَلى الأَرْضِ ، وَ بَيْنَ وَقْتٍ وَ آخَرَ كانَ يُدَوِّنُ بَعْضَ المُلاحَظاتِ بِقَلَمِهِ الفِضِّيِّ . وَ لَمْ تَكُنْ تُسْمَعُ إلا الأَصْواتُ الخافِتَةُ المُنْبَعِثَةُ مِنْ زَحْفِ القَلَمِ الفِضِّيِّ على الأَوْراقِ ، وَ صَوْتُ الرّيحِ .

وَعِنْدَما انْفَتَحَ البابُ وَ دَخَلَتِ ابْنَتُهُ لَمْ يَرْفَعْ ناظِرَيْهِ نَحْوَها ، بَلْ قالَ لَها : « غوين يا عَزيزَتي ، كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّكِ بِالخارِجِ .»

قالَتْ لَهُ : « سَأَخْرُجُ .»

كانَتْ لِغوين عَيْنانِ رَمادِيَّتانِ مِثْلُ عَيْنَيْ أَبيها ، وَ أَنْفٌ مَعْقوفٌ

مِثْلُ أَنْفِهِ ، وَ لَكِنَّ وَجْهَها كانَ أَصْغَرَ كَثيراً مِنْ وَجْهِهِ وَأَكْثَرَ رِقَّةً . لَقَدْ كانَ وَجْهُ وُرْد – توماس يوحي بِالقُوَّةِ وَالشِّدَّةِ ، أَمَّا مَلامِحُ ابْنَتِهِ فَكانَتْ رَقيقَةً وَجَميلَةً ، وَ مَعَ ذلِكَ فَقَدْ كانَ لِكِلَيْهِما فَمٌ رَفيعٌ مُسْتَقيمٌ . وَعِنْدَما كانَتْ غوين تُحِسُّ بِالأَسى والحُزْنِ كانَ فَمُها يَبْدو رَفيعاً بِدَرَجَةٍ أَكْبَرَ ، وَ بِذلِكَ تَظْهَرُ وَكَأَنَّها حادَّةُ الطَّبْعِ .

وَ لَمْ تَكُنْ تَبْدو سَعيدَةً في تِلْكَ اللَّيْلَةِ . وَكانَ بِالغُرْفَةِ مِذْياعٌ كَبيرُ الحَجْمِ ، أَدارَتْهُ فانْبَعَثَتْ مِنْهُ الموسيقى . وَنَظَرَ إِلَيْها والِدُها عابِساً ، وَلكِنَّهُ لَمْ يَقُلْ شَيْئاً .

قالَتْ لَهُ : « سَوْفَ أَذْهَبُ مَعَكَ إِلى لَنْدَن .»

وَعَبَسَ ثانِيَةً دونَ أَنْ يَتَكَلَّمَ .

قالَتْ : « لَقَدْ كُنْتُ أَتَفَحَّصُ مَلابِسي .»

« ماذا تَقولينَ يا عَزيزَتي ؟»

« وَ أَنا في حاجَةٍ إِلى مَلابِسَ جَديدَةٍ .»

قال : « نَعَمْ .» ثُمَّ واصَلَ قِراءَةَ ما مَعَهُ مِنْ أَوْراقٍ .

قالَتْ وَ هِيَ تَنْظُرُ إِلى ثَوْبِها : « إِنّي أُحِبُّ هذا الثَّوْبَ ، وَلكِنَّ

عُمْرُهُ يَزيدُ عَلى أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ . سَوْفَ أَذْهَبُ مَعَكَ إِلى لَنْدَن في السَّيّارَةِ ، وَسَأَذْهَبُ لأَتَسَوَّقَ في الصَّباحِ ، وَقَدْ أَتَناوَلُ طَعامَ الغَداءِ مَعَكَ ، وَ لَكِنّي غَيْرُ مُتَأَكِّدَةٍ فَقَدْ لا يَكونُ لَدَيَّ وَقْتٌ كافٍ لِتَناوُلِ الغَداءِ مَعَكَ ... أَبي !»

كانَ لِكَلِمَةِ « أَبي » الَّتي قالَتْها بِصَوْتٍ عالٍ مُفاجِئٍ أَثَرُها ، إِذْ جَعَلَتْهُ يَنْظُرُ إِلَيْها وَ يَقولُ : « نَعَمْ يا عَزيزَتي ، ماذا هُناكَ ؟»

« أَبي ... إِنَّكَ لَمْ تَسْمَعْ كَلِمَةً واحِدَةً مِمّا كُنْتُ أَقولُهُ .»

« لَقَدْ سَمِعْتُ يا عَزيزَتي ، لَقَدْ سَمِعْتُ ، أَنْتِ تُريدينَ أَنْ تَذْهَبي إِلى لَنْدَن ، أَنْتِ في حاجَةٍ إِلى بَعْضِ المَلابِسِ الجَديدَةِ ، وَ سَتَأْتينَ مَعي .» ثُمَّ ابْتَسَمَ وَقالَ : « سَوْفَ أَسْتَمْتِعُ بِصُحْبَتِكِ . ها أَنْتِ ذي تَرَيْنَ أَنّي كُنْتُ أُصْغي إِلَيْكِ .»

قالَتْ : « ضَعْ هذِهِ الأَوْراقَ جانِباً .» فابْتَسَمَ وَ وَضَعَ أَوْراقَهُ إِلى جِوارِ كُرْسِيِّهِ . وَ مَضَتْ تَقولُ : « عَجَبي لَكُمْ أَيُّها الرِّجالُ ! إِنَّكُمْ دائِمو العَمَلِ . هذا سُخْفٌ ! أَنْتُمْ لاتُمَتِّعونَ أَنْفُسَكُمْ . إِنَّ داڤيد يُشْبِهُكَ في ذلِكَ تَماماً .»

رَدَّ عَلَيْها قائِلاً : « يَجِبُ عَلَيْنا أَنْ نَعْمَلَ . إِنَّ العَمَلَ ضَرورِيٌّ لِي

وَ لِمُورْغان . لِماذا لَمْ يَأْتِ حَتّى الآنَ .» ثُمَّ نَظَرَ إلى ساعَتِهِ وَقالَ :
«كُنْتُ أَعْتَقِدُ أَنَّهُ سَوْفَ يَأْتي إلى هُنا .»

« سَوْفَ يَأْتي . كَم السّاعَةُ الآنَ ؟»

أجابَ : « الثّامِنَةُ وَعَشْرُ دَقائِقَ .»

« الثّامِنَةُ وَعَشْرُ دَقائِقَ ! لَقَدْ تَأَخَّرَ . إِنَّهُ يَشْغَلُ جُلَّ وَقْتِهِ في العَمَلِ وَلا يُفَكِّرُ فِيَّ ، بَلْ يَتْرُكُني أَنْتَظِرُ . إِنَّهُ لا يُطيقُ التَوَقُّفَ عَنِ التَّفْكيرِ في مَشْروعِهِ السَّخيفِ . ماذا يَحْدُثُ هُناكَ مِنْ أَخْطاءٍ ؟»

اِعْتَدَلَ وُرْد – تُوماس في جِلْسَتِهِ وَ سَأَلَ بِدَهْشَةٍ : « هَلْ حَدَثَ خَطَأٌ ما ؟!»

وَعِنْدَما رَأَتْ وَجْهَ أَبيها قالَتْ بِشَيْءٍ مِنَ الهُدوءِ : « أنا لا أَعْرِفُ. لَقَدْ قالَ داڤيد شَيْئًا ... رُبَّما كانَ عَلَيَّ أَلا أُخْبِرَكَ .»

نَهَضَ وُرْد – تُوماس وَقالَ : « بِالطَّبْعِ يَجِبُ أَنْ تُخْبِريني . وَ يَسُرُّني أَنَّكِ أَخْبَرْتِني يا عَزيزَتي . إذا كانَ ثَمَّةَ خَطَأٌ فَمِنَ الواجِبِ أَنْ أَعْرِفَهُ . ماذا قالَ ؟»

« لا أَذْكُرُ . هَلْ يَهُمُّكَ هذا ؟»

« نَعَمْ بِكُلِّ تَأْكيدٍ . إذا كانَ ثَمَّةَ خَطَأٌ ما فَعَلى داڤيد أَنْ يُخْبِرَني، أو يُخْبِرَ بِهِ تِرِسْتُون .»

« لا عَلَيْكَ يا أَبي ، وَ يُؤْسِفُني أَنَّني قُلْتُ لَكَ ذلِكَ . إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ إِنَّ خَطَأً مُحَدَّدًا قَدْ حَدَثَ ، وَرُبَّما لَمْ أَفْهَمْهُ جَيِّدًا . إِنَّ الأَمْرَ لَمْ يَكُنْ ذا أَهَمِّيَّةٍ .»

« إذا لَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ خَطَأٌ مُحَدَّدٌ فَيَجِبُ أَلا يَتَحَدَّثَ عَنْهُ ؛ فَقَدْ يَعْتَقِدُ النّاسُ أَنَّ المَشْروعَ غَيْرُ آمِنٍ ، مِمّا يَجْعَلُنا نُواجِهُ صُعوباتٍ مَعَ العُمّالِ ، وَ الوِزارَةُ هِيَ الّتي تُمَوِّلُ المَشْروعَ . وَ سَوْفَ أَتَحَدَّثُ إلى داڤيد الآنَ .»

اِتَّجَهَتْ غوين نَحْوَهُ وَ قالَتْ : « لا ، لَنْ تَتَحَدَّثَ إِلَيْهِ . لَقَدْ أَصْبَحْتَ قاسِيًا يا أَبي . إِنَّنا سَوْفَ نَخْرُجُ عَلى الفَوْرِ .»

« وَ لكِنْ عَلَيْهِ يا عَزيزَتي أَنْ يَتَوَقَّفَ عَنِ الحَديثِ عَنِ المَشْروعِ .»

« تَحَدَّثْ إِلَيْهِ في وَقْتٍ آخَرَ .»

« لا ياغوين . أَنْتِ لا تَفْهَمينَ . عَلَيَّ أَنْ أَتَكَلَّمَ مَعَهُ عَلى الفَوْرِ.»

« كُفَّ عَنْ هذا يا أَبي ! سَوْفَ تُبْقيهِ مَعَكَ لِساعاتٍ طَويلَةٍ لَوْ أَنَّكَ حادَثْتَهُ الآنَ ، وَسَوْفَ تُواصِلانِ الحَديثَ عَنْ ذلِكَ المَشْروع

السَّخيفِ وَ نَتأخَّرُ بِذلِكَ عَنِ الخُروجِ . إنّي أُريدُ أَنْ أَخْرُجَ وَ أُمتِّعَ نَفْسي .»

وَ عِنْدَئِذٍ سَمِعا دَقّاتِ البابِ ، فَذَهَبَ الخادِمُ إلى البابِ الخارِجيِّ وَ أَنْصَتَ ، فَسَمِعَ بَعْضَ الأَصْواتِ في الخارِجِ .

قالَ وُرْد – تُوماس : « ها هُوَ ذا داڤيد .» وَ هَمَّ بِأَنْ يَتَّجِهَ نَحْوَ البابِ، وَلَكِنَّ غوين أَوْقَفَتْهُ قائِلَةً : « لَيْسَ في هذِهِ اللَّيْلَةِ يا أبي !»

« غوين ، إنّي ... »

قاطَعَتْهُ بِحِدَّةٍ وَصَوْتٍ عالٍ : « هذِهِ سَخافَةٌ ! إنَّكَ بِذلِكَ سَتُعكِّرُ صَفْوَنا جَميعاً . هَلْ تُحِبُّ أَنْ تُعكِّرَ صَفْوي ؟ لِماذا تَكونُ بِهذِهِ القَسْوَةِ ؟! لَوْ كانَتْ أُمّي عَلى قَيْدِ الحَياةِ فإنّي أَعْرِفُ أَنَّها ... »

قاطَعَها قائِلاً : « لا بَأْسَ يا عَزيزَتي .» وَ رَفَعَ يَدَيْهِ إلى أَعْلى في أَسًى ثُمَّ خَفَضَهُما إلى جانِبَيْهِ وَقالَ : « حَسَنٌ ، لَيْسَ في هذِهِ اللَّيْلَةِ، وَ لكِنْ غَداً بِكُلِّ تأكيدٍ .»

دَخَلَ مُورْغان الغُرْفَةَ وَقالَ : « إنّي آسِفٌ لِتَأَخُّري .» ثُمَّ تَبادَلَ التَّحِيَّةَ مَعَ وُرْد – تُوماس .

قالَت له غوين : « لَقَدْ تَأَخَّرْتَ كَثيراً ، وَأنا غاضِبَةٌ . هَيّا بِنا

الآنَ . لا تَبْقَ لِتَتَحَدَّثَ مَعَ أبي . أُريدُ شَيْئاً آكُلُهُ ، ثُمَّ أُريدُ أَنْ أَرْقُصَ .»

ضَحِكَ مُورْغان وَأَخَذَ بِذِراعِها قائِلاً : « يَحْسُنُ بي أَنْ أَذْهَبَ يا سَيِّدي ، وإلا واجَهْتُ المَتاعِبَ . طابَ مَساؤُكَ .»

رَدَّ عَلَيْهِ وُرْد – تُوماس بِإيجازٍ : « طابَ مَساؤُكَ .»

وَعِنْدَما خَرَجا أَخَذَ يَمْشي في الغُرْفَةِ عابِسَ الوَجْهِ وَ بَدَأَ يَقولُ لِنَفْسِهِ : « تُرى ماذا حَدَثَ ؟» ثُمَّ ذَهَبَ إلى الطَّرَفِ الآخَرِ مِنَ الغُرْفَةِ وَأَغْلَقَ المِذْياعَ ، وَ وَقَفَ يُفَكِّرُ . وَ ذَهَبَ بَعْدَ ذلِكَ إلى مِنْضَدَةٍ صَغيرَةٍ بِجِوارِ البابِ ، وَ أَمْسَكَ بِسَمّاعَةِ التِّليفون لِلَحْظَةٍ ثُمَّ رَفَعَها ، وَطَلَبَ رَقْماً ، ثُمَّ قالَ : « تِرِسْتون ؟ يَسُرُّني أَنْ وَجَدْتُكَ بِالبَيْتِ ، أنا وُرْد – تُوماس أَتَحَدَّثُ إلَيْكَ . أُريدُ أَنْ أَسْأَلَكَ سُؤالاً .»

*****

كانَ مَطْعَمُ « البَيْتِ الأَحْمَرِ » عَلى بُعْدِ ثَمانِيَةِ كيلو مِتْراتٍ مِنَ البَلْدَةِ . وَكانَ عِبارَةً عَنْ مَبْنًى عالٍ جَميلٍ يَقَعُ بَعيداً عَنِ الطَّريقِ الرَّئيسِيَّةِ . وَكانَ فيما مَضى مِلْكاً لإحْدى العائِلاتِ الثَّرِيَّةِ ، وَبِهِ حَديقَةٌ واسِعَةٌ تُحيطُ بِالمَبْنى ، وَ هِيَ في فَصْلِ الصَّيْفِ تَكونُ زاخِرَةً

بِالأزْهارِ ، وَ لكِنَّ ظُلْمَةَ اللَّيْلِ وَالمطَرَ المُتَساقِطَ في تِلْكَ اللَّحْظَةِ حَجبا تِلْكَ الأزْهارَ . أمّا في الدّاخِلِ فَقَدْ كانَتِ الأضْواءُ مُتلألِئَةً وَالجوُّ دافِئًا . وَدَخَلَ مُورْغان وَ غوين إلى البَهْوِ حَيْثُ كانَتِ المِدْفَأةُ مَليئَةً بِالخَشَبِ المُشْتَعِلِ ، وَكانَ المكانُ مُزْدَحِمًا كَثيرَ الضَّوْضاءِ .

قالَ مُورْغان: « ها هِيَ ذي مِنْضَدَةٌ ، وَيُمكِنُنا أنْ نَجْلِسَ هُناكَ .»

نَظَرَتْ غوين حَوْلَها وَقالَتْ : « لَقَدْ كانَ هذا مَكانًا جَميلاً فيما مَضى .» وَلَمْ تَكُنْ قَدْ تَحدَّثَتْ كَثيرًا في السَّيّارَةِ .

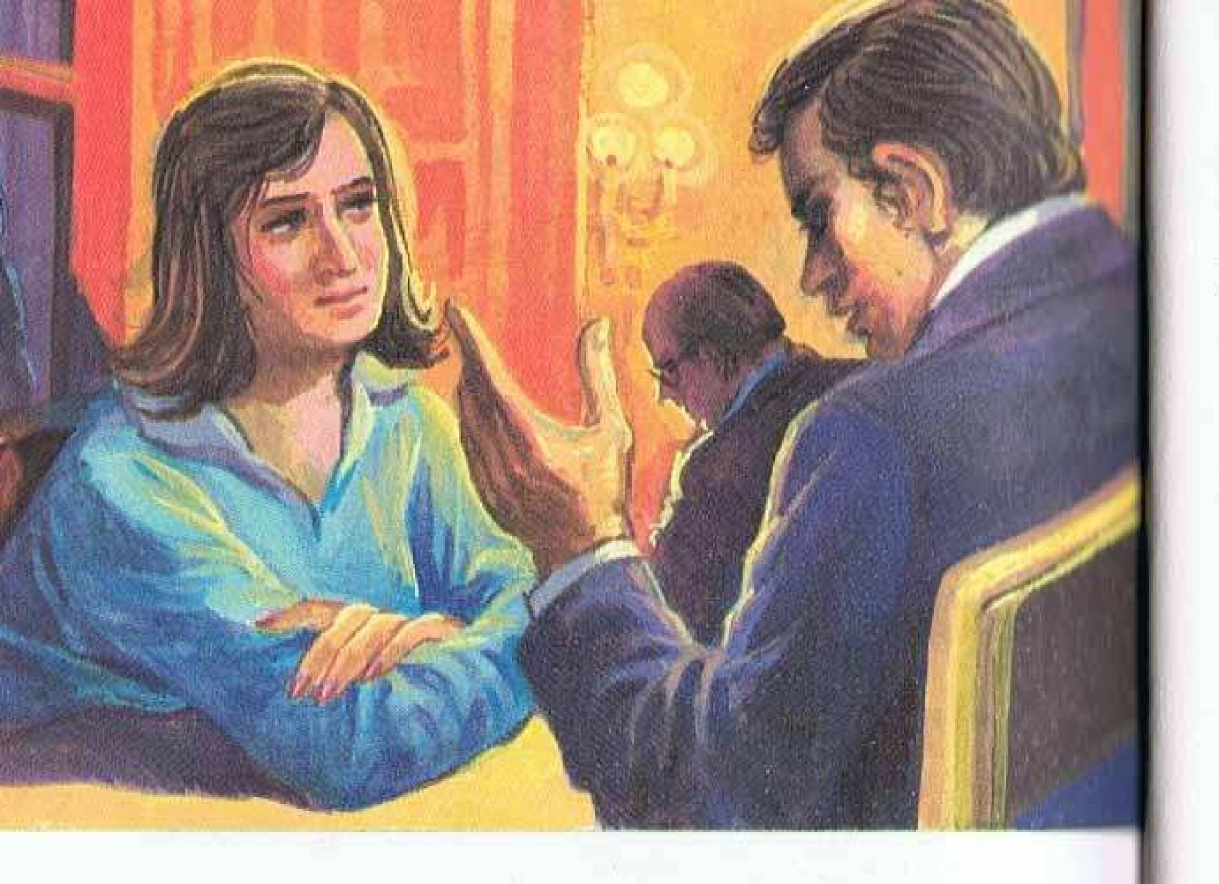
قالَ مُورْغان : « وَ لا يَزالُ كَذلِكَ .»

قالَتْ : « هذِهِ الغُرْفَةُ لا بَأسَ بِها ، وَلكِنَّ كَثيرًا مِنَ النّاسِ العادِيّينَ يَأتونَ إلى هذا المكانِ الآنَ .»

سَألَها : « أناسٌ عادِيّونَ ؟ ماذا تَعْنينَ ؟»

قالَتْ : « إنَّهُمْ عادِيّونَ لِلْغايَةِ ، يَأتونَ مِنَ البَلْدَةِ ، وَيَعيشونَ في بُيوتٍ صَغيرَةٍ ، أوْ يُديرونَ مَتاجِرَ صَغيرَةً . وَعِنْدَما افْتُتِحَ هذا المكانُ لَمْ يَكُنْ يَأتي إلى هُنا أوَّلَ الأمْرِ سِوى الأغْنِياءِ مِنَ النّاسِ . لَقَدْ كانوا مِنَ النَّوْعِ الَّذي تَسُرُّكَ مُقابَلَتُهُ و الجُلوسُ مَعَهُ .»

وَ في رُكْنِ الغُرْفَةِ رَأتْ رَجُلاً بَدينًا أحْمَرَ الوَجْهِ ، وَقَدْ مالَ



بِرأسِهِ إلى الخَلْفِ ، وَأخَذَ يُقَهْقِهُ بِصَوْتٍ عالٍ .

قالَتْ : « اُنظُرْ إلى ذلِكَ الرَّجُلِ ، إنَّهُ يَتَصرَّفُ كَما لَوْ كانَ مُهرِّجًا ! وَانْظُرْ إلى قُبَّعَةِ تِلْكَ المرْأةِ ، أ لا تَبْدو بها مُضْحِكَةً ؟ إنَّ هذا المكانَ يَزْدادُ رَداءَةً !»

قالَ لَها مُورْغان بِجَفاءٍ : « اُسْكُتي يا غوين ! إنَّكِ تَتَحدَّثينَ في بَعْضِ الأوْقاتِ كَما لَوْ كُنْتِ طِفْلَةً . إذا كانَ هؤلاءِ النّاسُ عادِيّينَ فأنا كَذلِكَ ؛ فَقَدْ جِئْتُ مِنَ البَلْدَةِ .»

وَضَعَتْ يَدَها على ذِراعِهِ قائِلَةً : « أنا لا أعْنيكَ بِالطَّبْع ، وَلكِنَّ الجَميعَ قَدِ اعْتَنى . إنَّهُ مَشْروعُ الذَّرَّة ، إنَّهُ يَجْلُبُ الأمْوالَ إلى البَلْدَة. وَ لِهذا تَمكَّنَ هَؤلاءِ النّاسُ العادِيّونَ مِنْ أنْ يَغْشَوْا هذا المَكانَ لِيُنْفِقوا ما مَعَهُم مِنْ أمْوالٍ .»

قالَ لَها : « لا تَقولي الآنَ إنَّكِ ضِدُّ المَشْروع ، وَلا تَنْسَيْ أنَّ المَشْروعَ يَعْني الكَثيرَ بِالنِّسْبَةِ لأبيكِ . لَسْتِ في حالَةٍ نَفْسيَّةٍ طَيِّبَةٍ اللَّيْلَةَ ! ما الَّذي حَدَثَ ؟»

قالَتْ : « لَسْتُ في حالَةٍ نَفْسِيَّةٍ سَيِّئَةٍ عَلى الإطْلاقِ ! بَلْ أنْتَ الَّذي في حالَةٍ نَفْسِيَّةٍ سَيِّئَةٍ .»

« لا ، لَيْسَ هذا صَحيحاً . إنَّني أحِبُّ هذا المَكانَ ، وَأنا مُسْتَعِدٌّ لأنْ أسْتَمْتِعَ بِهِ . ما الَّذي حَدَثَ في مَنْزِلِكُمْ قَبْلَ مَجيئي ؟»

« لا شَيْءَ .» وَنظَرَتْ عَبْرَ الغُرْفَةِ ، فَرَأتْ رَجُلاً يُلَوِّحُ بِيَدِهِ لَهُما ، فَقالَتْ : « إنَّهُ جاك فرِيزْبي . هَلْ سَيَنْضَمُّ إلَيْنا ؟»

لَوَّحَ الرَّجُلُ لَهُما بِيَدِهِ ثانِيَةً ، وَ بَدَأ يَعْبُرُ الغُرْفَةَ نَحْوَهُما ، وَكانَ قَصيراً بَديناً يَلْبَسُ حُلَّةً ضَيِّقَةً بَعْضَ الشَّيْءِ ، وَكانَ يَضَعُ نَظّارَةً على عَيْنَيْهِ ، وَ لَهُ رَأسٌ أصْلَعُ . وَعِنْدَما اتَّجَهَ نَحْوَهُما كانَتْ نَظّارَتُهُ وَصَلْعَةُ

رَأسِهِ تَلْمَعانِ في الضَّوْءِ .

وَ لَوَّحَ لَهُما مَرَّةً أخْرى وَصاحَ : « الآنِسَةُ وُرْد - تُوماس ! يا لَها مِنْ مُفاجَأةٍ سارَّةٍ ! كَيْفَ حالُكِ ؟»

صافَحَتْهُ غوين وَ أبْدَتْ تَرْحيباً فاتِراً بِهِ ، وَقالَتْ: « سَيِّدُ فرِيزْبي ، أنْتَ تَعْرِفُ السَّيِّدَ مُورْغان ، أ لَيْسَ كَذلِكَ ؟»

قالَ وَهُوَ يَبْتَسِمُ : « لا أذْكُرُ أنَّنا تَقابَلْنا .»

« إنَّ السَّيِّدَ مُورْغان يَعْمَلُ في مَشْروعِ الذَّرَّة .»

« هَلْ يَعْمَلُ هُناكَ ؟» وَ تَصافَحَ الرَّجُلانِ ، وَ مَضى فرِيزْبي يَقولُ: « هذا أمْرٌ يُثيرُ الاهْتِمامَ . إنَّهُ المَشْروعُ الشَّهيرُ ، أ لَيْسَ كَذلِكَ ؟»

وَافَقَهُ مُورْغان قائِلاً : « بَلى . هَلْ تَعيشُ في تريورْن مُنْذُ زَمَنٍ ؟ لَقَدْ كُنْتُ أعيشُ هُنا مِنْ قَبْلُ ، وَلكِنَّني لَمْ ألْتَقِ بِكَ .»

« لا ، لَقَدْ أتَيْتُ إلى هُنا مُنْذُ سَنَواتٍ قَليلَةٍ ، وَ اشْتَرَيْتُ صَحيفَةَ « تريورْن ميل » .»

ضَحِكَ مُورْغان وَقالَ : « صَحيفَةُ « تريورْن مِيل » ؟ أنْتُم لا تُحِبّونَ مَشْروعَ الذَّرَّةِ ، أ لَيْسَ كَذلِكَ ؟ وَ يَبْدو أنَّكُمْ تَكْتُبونَ مَقالاً

عَنّا كُلَّ أسْبوع .»

قالَ فريزْبي وَهُوَ يَضْحَكُ بِصَوْتٍ مُرْتَفع : « عَلَيْنا أنْ نُرَوِّجَ الصَحيفَةَ ، والمَقالاتُ الَّتي نَكْتُبُها عَنْكُم تُساعِدُنا في ذلِكَ . وَلَكِنَّ هذا خاصٌّ بِحَياتي العامَّةِ ، وَلَكِنَّ لي حَياتي الخاصَّةَ كَذلِكَ ، كَما تَعْلَمُ ، وَ تَجْمَعُني في حَياتي الخاصَّةِ صَداقَةٌ كَبيرَةٌ مَعَ السَيِّدِ وُرْد - تُوماس ، أ لَيْسَ كَذلِكَ يا آنِسَةُ غُوين ؟»

قالَتْ غوين دونَ أنْ تُعبِّرَ نَبراتُ صَوْتِها عَنْ ثِقَتِها بِما يَقولُ : « بَلى .»

سَأَلَها فريزْبي : « كَيْفَ حالُ والِدِكِ ؟»

أجابَتْ : « في حالَةٍ حَسَنَةٍ ، وَ أشْكُرُكَ .»

« أنا مَسْرورٌ ، بَلْ أنا في غايَةِ السُّرورِ لِذلِكَ . أ تَرْغَبانِ في تَناوُلِ الشّاي مَعي ؟»

قالَتْ غوين وَ هِيَ تَهُمُّ بِالوُقوفِ : « لا ، مَعَ جَزيلِ الشُّكْرِ . إنَّهُ لَكَرَمٌ كَبيرٌ مِنْكَ ، وَلَكِنَّنا ذاهِبانِ لِتَناوُلِ العَشاءِ الآنَ .»

اِبْتَسَمَ فريزْبي وَهُوَ يَقولُ : « يا لَسُوءِ الحَظِّ! لِيَكُنْ ذلِكَ في وَقْتٍ

آخَرَ . بَلِّغي سَلامي لِوالِدِكِ .»

« سَوْفَ أُبَلِّغُهُ .»

وَغادَرا البَهْوَ وَ ذَهَبا إلى الغُرْفَةِ الأخْرى ، وَكانَ بِها عَدَدٌ مِنَ النّاسِ يَتَناوَلونَ الطَّعامَ عَلى أنْغامِ الموسيقى الهادِئَةِ .

قالَ مُورْغان : « ثَمَّةَ شَيْءٌ في كَلامِ فريزْبي يَدُلُّ عَلى عَدَمِ صِدْقِهِ .»

وافَقَتْهُ غوين قائِلَةً : « أعْرِفُ ذلِكَ . أنا لا أُحِبُّهُ ، وَأبي لا يُحِبُّهُ كَذلِكَ . وَلَكِنْ عَلى أبي أنْ يَكونَ عَلى عَلاقَةٍ طَيِّبَةٍ مَعَهُ . إنَّ فريزْبي يَعْرِفُ أشْخاصاً مِنْ ذَوي النُّفوذِ في لَنْدن ، وَلَهُ نُفوذُه في الوادي . وَيَقولُ أبي إنَّ صَحيفَةَ « تريبورْن ميل » بِإمْكانِها أنْ تُلْحِقَ بِهِ ضَرراً كَبيراً .»

« لا بُدَّ أنَّ فريزْبي صَديقٌ لِلْمُسْتَشارِ جُونْز .»

« إنَّهُما صَديقانِ حَميمانِ في الوَقْتِ الحاضِرِ .»

وَطَلَبَ مُورْغان العَشاءَ ، وَ أخَذا يَتَحَدَّثانِ لِفَتْرَةٍ ثُمَّ لاذا بِالصَّمْتِ. واسْتَأْنَفا بَعْدَ ذلِكَ حَديثَهُما ، فَسَأَلَها مُورْغان : « هَلْ كُنْتِ

تَتشاجَرينَ مَعَ أبيكِ اللَّيْلَةَ ؟»

« لا ، لَيْسَ كَما تَظُنُّ . لِماذا تَسْأَلُ ؟»

عِنْدَما دَخَلْتُ كُنْتُما تَتَحدَّثانِ بِصَوْتٍ مُرْتَفِع .»

« كُنّا نَتَحدَّثُ عَنْكَ ؟»

« عَنّي ؟! ماذا فَعَلْتُ ؟» ثُمَّ ابْتَسَمَ .

« لَقَدْ كُنْتَ تَتَحدَّثُ عَنِ المَشْروعِ في الأسْبوعِ الماضي ، وَقُلْتَ إنَّكَ غَيْرُ سَعيدٍ بِما يَحْدُثُ . وَقَدْ أخْبَرْتُ أبي فَشَعَرَ بِالقَلَقِ ، وَكانَ يُريدُ أنْ يُحادِثَكَ جِدِّيًّا في المَوْضوعِ .»

وَقَطَّبَ جَبينَهُ وَقالَ : « هَلْ هذا كُلُّ شَيْءٍ ؟ وَلكِنْ ماذا سَأقولُ لَهُ ؟»

وَضَعَتْ غوين يَدَها على ذِراعِهِ وَنَظَرَتْ في وَجْهِهِ وَسَأَلَتْهُ : « ما الَّذي يُقْلِقُكَ يا داڤيد ؟»

« شَيْءٌ في غايَةِ السُّخْفِ ، وَمِنَ الصَّعْبِ أنْ أشْرَحَهُ لَكِ ، وَأشْعُرُ بِأنّي غَبِيٌّ !»

أعادَتْ سُؤالَهُ بِإلْحاحٍ أكْثَرَ : « وَلكِنْ ، ما هُوَ ؟»

« أشْعُرُ كَأنّي رَجُلٌ يُحاوِلُ أنْ يَتَذَكَّرَ شَيْئًا . تُرى هَلْ نَسيتُ شَيْئًا لَهُ أهَمِّيَّةٌ بِالنِّسْبَةِ لِلمُفاعِلِ ؟ هَلْ مِنَ المُحْتَمَلِ أنْ يَكونَ ثَمَّةَ خَطَرٌ ماثِلٌ ؟»

سَأَلَتْهُ : « اِحْتِمالُ انْفِجارٍ مَثَلاً ؟»

« لا ، لا يُمْكِنُ أنْ يَحْدُثَ انْفِجارٌ . إنَّ المُفاعِلَ لا يَنْتُجُ عَنْهُ انْفِجارٌ . إنَّهُ أشْبَهُ بِالنّارِ البَطيئَةِ ؛ ذلِكَ أنَّ الذَّرّاتِ تَنْشَطِرُ بِبُطْءٍ وَيَقومُ المُفاعِلُ بِالتَّحَكُّمِ فيها .»

« هَلْ هُوَ خَطَرُ الإشْعاعِ ؟»

« لا ، إنَّ المُفاعِلَ يَتَحَكَّمُ في الإشْعاعِ أيْضًا .»

« إذًا فَأيُّ خَطَرٍ هُوَ ؟»

« لا أدْري ، فَأنا لا أسْتَطيعُ أنْ أُحَدِّدَ خَطَرًا بِعَيْنِهِ .»

وَسَكَتَتْ لَحْظَةً ثُمَّ سَأَلَتْهُ بِصَوْتٍ مُنْخَفِضٍ : « هَلْ هذا كُلُّ ما هُنالِكَ ؟»

قالَ بِبُطْءٍ : « لا ، إنَّهُ لَيْسَ كُلَّ شَيْءٍ .»

« إذًا فَما هُوَ ؟» وَهَزَّتْ ذِراعَهُ بِاهْتِمامٍ .

قالَ : « إنّني شَخصٌ مُتّزِنٌ عاقِلٌ ، أ لا تَرَيْنَ ذلِكَ ؟»

قالَتْ : « إنّكَ عاقِلٌ وَ مُتّزِنٌ لِلْغايَةِ .»

« إنَّ الأمْرَ يُحيّرُني ، فأنا آكُلُ جيّداً وأنامُ جيّداً ، وإذا أعْمَلْتُ خَيالي أتَخيّلُ أشْياءَ سارّةً ، وإذا حَلَمْتُ بِشَيْءٍ في نَوْمي فإنّي لا أتَذكّرُهُ عِنْدَما أسْتَيْقِظُ .»

قالَتْ : « أنا أعْرِفُ ذلِكَ ، ولكِنْ ماذا عَنِ المَشْروعِ ؟»

قالَ : « لَقَدْ رَأيْتُ حُلْماً لَيْسَ في وُسْعي أنْ أنْساهُ .»

قالَتْ ضاحِكَةً : « رَأيْتَ حُلْماً ؟» ثُمَّ نَظَرَتْ إلى وَجْهِهِ وَ تَوَقّفَتْ عَنِ الضّحِكِ .

قالَ : « لا بَأسَ .» وَحاوَلَ أنْ يَبْتَسِمَ ، وَقالَ : « اِسْتَمِرّي في الضّحِكِ ، لَقَدْ حاوَلْتُ أنْ أضْحَكَ مِنْهُ أنا أيْضاً ، فَهُوَ أمْرٌ سَخيفٌ ، أ لَيْسَ كَذلِكَ ؟ تَصَوّري رَجُلاً مِثْلي يُساوِرُهُ القَلَقُ بِسَبَبِ حُلْمٍ ! إنّهُ أمْرٌ مُضْحِكٌ لِلغايَةِ !»

قالَتْ بِصيغَةٍ آمِرَةٍ : « اِحْكِهِ لي .»

قالَ مُتَذمّراً : « وَ لكِنّهُ في غايَةِ السّخافَةِ !»

« اِحْكِهِ لي أرْجوكَ .»

قالَ : « لَقَدْ كانَ حُلْماً واضِحاً جِدّاً ، فَقَدِ انْتَهَيْنا مِنْ بِناءِ المَفاعِلِ ، وَكُنْتُ أرى الأبْراجَ وَالمَبْنى ؛ إذْ إنّني كُنْتُ أحَلّقُ عالِياً في السّماءِ فَوْقَها جَميعاً ، وَكانَتِ الدّنْيا مُظْلِمَةً ، فَقَدْ كُنّا في المَساءِ ، وَلكِنْ كانَ في وُسْعي أنْ أرى المَشْروعَ كُلّهُ ، وَ أرى البَلْدَةَ في الوادي . وَفَجْأةً سَمِعْتُ صَوْتاً ...»

« هَلْ كانَ صَوْتَ انْفِجارٍ ؟»

« لا ، لَقَدْ كانَ أشْبَهَ بِانْهيارِ حِجارَةٍ ، ثُمَّ رَأيْتُ ضَوْءاً مُفاجِئاً لامِعاً ، وَ بَعْدَهُ خَرَجَ النّاسُ مِنَ المَباني وَ هَرْوَلوا في الشّوارِعِ وَكَأنّهُمْ نَمْلٌ . لَقَدْ بَدَوْا لي في صِغَرِ النّمْلِ ، وَكانَتْ شَوارِعُ البَلْدَةِ زاخِرَةً بِالنّاسِ ، وَكانَتْ وُجوهُهُمْ جَميعاً مُتّجِهَةً نَحْوَ المُفاعِلِ القائِمِ فَوْقَ التّلّ ، ثُمَّ انْدَلَعَتْ نارٌ بَيْضاءُ مِنَ المُفاعِلِ وَ بَدَأتْ تَنْقَسِمُ إلى ألْسِنَةٍ ، وَأخَذَتِ الأبْراجُ تَنْهارُ بِبُطْءٍ وَكَأنّها أشْخاصٌ يَلْفِظونَ أنْفاسَهُمُ الأخيرَةَ . لَقَدْ كانَتِ السّماءُ نَفْسُها مُشْتَعِلَةً ، وَكانَ المُفاعِلُ وَالأبْراجُ المُنْهارَةُ وَالمَباني تَحْتَرِقُ جَميعاً ، وَلَمْ يُصْبِحْ في مَقْدوري أنْ أرى النّاسَ بَعْدَ ذلِكَ ؛ فَقَدِ ازْدادَتْ كَثافَةُ الدّخانِ الأبْيَضِ وَ أخَذَ يَتَصاعَدُ في السّماءِ وَكَأنّهُ زَهْرَةٌ كَبيرَةٌ مُفْزِعَةٌ ، ثُمَّ انْحَدَرَ نَحْوَ سَطْحِ

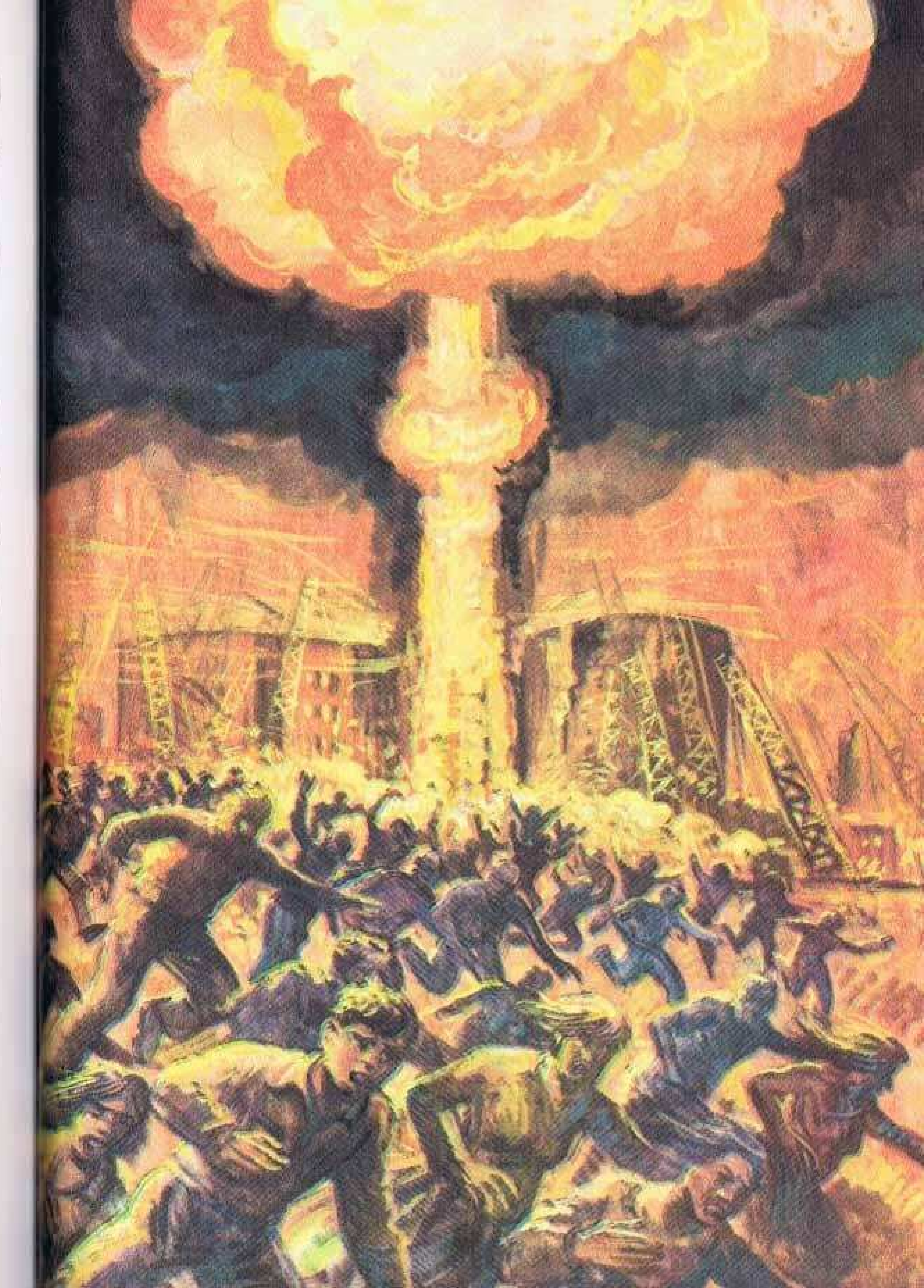
التلّ وَغطى البَلْدَةَ . وَ في النّهايَةِ اختَفى الدُّخانُ ، وَ لكِنَّ الإشْعاعَ ظلّ قائماً . وَعادَ كُلُّ شَيْءٍ إلى الهُدوءِ مَرّةً أخْرى ، وَ بَدَتِ البَلْدَةُ كَما كانَتْ مِنْ قَبْلُ ، وَأَخَذَ النّاسُ يَجوبونَ الشّوارِعَ كالمُعْتادِ ، غَيْرَ أنّ المَفاعِلَ كانَ قَدِ اختَفى .

« ثُمَّ تَغَيّرَ الجَوُّ ، وَخَلَتِ الشّوارِعُ ، وَ رَأَيْتُ أنَّ كُلَّ النّاسِ داخِلَ البُيوتِ لَهُمْ وُجوهٌ شاحِبَةٌ وَنَحيلَةٌ ، وَأنَّ الأطْفالَ كانوا يَبْكونَ بِوَهْنٍ وَضَعْفٍ ، وَبَيْنَ وَقْتٍ وَآخَرَ كانَ يَخْرُجُ رَجُلٌ مِنْ بَيْتِهِ ثُمَّ يَقَعُ في الشّارِعِ وَلايَقومُ بَعْدَ ذلِكَ . أمّا داخِلَ البُيوتِ فَقَدْ كانَتِ النِّساءُ وَالأطْفالُ يَرْقُدونَ في الأسِرَّةِ وَعَلى الأرْضِ ، وَكانوا جَميعاً ساكِنينَ دونَ حَراكٍ . وَخُيِّلَ إلَيَّ أنّي تَحْتَ الماءِ ، وَأنّهُ مِنَ الصَّعْبِ عَلَيَّ أنْ أرى ، ثُمَّ ازْدادَ الماءُ ظُلْمَةً وَكَثافَةً ، وَ بَعْدَها انْتَهى الحُلْمُ .»

وَعِنْدَما انْتَهى مِنْ حِكايَةِ حُلْمِهِ لَمْ تُعَقّبْ بِشَيْءٍ ، بَلْ ظَلّتْ تَنْظُرُ إلى فِنْجانِ قَهْوَتِها وَ تَعْبَثُ بِمِفْرَشِ المائِدَةِ . وَأخيراً قالَ لَها :
« إنّهُ حُلْمٌ كَأحْلامِ المَجانينِ ، ألَيْسَ كَذلِكَ ؟»

« بلى يا داڤيد ، إنّكَ لَسْتَ مَجْنوناً بَلْ ... »

« بَلْ أثيرُ الضّحِكَ ، ألَيْسَ كَذلِكَ ؟»



« أنا أعْني أنَّ الأمْرَ لا يَعْدو أنْ يَكونَ حُلْماً .» ثُمَّ نَظَرَتْ إلَيْهِ وَ أسْرَعَتْ تُحَوِّلُ عَيْنَيْها بَعيداً عَنْهُ .

قالَ وَهُوَ يَضْحَكُ ضِحْكَةً قَصيرَةً : « أنْتِ مُحِقَّةٌ في رَأيِكِ ، فَقَدْ نَصَحْتُ أحَدَ الأشْخاصِ اليَوْمَ بِألا يَسْتَمِرَّ في التَّفْكيرِ في العَمَلِ بِصورَةٍ تُقْلِقُهُ ، وَيَجْدُرُ بي أنْ ألْتَزِمَ بِهذِهِ النَّصيحَةِ . وَسَوْفَ أبْتَعِدُ عَنِ المَشْروعِ لِعِدَّةِ أيّام ، وَ أقومُ بِإجازَةٍ قَصيرَةٍ وَأذْهَبُ لأتَجَوَّلَ بَيْنَ التِّلالِ . سَوْفَ يَعودُ تِرِسْتّون غَداً ، وَسَأقابِلُهُ وَ أطْلُبُ إجازَةً لِعِدَّةِ أيّام .»

« إنَّها فِكْرَةٌ سَديدَةٌ .»

قالَ ضاحِكاً : « لَقَدْ بَدَأتِ تَقْلَقينَ ، فَلا داعِيَ لِلْقَلَقِ . نَحْنُ هُنا لِنُسَرِّيَ عَنْ أنْفُسِنا . هَيّا بِنا نَرْقُصْ .»

سارَتْ أمامَهُ إلى حَلْبَةِ الرَّقْصِ ، وَكانَتْ نَظْرَتُها زائِغَةً .

الفَصْلُ الثّالِثُ

كانَ مُورْغان يَعْمَلُ في مَكْتَبِهِ عِنْدَما رَنَّ جَرَسُ التِّليفون في المَكْتَبِ الخارِجِيِّ ، وَدَخَلَتْ هيلين لانسنغ ، فَرَفَعَ رَأسَهُ وَنَظَرَ إلَيْها .

« ماذا تُريدينَ يا هيلين ؟»

« ثَمَّةَ مُكالَمَةٌ لَكَ مِنْ مَبْنى الإدارَةِ . إنَّ السَّيِّدَ تِرِسْتّون هُناكَ وَيُريدُ مُقابَلَتَكَ .»

«حَسَنٌ ، سَوْفَ أذْهَبُ إلَيْهِ بَعْدَ قَليلٍ .»

« إنَّهُ يُريدُ أنْ يَراكَ الآنَ .»

« في الحالِ ؟»

« نَعَمْ .»

« مِنْ غَيْرِ المُحْتَمَلِ أنْ يَكونَ الأمْرُ مُهِمًّا إلى هذا الحَدِّ ، سَوْفَ أكْمِلُ هذا التَّقْريرَ أوَّلاً . هَلْ أخْبَرْتُكِ بِأنّي سَأقومُ بِإجازَةٍ لِبِضْعَةِ أيّامٍ ؟ أُريدُ أنْ أُنْجِزَ كُلَّ شَيْءٍ قَبْلَ ذَهابي . لِماذا يُريدُ أنْ يُقابِلَني ؟

هَلْ قالَ لكِ شيْئًا ؟»

« لا ، ولَكِنْ يَبْدو مِنْ لَهْجَتِهِ أَنَّهُ غاضِبٌ . إنَّ السَّيِّدَ وُرْد – تُوماس مَعَهُ ، فَقَدْ سَمِعْتُهُما يَتَحَدَّثانِ .»

ضَحِكَ مُورْغان وَقالَ : « ثِرِسْتُون غاضِبٌ ؟! لَيْسَتْ هذهِ عادَتَهُ . إنَّهُ غالبًا ما يكونُ هادِئًا غَيْرَ مُنْفَعِلٍ .»

« أَرْجوكَ أنْ تَذْهَبَ ، فَقَدْ وَعَدْتُهُ بِأَنَّكَ سَتَذْهَبُ في الحالِ .»

وَ أَمْسَكَ مُورْغان بِالتَّقْريرِ ، ثُمَّ وَضَعَهُ على المكْتَبِ قائِلاً : « حَسَنٌ ، ما دُمْتِ قَدْ وَعَدْتِ ، فَسَأُرْجِئُ إكْمالَ التَّقريرِ .»

كانَ الجَوُّ بارِداً في الخارِجِ ، وَ رَغْمَ تَوَقُّفِ المَطَرِ كانَتِ الرِّياحُ لا تَزالُ عاصِفَةً تَدْفَعُ أمامَها سُحُبًا ضَخْمَةً في عَنانِ السَّماءِ . وَخَفَضَ مُورْغان رَأْسَهُ ، وَأَسْرَعَ في مِشْيَتِهِ ، ثُمَّ وَضَعَ يَدَيْهِ في جَيْبَيْ مِعْطَفِهِ وَراحَ يَجْري مُسْرِعًا .

كانَ وُرْد – تُوماس وَ ثِرِسْتُون جالِسَيْنِ مَعًا في حُجْرَةٍ كَبيرَةٍ . وَكانَ بِها مَكْتَبٌ كَبيرٌ بِجِوارِ الحائِطِ ، وَعَلى الأَرْضِ بِساطٌ أَحْمَرُ سَميكٌ ، وَعَدَدٌ مِنَ الكَراسِيِّ الوَثيرَةِ ، وَعَلى الحائِطِ صُوَرٌ فوتوغْرافِيَّةٌ لِعَدَدٍ آخَرَ مِنَ المَشاريعِ الذَّرِّيَّةِ .

وَكانَ ثِرِسْتُون واقِفًا بِجِوارِ النّافِذَةِ المُطِلَّةِ على الحَديقَةِ ، وَ هُوَ طَويلُ القامَةِ ، نَحيفٌ ، ذو وَجْهٍ شاحِبٍ مُسْتَطيلٍ وَ شَعْرٍ مُمَشَّطٍ ، أَسْوَدَ في الوَسَطِ وَ رَماديٍّ على جانِبَيْ رَأْسِهِ ، وَكانَ يَضَعُ على عَيْنَيْهِ نَظّارَةً سَوْداءَ مُرَبَّعَةَ الشَّكْلِ ، وَكانَتْ عَيْناهُ الزَّرْقاوانِ تَبْدُوانِ أَكْبَرَ حَجْمًا مِنْ خِلالِ نَظّارَتِهِ. وَ وَقَفَ ساكِنًا وَقَدْ عَقَدَ يَدَيْهِ خَلْفَ ظَهْرِهِ.

أَمّا وُرْد – تُوماس فَقَدْ كانَ يَسيرُ بِبُطْءٍ جيئَةً وَ ذَهابًا داخِلَ الغُرْفَةِ . وَنَظَرَ إلى إحْدى الصُّوَرِ المُعَلَّقَةِ وَقَطَّبَ جَبينَهُ ، فَبَدا أَنْفُهُ مُدَبَّبًا فَوْقَ شَفَتَيْهِ الرَّقيقَتَيْنِ .

قالَ ثِرِسْتُون : « مُورْغان قادِمٌ الآنَ . إنَّهُ يُسْرِعُ نَحْوَنا .» فَذَهَبَ وُرْد – تُوماس إلى النّافِذَةِ وَ نَظَرَ مِنْها دونَ أنْ يَتَكَلَّمَ .

قالَ ثِرِسْتُون : « مِنَ الأفْضَلِ أنْ أَسْتَجْوِبَهُ أَوَّلاً .»

رَدَّ وُرْد – تُوماس : « لا ، سَوْفَ أَبْدَأُ أنا . سَوْفَ أَسْتَجْوِبُهُ .»

سَمِعا طَرْقَةً على البابِ ، فالْتَفَتَ الرَّجُلانِ ، وَ دَخَلَ الغُرْفَةَ رَجُلٌ يَرْتَدي مِعْطَفًا طَويلاً بُنِّيَّ اللَّوْنِ ، وَقالَ : « إنَّهُ مُورْغان يا سَيِّدي ، وَهُوَ يَقولُ إنَّكُما ... »

قالَ وُرْد – تُوماس بِاقْتِضابٍ : « نَعَمْ ، نَعَمْ يا لودْج ، نَحْنُ

نَعْرِفُ ذلِكَ . أَدْخِلْهُ . ادْخُلْ يا مُورْغان .»

دَخَلَ مُورْغان الغُرْفَةَ وَ شَكَرَ لودج ، الَّذي خَرَجَ وَ أَغْلَقَ بابَ الغُرْفَةِ وراءَهُ . وَعِنْدَما نَظَرَ إلى وَجْهَيْهِما تَوَقَّفَ وَقالَ : « حَسَنٌ أَيُّها السَّيِّدانِ ، ما هُوَ المَوْضوعُ ؟»

بَدَأَ وُرْد – توماس الحَديثَ بِجَفاءٍ قائِلاً : « أَ لا تَعْلَمُ ؟ إذاً سَأُخْبِرُكَ . لَقَدْ سَمِعْتُ أَنَّ ... »

قاطَعَهُ ثِرِسْتون بِهُدوءٍ قائِلاً : « اِجْلِسْ يا مُورْغان . رُبَّما يَكونُ مِنَ الأَفْضَلِ أَنْ نَجْلِسَ جَميعاً .»

نَظَرَ وُرْد – توماس إلَيْهِ بِغَضَبٍ وَقالَ : « ماذا ؟! لِنَجْلِسْ إذاً .» ثُمَّ جَلَسَ بِكُلِّ ثِقْلِهِ في الكُرْسِيِّ وَراءَ المَكْتَبِ ، وَجَلَسَ ثِرِسْتون في كُرْسِيٍّ وَثيرٍ ، بَعْدَ أَنْ رَفَعَ رِجْلَيْ بَنْطَلونِهِ بِعِنايَةٍ عِنْدَ رُكْبَتَيْهِ ، كَما جَلَسَ مُورْغان أَيْضاً .

قالَ وُرْد – توماس : « وَالآنَ لا تُضَيِّعْ وَقْتَنا . ما هُوَ هذا الكَلامُ السَّخيفُ الَّذي قيلَ عَنِ المَشْروعِ ؟!»

نَظَرَ مُورْغان إلَيْهِما وَقالَ : « نَعَمْ ، لَقَدْ تَوَقَّعْتُ شَيْئاً مِنْ هذا القَبيلِ .»

« إذاً فَقَدْ كُنْتَ تَتَوَقَّعُ ذلِكَ ؟ أَنْتَ تَعْرِفُ أَنَّ ذلِكَ خَطَأٌ . لِماذا لَمْ تَتَحَدَّثْ إلَيَّ أَوَّلاً ؟ ماذا تَعْني بِهذا أَيُّها الأَحْمَقُ الصَّغيرُ ؟!»

اِحْمَرَّ وَجْهُ مُورْغان عَلى الفَوْرِ ، وَمالَ في كُرْسِيِّهِ إلى الأَمامِ وَقالَ غاضِباً : « وَالآنَ أَصْغِ إلَيَّ !»

اِنْطَلَقَ صَوْتُ ثِرِسْتون الهادِئُ يَقولُ : « دَقيقَةً مِنْ فَضْلِكَ يا سَيِّدُ وُرْد – توماس . دَقيقَةً مِنْ فَضْلِكَ يا مُورْغان ؛ فَلَنْ يُمْكِنَنا أَنْ نَتَفاهَمَ بِهذِهِ الطَّريقَةِ . لَقَدْ سَمِعْنا يا مُورْغان أَنَّ لَدَيْكَ بَعْضَ الشُّكوكِ حَوْلَ المَشْروعِ ، فَما هِيَ هذِهِ الشُّكوكُ ؟»

اِنْدَفَعَ وُرْد – توماس يَقولُ بِغَضَبٍ : « لِماذا لَمْ تَأْتِ إلَيَّ أَوَّلاً ؟ إنَّكَ تَتَحَدَّثُ دونَ تَحَفُّظٍ عَنِ المَشْروعِ مَعَ كُلِّ شَخْصٍ في البَلْدَةِ ، وَمِنْ واجِبي أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْهُ .»

رَفَعَ ثِرِسْتون يَدَهُ النَّحيفَةَ قائِلاً : « مِنْ فَضْلِكَ يا سَيِّدُ مُورْغان !»

هَدَأَتْ ثَوْرَةُ مُورْغان وَقالَ : « إنَّني لَمْ أَتَحَدَّثْ عَنْهُ دونَ تَحَفُّظٍ ، وَلَمْ أَتَحَدَّثْ عَنْهُ إلا مَعَ غُوين .»

قالَ ثِرِسْتون : « حَدِّثْنا عَنْ هذِهِ الشُّكوكِ . ما هِيَ ؟»

صَمَتَ مُورْغان دَقيقَةً ثُمَّ قالَ : « أنا قَلِقٌ عَلى سَلامَةِ المَشْروع .»

قالَ لَهُ وُرْد – تُوماس : « سَلامَةُ المَشْروع ! ماذا تَعرِفُ أنْتَ عَنْ سَلامَةِ المَشْروع ؟ هذا لَيْسَ شَأنَكَ .»

قالَ ثرِسْتون : « إنَّ سَلامَةَ المَشْروع تُهِمُّنا جَميعاً ، فَدَعْ مُورْغان يَشْرَحْ . لِماذا أنْتَ قَلِقٌ ؟»

قالَ مُورْغان بِبُطْءٍ : « لَستُ مُتأكِّداً تَماماً . نَحْنُ لا نَعْرِفُ الكَثيرَ عَنْ هذا المَشْروع ، وَلِهذا فَثَمَّةَ كَثيرٌ مِنَ الأشْياءِ التي تُعْتَبَرُ جَديدَةً هُنا .»

قالَ وُرْد – تُوماس : « كُلُّ هذِهِ المَشْروعاتِ جَديدَةٌ تَماماً ، وَلَمْ يَثْبُتْ حَتّى الآنَ أنَّ أيَّ واحِدٍ مِنْها يُشكِّلُ خُطورَةً ما ، وَلَيْسَ في هذا المَشْروع أيَّةُ خُطورَةٍ . إنَّكَ تَتَحَدَّثُ كَما يَتَحَدَّثُ واحِدٌ مِنْ أولَئِكَ الجَهَلَةِ المَوْجودينَ بِالبَلْدَةِ !»

قالَ مُورْغان : « إنَّهُ لَيْسَ جَهْلاً ، إنَّنا نَقومُ بِتَجْرِبَةِ نَوْعٍ مِنَ البِناءِ يُعْتَبَرُ جَديداً لِلْغايَةِ . إنَّ التَّخْطيطَ الخاصَّ بِأبْراجِ التَّبْريدِ تَخْطيطٌ جَديدٌ تَماماً .»

قالَ ثرِسْتون بِهُدوءٍ : « جَديدٌ وَ لكِنْ تَمَّ اخْتِبارُهُ بِدِقَّةٍ دونَ شَكٍّ .

لَيْسَ ثَمَّةَ خَطَرٌ ، فَقَدْ قُمْنا بِفَحْصٍ كُلِّ جَوانِبِهِ فَحْصاً دَقيقاً .»

قالَ مُورْغان : « لَمْ تُفْحَصْ كُلُّ الجَوانِبِ ؛ فَالأبْراجُ لَمْ تُبْنَ بَعْدُ. إنَّنا لَمْ نَقُمْ إلا بِفَحْصِ الأرْقامِ على الوَرَقِ ، وَلا يُمْكِنُنا أنْ نَقومَ بِتَجْرِبَةٍ دَقيقَةٍ إلا بَعْدَ أنْ تُبْنى الأبْراجُ .»

قالَ وُرْد – تُوماس : « إذاً مِنَ المُمْكِنِ أنْ تَقْلَقَ عِنْدَما يَتِمُّ البِناءُ ، وَلكِنْ لا تَتَحَدَّثْ عَنْها قَبْلَ ذلِكَ . أنا لا أفْهَمُكَ يا داڤيد ! إنَّكَ لَمْ تَكُنْ هكَذا مِنْ قَبْلُ ، وَلَمْ أكُنْ أتَوَقَّعُ عَلى الإطْلاقِ أنْ تَكونَ غَيْرَ مُخْلِصٍ تَماماً .»

« غَيْرُ مُخْلِصٍ ؟!»

« نَعَمْ ، وَغَيْرُ مُخْلِصٍ لي . إنَّكَ تَعْرِفُ مَدى أهَمِّيَّةِ هذا المَشْروع بِالنِّسْبَةِ لي ، وَأيُّ هُجومٍ عَلَيْهِ هُوَ هُجومٌ عَلَيَّ شَخْصِيّاً ، وَ لا بُدَّ أنْ تَكونَ قَدْ وَضَعْتَ ذلِكَ في اعْتِبارِكَ .»

قالَ مُورْغان بِهُدوءٍ : « أنا لا أقومُ بِمُهاجَمَةِ أيِّ شَيْءٍ أوْ أيِّ شَخْصٍ ، وَقَدْ أحْسَسْتُ بِمُجَرَّدِ قَلَقٍ حَوْلَ المَشْروع ، وَعَبَّرْتُ عَنْ هذا القَلَقِ .»

« إذاً فلا تَقُلْ هذا . إنَّهُ سُخْفٌ ! بَلْ إنَّهُ أكْثَرُ مِنْ سُخْفٍ ، إنَّهُ... إنَّهُ ... »

وَ راحَ وُرْد – تُوماس يُلَوِّحُ بِقَبْضَتِهِ في الهَواءِ ، وَ واصَلَ حَديثَهُ : « هَلْ تُريدُ أنْ توقِفَ المَشْروعَ ؟ هَلْ أنْتَ في جانِبِ أهْلِ البَلْدَةِ ؟ أنْتَ تَعْرِفُ الصِّراعَ الّذي خُضْتُهُ . إنَّ بَعْضَ الأشْخاصِ ، مِثْلَ فريزبي و جُونز ، يُحِبّونَ أنْ يَسْتَمِعوا إلَيْكَ وَأنْتَ تَتَحَدَّثُ على هذا النَّحْوِ . أنْتَ لَسْتَ غَبِيّاً فَلا تَتَصَرَّفْ كَالأغْبِياءِ . أنا لا أريدُ أنْ تَتَزَوَّجَ ابْنَتي شَخْصاً غَبِيّاً ، وَلَمْ تُصْبِحْ زَوْجَ ابْنَتي بَعْدُ ، وَأنْتَ تَعْرِفُ هذا . »

قالَ ثِرِسْتّون بِهُدوءٍ : « أنْتَ قَلِقٌ مِنْ ناحِيَةِ أبْراجِ التَّبْريدِ ، وَلكِنَّكَ لا تَعْرِفُ سَبَباً لِهذا القَلَقِ . هلْ هذا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ ؟ »

فَكَّرَ مُورْغان ثُمَّ قالَ : « لا ، إنَّ الأبْراجَ تُقْلِقُني وَلا أعْرِفُ لِماذا، وَلكِنْ ثَمَّةَ أشْياءُ أخْرى . إنَّنا سَوْفَ نَسْتَخْدِمُ أساليبَ جَديدَةً ، وَلَمْ يَسْبِقِ اسْتِخْدامُ عَدَدٍ كَبيرٍ مِنْ هذِهِ الأساليبِ مِنْ قَبْلُ . »

قالَ ثِرِسْتّون بِحِدَّةٍ : « أعْطِني مَثَلاً واحِداً ! »

« سائِلُ التَّبْريدِ ، إنَّ سائِلَ التَّبْريدِ هذا لَمْ يَسْبِقِ اسْتِخْدامُهُ في

مَشْروعٍ مِنْ قَبْلُ . »

« لَقَدْ تَمَّ اخْتِبارُ سائِلِ التَّبْريدِ بِعِنايَةٍ . ماذا غَيْرُ سائِلِ التَّبْريدِ ؟ »

« إنَّ القُضْبانَ المُسْتَخْدَمَةَ في المُفاعِلِ لَيْسَتْ مِنَ النَّوْعِ المُعْتادِ . »

« لَقَدْ جَرَّبْنا هذِهِ القُضْبانَ الجَديدَةَ مِراراً ، وَهِيَ مُناسِبَةٌ لِلْغايَةِ . »

« لَقَدْ جَرَّبْناها في عَمَلِيّاتٍ صَغيرَةٍ ، وَلكِنْ لَمْ نَرَ هذِهِ القُضْبانَ وَهِيَ تَعْمَلُ في مُفاعِلٍ كَبيرٍ . »

قالَ وُرْد – تُوماس : « إنَّ ما تَقولُهُ هُراءٌ ! لَقَدْ تَمَّتْ دِراسَةُ كُلِّ نَواحي هذا المَشْروعِ مُنْذُ زَمَنٍ طَويلٍ ، وَ لَسْنا في حاجَةٍ إلى إعادَةِ دِراسَتِها مَرَّةً أخْرى . هذا مُجَرَّدُ كَلام فارِغ ! »

قالَ مُورْغان : « يَجِبُ عَلَيْنا أنْ نُواصِلَ دِراسَتَها في كُلِّ وَقْتٍ ؛ لأنَّهُ إذا حَدَثَ خَطَأٌ في هذا المُفاعِلِ فَمِنَ المُمْكِنِ أنْ يُدَمِّرَ الوادِيَ . »

وافَقَهُ ثِرِسْتّون قائِلاً : « مِنَ المُمْكِنِ أنْ يُدَمِّرَهُ ، وَلكِنَّهُ لَنْ يَفْعَلَ ذلِكَ ، وَأنا أوافِقُ السَّيِّدَ وُرْد – تُوماس . لَقَدْ تَحَدَّثْتَ كَثيراً يا مُورْغان ، وَلكِنَّكَ لَمْ تَقُلْ شَيْئاً غَريباً أوْ جَديداً . إنَّ سائِلَ التَّبْريدِ وَالقُضْبانَ وَالأبْراجَ كانَتْ مَوْضِعَ دِراسَةٍ دَقيقَةٍ لِلْغايَةِ . » وَبَعْدَ أنْ

تَوَقَّفَ عَنِ الحَديثِ هُنَيْهَةً واصَلَهُ بِبُطْءٍ أكْثَرَ قائِلاً : « إنَّنا نَحْنُ جَميعاً هُنا نُفَكِّرُ في هذا العَمَلِ كَما تَعْرِفُ . رُبَّما تُفَكِّرُ أنْتَ فيهِ أكْثَرَ مِنَ المُعْتادِ ، وَلكِنْ ثَمَّةَ فَرْقٌ بَيْنَ التَّخْطيطِ وَالقَلَقِ ؛ فَأحَدُهُما ضَروريٌّ ، أمّا الآخَرُ فَإنَّهُ يُؤَدّي إلى مَتاعِبَ ذِهْنِيَّةٍ .» وَابْتَسَمَ لِمُورْغان فَجْأةً ابْتِسامَةً مُصْطَنَعَةً .

قالَ مُورْغان وَهُوَ يَضْحَكُ ساخِراً : « مَتاعِبُ ذِهْنِيَّةٌ ؟! رُبَّما . لَقَدْ فَكَّرْتُ أحْياناً في ذلِكَ .»

قالَ وُرْد – تُوماس : « كُفَّ عَنِ التَّفْكيرِ في المَشْروعِ ، وَكُفَّ عَنِ القَلَقِ مِنْ أجْلِهِ . وَ بِاللّهِ عَلَيْكَ كُفَّ عَنِ الحَديثِ عَنْهُ !» ثُمَّ نَهَضَ واقِفاً وَقالَ : « أصْغِ إلَيَّ يا داڤيد . يَجِبُ ألا يَحْدُثَ شَيْءٌ يُسيءُ إلى المَشْروعِ الآنَ . إنَّ الوَزيرَ نَفْسَهُ كانَ يَشْعُرُ بِالقَلَقِ نَحْوَهُ لِفَتْرَةٍ مِنَ الوَقْتِ ، وَلكِنْ في وُسْعي أنْ أقولَ لَهُ الآنَ إنَّهُ مَشْروعٌ ناجِحٌ ، وَ سُكّانَ البَلْدَةِ لا يَعْتَرِضونَ عَلَيْهِ ، وَالخُطَّةَ الزَّمَنِيَّةَ تُنَفَّذُ في مَواعيدِها ، وَيُمْكِنُني أنْ أقولَ لِلْوَزيرِ إنَّ الأمورَ تَسيرُ عَلى خَيْرِ ما يُرامُ ، وَيَجِبُ أنْ نَجْعَلَها كَذلِكَ ، وَمِنَ المُمْكِنِ أنْ يَضُرَّ الكَلامُ السَّخيفُ بِكُلِّ شَيْءٍ ، فَلْنَكُفَّ عَنْهُ . أريدُ أنْ يُسَرَّ الوَزيرُ بِما يَصِلُهُ مِنْ تَقْريرٍ عَنْ عَمَلي .» وَنَظَرَ إلَيْهِ ثِرِسْتُون فَعادَ وَقالَ: « عَنْ عَمَلِنا

بِالطَّبْعِ .» ثُمَّ واصَلَ حَديثَهُ قائِلاً : « سَوْفَ يَكونُ مَسْروراً بِنا جَميعاً . لِهذا فَلْنَتَذَكَّرْ أنَّهُ لا أحاديثَ سَخيفَةَ بَعْدَ الآنَ .»

قالَ مُورْغان : « لا أحاديثَ سَخيفَةَ بَعْدَ الآنَ .»

سَألَ ثِرِسْتُون : « هَلْ أخْبَرْتَنا بِكُلِّ شَيْءٍ ؟»

« أعْتَقِدُ هذا . لِماذا تَسْألُ ؟»

« لا تَزالُ الشُّكوكُ تُساوِرُكَ عَلى ما يَبْدو .»

ضَحِكَ مُورْغان ضَحْكَةً أخْرى ساخِرَةً وَقالَ : « هَلْ أبْدو كَذلِكَ ؟ نَعَمْ ، تُساوِرُني الشُّكوكُ .»

« وَلكِنَّ هذا سُخْفٌ !»

« أعْرِفُ ذلِكَ ، وَأنا آسِفٌ . أنا لَمْ أقْنِعْكُما ، وَأنْتُما كَذلِكَ لَمْ تُقْنِعاني ، فَقَدْ تَحَدَّثْنا وَلكِنَّنا لَمْ نَصِلْ إلى نَتيجَةٍ .»

قالَ وُرْد – تُوماس غاضِباً وَقَدْ رَفَعَ سَبّابَتَهُ مُهَدِّداً : « اِسْتَمِعْ لِي الآنَ !»

قالَ مُورْغان : « اِنْتَظِرْ ، فَأنا لَمْ أكْمِلْ حَديثي . لَقَدْ قَرَّرْتُ شَيْئاً اللَّيْلَةَ الماضِيَةَ ، بَعْدَ أنْ فَكَّرْتُ قُلْتُ لِنَفْسي رُبَّما لا يوجَدُ هُناكَ داعٍ

لِلقَلَقِ ، وَ رُبَّما كانَ الأَمْرُ راجِعًا إلى أَنّي أَرْهَقْتُ نَفْسي في العَمَلِ ، وَأَنَّ هذا القَلَقَ لَيْسَ سِوى مُجَرَّدِ وَهْم ؛ وَلِهذا فَسَوْفَ أَقومُ بِإجازَةٍ لِعِدَّةِ أَيّام ، وَ يُمْكِنُني خِلالَها أَنْ أَبْتَعِدَ وَحْدي عَنِ البَلْدَةِ ، وَعِنْدَما أَعودُ فَقَدْ أَنْظُرُ إلى الأَشْياءِ نَظْرَةً مُخْتَلِفَةً .»

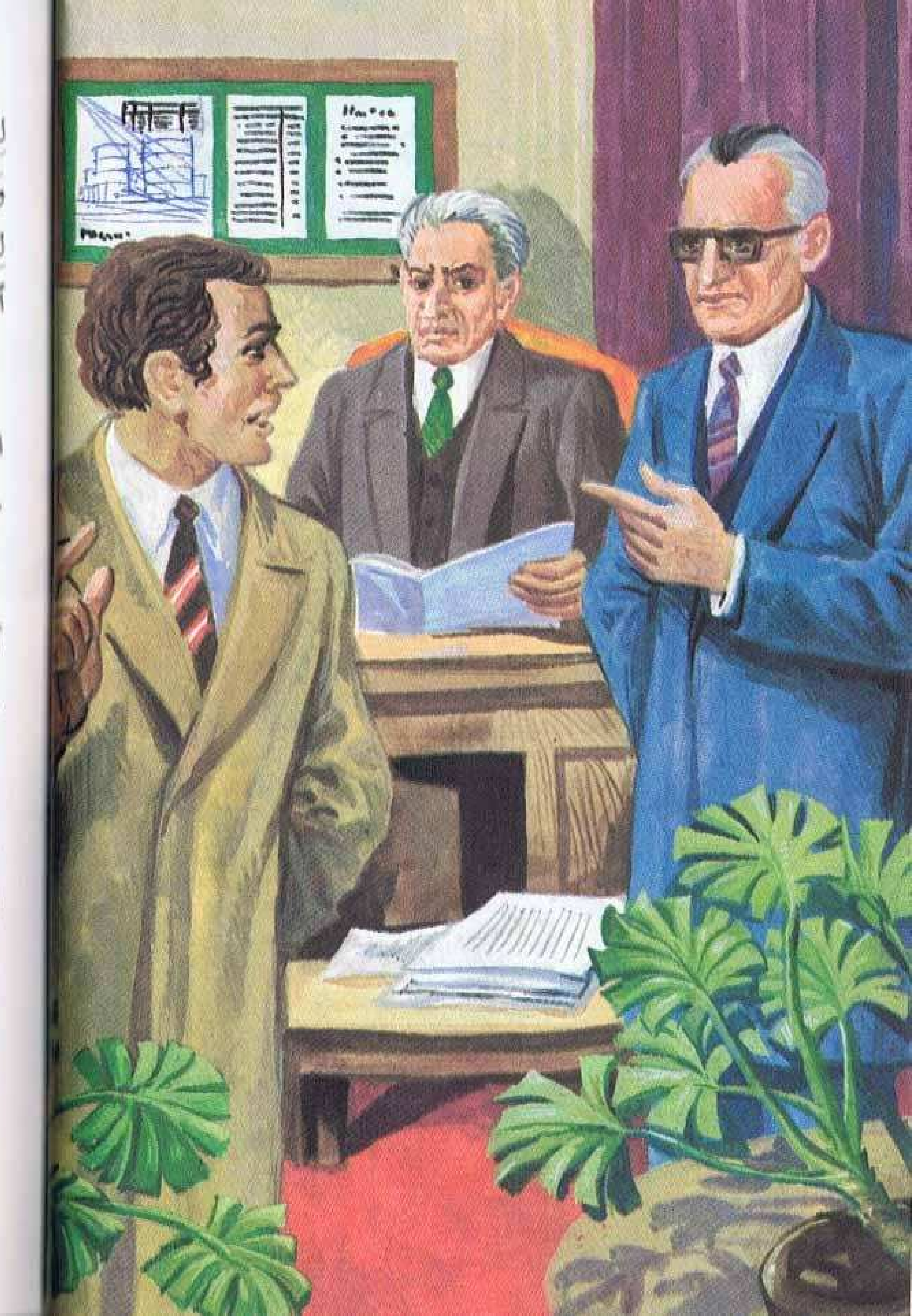
قالَ ثِرِسْتون : « يَبْدو أَنَّ هذِهِ فِكْرَةٌ طَيِّبَةٌ . وَقَدْ وَصَلْنا الآنَ في العَمَلِ إلى مَرْحَلَةٍ لَيْسَتْ في حاجَةٍ ماسَّةٍ إلَيْكَ . إلى أَيْنَ سَتَذْهَبُ ؟»

« لَنْ أَبْتَعِدَ كَثيراً ، فَسَوْفَ أَقومُ بِجَوْلَةٍ بَيْنَ التِّلالِ ، وَقَدْ كُنْتُ أَعْرِفُها جَيِّداً في طُفولَتي ، وَسَوْفَ أَقومُ بِزِيارَةِ بَعْضِ الأَماكِنِ الَّتي سَبَقَتْ لي زِيارَتُها .»

قَطَّبَ وُرْد – تُوماس جَبينَهُ ثُمَّ قالَ : « لَيْسَتْ هذِهِ فِكْرَةً سَيِّئَةً عَلى الإِطْلاقِ . اِذْهَبْ وَ اسْتَمْتِعْ بِضَوْءِ الشَّمْسِ وَالهَواءِ المُنْعِشِ لِتُجَدِّدَ نَشاطَكَ ، وَسَوْفَ تَعودُ وَقَدْ تَغَيَّرَتْ أَفْكارُكَ . يَجِبُ أَنْ يَحْدُثَ هذا فَنَحْنُ لا نُريدُ أَنْ نُضْطَرَّ إلى مُطالَبَتِكَ بِالاسْتِقالَةِ .»

قالَ ثِرِسْتون بِحِدَّةٍ : « لَنْ نَطْلُبَ مِنْهُ أَنْ يَسْتَقيلَ مِنْ أَجْلِ هذا !»

وَحَدَّقَ وُرْد – تُوماس إلى مورْغان وَقالَ : « لَنْ نَكونَ في حاجَةٍ



إلى أنْ نَطْلُبَ مِنْهُ الاِسْتِقالَةَ . إنَّني موقِنٌ مِنْ ذلِكَ .»

وَ نَهضَ مُورْغان مِنْ مَقْعَدِهِ قائِلاً : « هَلْ تُريدانَني في شَيْءٍ آخَرَ؟»

أجابَ ثِرِسْتُون : « لا .»

« سَأَمْضي إذاً ؛ فَلَدَيَّ تَقْريرٌ يَجِبُ أنْ أفْرَغَ مِنْ إعْدادِهِ اليَوْمَ .»

« حَسَنٌ ، سَوْفَ أراكَ في الحَفْلِ غَداً مَساءً .»

« يُؤْسِفُني ألا أذْهَبَ .»

قالَ ثِرِسْتُون ، وَهُوَ لايَبْدو عَلَيْهِ السُّرورُ : « لِماذا ؟»

« سَأكونُ سائِرًا وَسْطَ التِّلالِ ، فَسَأبْدأُ رِحْلَتي غَداً صَباحاً .»

« هذا أمْرٌ يُؤْسَفُ لَهُ . أنْتَ تَعْرِفُ أنَّ ثَمَّةَ هَدَفاً مِنْ وَراءِ هذا الحَفْلِ ، فَلَيْسَ الأمْرُ مُجَرَّدَ قَضاءِ وَقْتٍ مُمْتِعٍ ، إنّي أُريدُ رِجالَنا أنْ يَلْتَقوا بِأهالي تريورْن ، فَعِنْدَما تَزْدادُ مَعْرِفَةُ الأهالي بِنا سَوْفَ يَتَوَقَّفونَ عَنْ إثارَةِ المَتاعِبِ .

« إنّي آسِفٌ . عَلَيْكَ أنْ تُقَرِّرَ ما يَحْلو لَكَ يا مُورْغان . وَلكِنْ إذا كانَ لا بُدَّ أنْ تُسْرِعَ بِالقِيامِ بِهذِهِ الإجازَةِ البالِغَةِ الأهَمِّيَّةِ ...»



وَلَمْ يُكْمِلْ ثِرِسْتُون كَلامَهُ بَلْ أدارَ ظَهْرَهُ وَمَضى .

أغْلَقَ مُورْغان بابَ مَكْتَبِهِ وَراءَهُ بِشَيْءٍ مِنَ العُنْفِ وَذَهَبَ إلى المَكْتَبِ ، ثُمَّ ألْقى بِنَفْسِهِ فَوْقَ الكُرْسِيِّ . وَظَلَّ لِفَتْرَةٍ مُقَطَّبَ الجَبينِ يَفْرُكُ عَيْنَيْهِ بِيَدَيْهِ ، ثُمَّ أخْرَجَ التَّقْريرَ وَقَلَّبَ صَفَحاتِهِ وَبَدَأ يَقْرأُ . وَعِنْدَما أمْسَكَ بِقَلَمِهِ وَهَمَّ بِأنْ يَكْتُبَ دَخَلَتْ هيلين تَحْمِلُ فِنْجاناً ، وَقالَتْ : « كانَ عامِلُ المَقْصِفِ يَمُرُّ مِنْ هُنا فَأحْضَرْتُ لَكَ بَعْضَ الشّايِ ، فَلَعَلَّكَ في حاجَةٍ إلَيْهِ .»

لَمْ يَرْفَعْ مُورْغان نَظَرَهُ إلَيْها ، بَلْ قالَ : « شُكْرًا لَكِ يا هيلين . ضَعي الفِنْجانَ هُناكَ .» وَ وَضَعَتْهُ عِنْدَ طَرَفِ المَكْتَبِ ، وَ انْتَظَرَتْ أنْ

يقولَ شيْئاً آخرَ ، ولكنّهُ واصلَ قِراءتَهُ للتّقريرِ فخرجتْ .

وَ أخذَ يُفكّرُ لِفترةٍ طويلةٍ ، ثُمّ كتبَ ببُطءٍ بِضعَ كَلماتٍ ، وبَعْدَ أنْ كتبَها أخذَ يقْرأُها ، ثُمّ شطَبَها وألْقى بالتّقريرِ على المكتبِ ، وَ الْتقطَ سمّاعةَ التّليفون . وَ لم يَرُدَّ عليْهِ الشّخْصُ الّذي يُريدُ مُحادثَتَهُ إلا بعْدَ فتْرةٍ .

سأَلَ : « غُوين ؟ »

قالَتْ : « نَعمْ يا داڤيد . ماذا تُريدُ ؟ »

قالَ : « أحِسُّ في صَوْتِكِ شيْئاً مِنَ المودّةِ . » وَضَحِكَ فَجْأةً .

« لِماذا ؟ ما هُوَ المَوْضوعُ ؟ »

« لَقَدْ قَضيْتُ لِتوّي عشْرَ دَقائقَ مليئةً بِحدّةِ المِزاجِ . »

« معَ مَنْ قَضيْتَها ؟ »

« معَ نفْسي ! »

« أنا لا أفْهمُكَ ! »

« لَقَدْ كُنْتُ أتحدّثُ إلى أبيكِ وَ ثرِستون . »

وَصَمَتَتْ لِفترةٍ قصيرةٍ وَقالَتْ : « ماذا قالا ؟ »

« كانَ كَلامُهُما معْقولاً ، وَ لا بُدَّ أنّي كُنْتُ أبْدو لَهُما في غايَةِ الغَباءِ ! »

« هَلْ كانَ أبي غاضِباً ؟ »

« بَعْضَ الشّيْءِ . »

« كانَ مِنَ الواجِبِ عليَّ ألا أخبِرَهُ . إنّني آسِفَةٌ يا داڤيد . يا لَهُ مِنْ مِسْكينٍ ! إنّهُ يُحِبُّ هذا المَشْروعَ وَكأنّهُ طِفْلُهُ ، وإذا نَجَحَ المشْروعُ فَسوْفَ يَحْصُلُ على لَقَبِ فارِسٍ . »

« لَقَبُ فارِسٍ ! إنّكِ لَمْ تُخْبِريني بِذلِكَ مِنْ قَبْلُ . »

« نَعمْ . لَقَدْ وَعَدَهُ الوزيرُ بِذلِكَ . »

« لَقَدْ فَهِمْتُ . »

« أ لَسْتَ غاضِباً مِنّي ؟ »

« إطْلاقاً ، لأنَّ الأمْرَ كانَ سَيُعْرَفُ في وَقْتٍ ما . »

« وَلكِنْ عادَتِ المِياهُ إلى مَجاريها ، أ لَيْسَ كَذلِكَ ؟ »

« بَلى ، أعْتَقِدُ ذلِكَ .»

« حَسَنٌ ، هَلْ كُنْتَ تُريدُ أنْ تُخْبِرَني بِشَيْءٍ آخَرَ . إنَّني مَشْغولَةٌ لِلْغايَةِ هذا الصَّباحَ .»

« نعَمْ يا غُوين ، لَقَدْ حَصَلْتُ عَلى الإجازَةِ الَّتي حَدَّثْتُكِ عَنْها . هَلْ يُمْكِنُني أنْ أراكِ اللَّيْلَةَ لِنَذْهَبَ مَعًا إلى أيِّ مَكانٍ ؟»

« سَوْفَ أذْهَبُ إلى لَنْدَن اللَّيْلَةَ يا داڤيد ، وَلكِنْ بِمَقْدورِكَ أنْ تَصْحَبَني إلى الحَفْلِ مَساءَ غَدٍ .»

« لَنْ أذْهَبَ إلى الحَفْلِ .»

« لَنْ تَذْهَبَ ! آهِ يا داڤيد ! لا تُخَيِّبْ ظَنّي ! لِماذا لا تُريدُ الذَّهابَ إلى الحَفْلِ ؟»

« سأكونُ سائِرًا وَسْطَ التِّلالِ .»

« يا لَهُ مِنْ سُخْفٍ ! لَيْسَ ثَمَّةَ ما يَضْطَرُّكَ إلى الذَّهابِ غَدًا .»

« أريدُ أنْ أبْتَعِدَ ، وَيَبْدو أنَّ الأمورَ قَدْ بَلَغَتْ حَدًّا لا أطيقُهُ .»

« لا تَكُنْ سَخيفًا يا داڤيد !»

« إنّي آسِفٌ يا غُوين .» قالَها وَالفُتورُ يَشوبُ صَوْتَهُ .

« كَما تَشاءُ ، سَوْفَ أجِدُ شَخْصًا غَيْرَكَ .»

« نَعَمْ ، يُمْكِنُكِ أنْ تَفْعَلي ذلِكَ .»

« سَوْفَ أراكَ عِنْدَما تَعودُ ؟»

« نَعَمْ يا غُوين .»

« إلى اللِّقاءِ .»

وَسَمِعَ صَوْتَ السَّمّاعَةِ وَهِيَ تَضَعُها بِعَصَبِيَّةٍ ، أمّا سَمّاعَتُهُ فَقَدْ وَضَعَها عَلى مَهْلٍ ، وَكانَ يُحَمْلِقُ إلَيْها عابِسًا . وَتَناوَلَ قَلَمَهُ وَهُوَ يَتَنَفَّسُ الصُّعَداءَ ، وَراحَ يَكْتُبُ دونَ تَوَقُّفٍ ، وَ مَلأَ بِكِتابَتِهِ عَدَدًا مِنَ الصَّفَحاتِ ، وَتَوَقَّفَ مَرَّةً أثْناءَ ذلِكَ ، وَ رَفَعَ فِنْجانَ الشّايِ ، وَكانَ قَدْ بَرَدَ ، وَلكِنَّهُ شَرِبَهُ دُفْعَةً واحِدَةً ثُمَّ اسْتَأْنَفَ الكِتابَةَ .

الفصلُ الرّابعُ

اِسْتَيْقَظَ غلين أوين مِنْ نَوْمِهِ في ساعةٍ مُبكّرةٍ مِنَ الصَّباح ، وَنَزَل إلى المَطْبَخِ في الظّلام ، وَأشْعَلَ المَوْقدَ ثُمَّ وَضَعَ عَلَيْهِ الماءَ لِيَغْلِيَ ، وَلَمْ يَنْتَظِرْ حَتّى يَغْلِيَ بَلْ ذَهَبَ إلى غُرْفَةِ الجلوسِ حَيْثُ نَظَّفَ المِدْفَأة، وَأخَذَ الرَّمادَ إلى الفِناءِ الخارجِيِّ وأفْرَغَهُ ، وَ وَقَفَ لَحْظَةً دونَ حَراكٍ يَنْظُرُ إلى السَّماءِ ، وَكانَتِ الشَّمْسُ توشِكُ عَلى الشُّروقِ ، وَكانَ اليَوْمُ يُنْبِئُ بِأنّهُ سَيَكونُ صَحْواً .

عِنْدَما رَجَعَ إلى المَطْبَخِ وَجَدَ فيهِ زَوْجَتَهُ جُون ، وَكانَتِ الزَّوْجَةُ أطْوَلَ مِنْ زَوْجِها ، وَلَمْ تَكُنْ قَدِ ارْتَدَتْ مَلابِسَها كامِلَةً ، وَكانَ شَعْرُها الأحْمَرُ الطَّويلُ مَلْفوفاً وَراءَ ظَهْرِها ، مِمّا جَعَلَ وَجْهَها يَبْدو أكْبَرَ مِنْ حَقيقَتِهِ وَقَريبَ الشَّبَهِ بِوَجْهِ رَجُلٍ ، وَمَعَ ذلِكَ فَقَدْ كانَتْ مَلامِحُها جَميلَةً . وَعِنْدَما كانَ شَعْرُها يُحيطُ بِوَجْهِها كانَ يَبْدو أرَقَّ وَ أجْمَلَ ، وَكانَتْ قَدْ فَرَغَتْ مِنْ إعْدادِ الشّاي ؛ فَصَبَّتْ بَعْضَهُ في فِنْجانٍ ، وَ وَضَعَتْ عَلَيْهِ قَليلاً مِنَ اللَّبَنِ ثُمَّ قَدَّمَتْهُ لِزَوْجِها .

سَألَها : « هَلْ سَيَنْزِلُ الأطْفالُ الآنَ ؟»

« لا ، وَلكِنّهُمْ بَدَأوا يَسْتَيْقِظونَ .»

« مِنَ الأفْضَلِ أنْ أشْعِلَ المِدْفَأةَ .»

وَ أخَذَ رَشْفَةً كَبيرَةً مِنَ الشّاي ، وَ ذَهَبَ إلى غُرْفَةِ الجُلوسِ ، وَ وَضَعَ وَرَقاً وَخَشَباً في المِدْفَأةِ الكَبيرَةِ ، وَكانَ بِجِوارِها دَلْوٌ بِهِ فَحْمٌ ، وَ أشْعَلَ الوَرَقَ وَ بَدَأ يَضَعُ الفَحْمَ في المِدْفَأةِ .

وَجاءَتْ جُون وَ وَقَفَتْ عِنْدَ البابِ وَقالَتْ : « يوجَدُ ماءٌ ساخِنٌ، هَلْ تُريدُ أنْ تَحْلِقَ ؟»

قالَ : « لا ، سَوْفَ أحْلِقُ في المَساءِ قَبْلَ الذَّهابِ إلى الحَفْلِ .»

« نَعَم ، لَقَدْ نَسيتُ ذلِكَ .»

« أ حَقيقَةً لَنْ تَذْهَبي مَعي إلى الحَفْلِ ؟»

« نَعَمْ ، سأكونُ أكْثَرَ راحَةً في البَيْتِ . سَوْفَ يَكونُ الحَفْلُ كُلُّهُ ثَرْثَرَةً .»

« كَمْ أتَمَنّى لَوْ تَذْهَبينَ .»

هَزَّتْ رَأسَها بِالنَّفْيِ ، وَ وَقَفَ يَنْفُضُ يَدَيْهِ مِنْ تُرابِ الفَحْمِ .

قالَ : « يَحْسُنُ أنْ أغْسِلَ يَدَيَّ . إنَّ الأطْفالَ قادِمونَ ، فإنّي أسْمَعُ وَقْعَ أقْدامِهِمْ .»

رَجَعَتْ جُون إلى المَطْبَخ وَ أخَذَتْ تُعِدُّ طَعامَ الإفْطارِ ، وَكانَتْ تَسْمَعُ الأطْفالَ يَتَصايَحونَ وَ يَضْحَكونَ في الدَّوْرِ العُلْويِّ . وَغَسَلَ غلين يَدَيْهِ في المَطْبَخ ، ثُمَّ صَعِدَ إلى الدَّوْرِ العُلْويِّ لِيُكْمِلَ ارْتِداءَ مَلابِسِهِ .

وَعِنْدَما رَجَعَ إلى المَطْبَخ كانَ الأوْلادُ جالِسينَ إلى مائِدَةِ الطَّعام ، وَكَفّوا عَنِ الحَديثِ لَحْظَةً وَ نَظَروا إلَيْهِ ، فابْتَسَمَ وَ رَبَّتَ بِيَدِهِ عَلى رَأسِ أصْغَرِهِمْ ، فَعادوا إلى الحَديثِ مَرَّةً أخْرى .

قالَ لِجُون : « لَقَدْ تَوَقَّفَ المَطَرُ . سَوْفَ يَكونُ يَوْماً لَطيفاً .»

وَناوَلَتْهُ جُون طَعامَهُ ، وَ بَدَأَ يَأكُلُ ، ثُمَّ سَأَلَ الأطْفالَ : « ماذا سَتَفْعَلونَ اليَوْمَ ؟»

قالَ أكْبَرُهُمْ وَقَدْ بَدَتْ عَلاماتُ الدَّهْشَةِ عَلى وَجْهِهِ : « سَوْفَ نَذْهَبُ إلى المَدْرَسَةِ !»

« وَ ماذا سَتَفْعَلونَ في المَدْرَسَةِ ؟»

« نَتَعَلَّمُ !»

« وَ ماذا تَتَعَلَّمونَ ؟ ماذا تَعَلَّمْتَ بِالأمْسِ ؟»

قالَتْ جُون : « دَع الأطْفالَ وَشأنَهُمْ يا غلين ، دَعْهُمْ يَتَناوَلوا إفْطارَهُمْ .»

قالَ ريس الطِّفْلُ الأوْسَطُ : « هَلْ تَتَكَرَّمُ بِإعْطائِنا سِتَّةَ بِنْساتٍ يا أبي ؟»

قالَ غلين : « سِتَّةُ بِنْساتٍ ! لِماذا ؟»

« لِنَشْتَرِيَ بَعْضَ الحَلْوَياتِ وَ نَحْنُ في طَريقِنا إلى المَدْرَسَةِ .»

« حَلْوَياتٌ ؟! أنْتُمْ لا تَحْتاجونَ إلى الحَلْوَياتِ ، سَوْفَ تُفْسِدُ أسْنانَكُمْ .»

« إنَّ قَليلاً مِنَ الحَلْوَياتِ لَنْ يَضُرَّ بِأسْنانِهِمْ يا غلين . أعْطِهِمْ سِتَّةَ بِنْساتٍ ، فَهُوَ مَبْلَغٌ لا يَشْتَري الكَثيرَ .»

قالَ : « إنَّ سِتَّةَ بِنْساتٍ هِيَ سِتَّةُ بِنْساتٍ ! وَعِنْدَما كُنْتُ طِفْلاً ، كانَتِ البِنْساتُ السِّتَّةُ مَبْلَغاً كَبيراً ، وَكانَ عَلَيْكِ أنْ تَعْمَلي بِجِدٍّ لِتَحْصُلي عَلَيْها !»

قالَتْ : « أنْتَ تَتَحَدَّثُ دائِماً عَنْ تِلْكَ الأيّامِ الغابِرَةِ ! أعْطِهِمْ

النُّقودَ .»

قالَ : « هَلْ تُريدينَ مِنّي أنْ أفْسِدَ الأطْفالَ يا جُون ؟» وَلكِنَّهُ وَضَعَ سِتَّةَ بِنْساتٍ عَلى المائِدَةِ .

وَسَمِعَ صَوْتًا في الخارِجِ فَقالَ : « لا بُدَّ أنَّها الصَّحيفَةُ .»

وَ نَهَضَتْ جُون قائِلَةً : « سَوْفَ أحْضِرُها .»

« لا ، أنا الَّذي سَأحْضِرُها ؛ أريدُ أنْ أُلْقِيَ نَظْرَةً عَلى صَفْحَةِ الرِّياضَةِ .»

وَ مَرَّ وَقْتٌ طَويلٌ قَبْلَ أنْ يَعودَ . وَعادَ بِبُطْءٍ ، ثُمَّ تَوَقَّفَ عِنْدَ البابِ، وَهُوَ لا يَزالُ يَقْرَأ ، مُقَطِّبَ الجَبينِ .

سَألَتْهُ جُون : « ماذا حَدَثَ ؟»

انْفَجَرَ قائِلاً : « إنَّهُ فريزْبي مَرَّةً أخْرى . إنَّهُ يُشْبِهُ امْرأةً عَجوزًا سَخيفَةً ! إنَّهُ ... » ثُمَّ تَوَقَّفَ وَنَظَرَ إلى الأطْفالِ وَقالَ لَهُمْ بِغَضَبٍ : « هَيّا ، لَقَدِ انْتَهَيْتُمْ مِنْ طَعامِ الإفْطارِ . اِصْعَدوا إلى الطّابَقِ العُلْوِيّ وَ اغْسِلوا وُجوهَكُمْ وَ اسْتَعِدّوا لِلْمَدْرَسَةِ .»

وَ أسْرَعَ الأطْفالُ بِمُغادَرَةِ الغُرْفَةِ . وَ سَألَتْهُ جُون : « هَلْ

بِالصَّحيفَةِ مَقالٌ لِفريزْبي ؟ لا يَزالُ أمامَ الأطْفالِ وَقْتٌ كافٍ قَبْلَ أنْ يَحينَ مَوْعِدُ ذَهابِهِمْ إلى المَدْرَسَةِ .»

« إنَّهُمْ يَتَصَرَّفونَ بِبُطْءٍ شَديدٍ . عَلَيْهِمْ أنْ يَتَأهَّبوا الآنَ .»

« ماذا تَقولُ الصَّحيفَةُ ؟»

« اِسْتَمِعي .»

وَ هَزَّ الصَّحيفَةَ وَ راحَ يَقْرَأ وَ هُوَ عابِسُ الوَجْهِ .

كانَ مَقالُ فريزْبي يَتَناوَلُ المَشْروعَ الذَّرِّيَّ مَرَّةً أخْرى . وَجاءَ فيهِ أنَّ النّاسَ لَمْ يَتَقَبَّلوا الفِكْرَةَ في بادِئِ الأمْرِ عَلى الإطْلاقِ ، وَلكِنَّهُمْ تَحَدَّثوا جَميعًا بَعْدَ ذلِكَ عَنِ المَشْروعِ وَ وافَقوا عَلَيْهِ ؛ إذْ إنَّهُ جَلَبَ الأمْوالَ لِلْوادي . وَلكِنْ تُرى هَلْ تَسَرَّعَ النّاسُ في قَرارِهِمْ ؟ هَلْ فاتَهُمْ شَيْءٌ ؟ هَلْ كانَتِ الأمْوالُ أهَمَّ مِنَ الأمْنِ وَ السَّلامَةِ ؟ هَلْ مِنَ المُحْتَمَلِ أنْ يَنْطَوِيَ المَشْروعُ عَلى بَعْضِ المَخاطِرِ ؟ إنَّ العُلَماءَ يَعْرِفونَ أشْياءَ كَثيرَةً ، وَ لكِنَّهُمْ لايَعْرِفونَ كُلَّ شَيْءٍ . وَ تَوَقَّفَ غلين عَنِ القِراءَةِ .

سَألَتْهُ جُون : « هَلْ هذا كُلُّ شَيْءٍ ؟»



« لا ، وَلكِنَّ بَقِيَّةَ المَقالِ على هذا النَّحوِ . إنَّهُ يُصيبُني بِالغَثَيانِ ! »

« ماذا يُريدُ أنْ يَقولَ ؟ »

قالَ غلين : « إنَّهُ لا يَعْرِفُ ، هُوَ يُحاوِلُ فَقَطْ أنْ يُثيرَ المَتاعِبَ ، يَتحدَّثُ عَنِ الخطَرِ ، ذلِكَ العَجوزُ الأحْمَقُ ! كَمْ وَدِدْتُ لَوْ كانَ هُنا ، عِنْدَئِذٍ كُنْتُ ... » وَ أخَذَ يَبْسُطُ راحَةَ يَدِهِ وَ يَقْبِضُها بِغَضَبٍ .

قالَتْ لَهُ بِهُدوءٍ : « لا تَهْتَمَّ . لَيْسَ في هذا المَقالِ أيُّ خطَرٍ ، وَ يحْسُنُ أنْ تَمْضِيَ إلى عَمَلِكَ ، ألَمْ تَتأخَّرْ ؟ »

اِلْتَفتَ إلَيْها قائِلاً : « هَلْ تَظُنّينَ أنّي غَبِيٌّ ؟! إنَّكِ دائِمَةُ الحَديثِ عَنِ العَمَلِ . لَقَدْ مَرَّتْ بِنا أيّامٌ لَمْ يَكُنْ هُناكَ عَمَلٌ . وَكانَ النّاسُ يَسيرونَ عِدَّةَ كيلو مِتْراتٍ باحِثينَ عَنِ العَمَلِ ، وَ رَحَلَ بَعْضُهُمْ عَنِ الوادي لِلأبَدِ . »

« إنَّكَ تُبالِغُ في هذا المَوْضوعِ ؛ فَقَدْ حَدَثَ هذا مُنْذُ فَتْرَةٍ طَويلَةٍ . »

« أ صَحيحٌ هذا ؟ أ لَمْ يَحْدُثْ قَبْلَ الحَرْبِ وَ بَعْدَ الحَرْبِ ؟ لَقَدْ سَمِعْتُ أبي يَتَحَدَّثُ عَنْ هذا المَوْضوعِ ، وَأنْتِ لا تَعْرِفينَ ما حَدَثَ . »

« لَقَدْ كُنْتُ أعيشُ في وادٍ مِثْلِ هذا الوادي عِنْدَما كُنْتُ صَغيرَةً . غلين ، أنْتَ تَغْضَبُ دونَ داعٍ . »

« نَعَمْ ، وَلكِنَّ أباكِ كانَ يَمْلِكُ مَتْجَراً ، وَلَمْ يَكُنْ لأبي مِثْلُهُ . لَقَدْ كُنْتُ صَغيراً ، وَلكِنْ في وُسْعي أنْ أتَذَكَّرَ حالَهُ آنَذاكَ ؛ لَقَدْ كانَ يَجْلِسُ ساكِناً وَيُفَكِّرُ لِساعاتٍ ، لَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ شَيْءٌ يَفْعَلُهُ ، لَمْ يَكُنْ هُناكَ عَمَلٌ وَلا نُقودٌ . »

وَضَعَتْ جُون يَدَها عَلى ذِراعِهِ قائِلَةً : « مَتى تَتَوَقَّفُ عَنْ مِثْلِ

هذا التَّفْكيرِ يا غلين . اِنسَ فريزبي ، فَلَيْسَ في وُسْعِهِ أنْ يُلْحِقَ بِكَ أذًى .»

« بِدونِ المَشْروعِ لَنْ يَكونَ هُنا عَمَلٌ كافٍ أوْ نُقودٌ كافِيَةٌ . فَكِّري في نَفْسِكِ وَ في الأطْفالِ .»

قالَتْ لَهُ وَهِيَ تَهُزُّ ذِراعَهُ : « سَوْفَ نَكونُ بِخَيْرٍ . كُفَّ عَنْ هذا السُّخْفِ ! لا تَخْشَ العَوْدَةَ إلى حالَةِ الفَقْرِ مَرَّةً أخْرى . ماذا يُخيفُكَ ؟»

أزاحَ يَدَها قائِلاً : « يُخيفُني ! أنا ؟ أنا لا أخافُ شَيْئًا .»

وَحَمْلَقَ إلَيْها لَحْظَةً ثُمَّ سارَ إلى المَطْبَخِ ، وَ أخَذَ عُلْبَةً بِها بَعْضُ الطَّعامِ ، وَ اتَّجَهَ نَحْوَ البابِ الخارِجِيِّ . وَ بَعْدَ فَتْرَةٍ سَمِعَتْهُ يُغْلِقُ البابَ وَراءَهُ بِعُنْفٍ ، فَقَطَّبَتْ جَبينَها ثُمَّ ابْتَسَمَتْ وَ هَزَّتْ رَأْسَها ، وَ راحَتْ تَنْقُلُ الأشْياءَ مِنَ المائِدَةِ إلى المَطْبَخِ ، ثُمَّ غَسَلَتِ الأطْباقَ وَ تَوَجَّهَتْ صَوْبَ الدَّرَجِ وَ نادَتْ طِفْلَيْها :

« رِيس ! هيو ! أسْرِعا ، سَتَتَأخَّرانِ ، لَنْ يَكونَ لَدَيْكُما وَقْتٌ لإنْفاقِ البِنْساتِ السِّتَّةِ .»

*****

كانَ في الشّارِعِ عَدَدٌ مِنَ الرِّجالِ يَسيرونَ في اتِّجاهٍ واحِدٍ وَيَتَحَدَّثونَ مَعًا . وَ أبْطَأَ غلين في سَيْرِهِ في بادِئِ الأمْرِ حَتّى يَكونَ بِمُفْرَدِهِ ، وَقالَ لِنَفْسِهِ عِباراتٍ غاضِبَةً مُقْتَضَبَةً ، ثُمَّ أسْرَعَ يَلْحَقُ بِشَخْصَيْنِ .

قالَ أحَدُهُما : « صَباحُ الخَيْرِ يا غلين .»

رَدَّ غلين : « صَباحُ الخَيْرِ يا إيفان ، صَباحُ الخَيْرِ يا تُوم . هَلْ قَرَأْتُما الصَّحيفَةَ ؟»

سَأَلَ إيفان مُبْتَسِماً : « الصَّحيفَةَ ؟ لا لَمْ يَكُنْ عِنْدي وَقْتٌ في الصَّباحِ لِقِراءَتِها .» وَكانَ إيفان ضَخْمَ الجِسْمِ ذا وَجْهٍ مُسْتَديرٍ دائِمِ الاِبْتِسامِ .

قالَ لَهُ تُوم : « أنْتَ في حاجَةٍ إلى أنْ تَسْتَيْقِظَ مُبَكِّرًا يا صَديقي . إنَّكَ تُحِبُّ النَّوْمَ كَثيراً !» وَكانَ تُوم أصْغَرَ جِسْماً مِنْ زَميلَيْهِ ، وَكانَ يُحَرِّكُ رَأْسَهُ بِسُرْعَةٍ بَيْنَ غلين وَ إيفان .

« ماذا قَرَأْتَ في الصَّحيفَةِ يا غلين ؟»

قالَ غلين بِصَوْتٍ جادٍّ : « بِالصَّحيفَةِ مَقالٌ جَديدٌ لِفريزبي . إنَّهُ يُهاجِمُ فيهِ المَشْروعَ مَرَّةً أخْرى .»

قالَ توم : « إنَّ فريزْبي دائِمُ الهُجوم على المَشروع . أ لا ترى أنّهُ سُخْفٌ منْهُ ؟ في وُسْعِكَ بِالطَّبْعِ أنْ تفْهَمَ الدّافعَ وراءَ ذلكَ ؛ لَقدْ كانَ فيما مَضى شَخْصِيَّةً لَها أهمِّيَّتُها في الوادي ، أمّا الآنَ فَقَدْ جاءَ كُلُّ هؤُلاءِ النّاسِ مِنْ لَنْدَن ، وَلَمْ تَعُدْ لَهُ تِلْكَ الأهَمِّيَّةُ الّتي كانَ يَتَمَتَّعُ بِها ، وَهُوَ لا يُحِبُّ ذلِكَ .»

نَظَرَ غلين إلَيْهِما وَقالَ : « إنَّهُ يَدَّعي أنَّ في المَشْروع خُطورَةً !» وَلكِنْ لَمْ يُبْدِ زَميلاهُ اهْتِماماً كَبيراً بِالمَقالِ .

قالَ إيڤان : « لَمْ يَكُنْ فَريزْبي دائِماً ذا أهَمِّيَّةٍ .»

قالَ تُوم : « وَلِهذا فَهُوَ يُريدُ أنْ تَكونَ لَهُ أهَمِّيَّةُ الآنَ . لَقَدْ كانَتْ أمّي تَعْرِفُ أمَّهُ ، وَتَعْرِفُ أنَّ بَيْتَهُمْ كانَ مُتَواضِعاً ، وَأنَّهُمْ كانوا قَوْماً بُسَطاءَ مِثْلَنا ، ثُمَّ وَرِثوا ثَرْوَةً مِنْ شَخْصٍ ما .»

قالَ إيڤان : « مِنْ أحَدِ أعْمامِهِ .»

« هَلْ كانَ عَمَّهُ ؟ نَعَمْ ، هذا صَحيح ، إنّي أتَذَكَّرُ ذلِكَ . لَقَدْ كانَ مَبْلَغاً كَبيراً مِنَ المالِ ؛ فَأرْسَلَ الوالِدانِ ابْنَهُما فَريزْبي إلى الجامِعَةِ ، وَبَعْدَ أنْ عادَ بَدَأ يَعْمَلُ بِالصَّحيفَةِ .»

قالَ إيڤان : « الجامِعَةُ ؟ أنا لا أعْرِفُ ذلِكَ ، لَقَدْ كُنْتُ أعْتَقِدُ

أنّهُ كانَ يَعْمَلُ في لَنْدَن .»

قالَ تُوم : « لا ، لَقَدْ ذَهَبَ إلى الجامِعَةِ ، وَلكِنَّهُ لَمْ يُوَفَّقْ كَثيراً في دِراسَتِهِ ، بَلْ عادَ وَ في رَأْسِهِ فِكْرَةٌ كَبيرَةٌ عَنْ نَفْسِهِ ، ثُمَّ تَغَيَّرَ بِدَرَجَةٍ أكْبَرَ عِنْدَما اشْتَرى الصَّحيفَةَ ، وَلَمْ يَعُدْ يَتَحَدَّثُ إلى أناسٍ مِثْلِنا .»

قالَ غلين بِلَهْجَةٍ جادَّةٍ : « إنَّهُ خَطَرٌ عَلَيْنا .»

ضَحِكَ تُوم وَقالَ : « خَطَرٌ ! فَريزْبي ! لا تَكُنْ سَخيفاً يا صَديقي ! إنَّ خَطَرَهُ أشْبَهُ بِخَطَرِ الشّاةِ العَجوزِ !»

وَكانوا قَدْ بَلَغوا مَحَطَّةَ الأتوبيس ، حَيْثُ كانَ بِانْتِظارِهِ حَشْدٌ آخَرُ مِنَ النّاسِ ، فَنادى تُوم وَ إيڤان بَعْضَ أصْدِقائِهِما وَ راحوا يَتَحَدَّثونَ . أمّا غلين فَقَدْ وَقَفَ بَعيداً ، ثُمَّ نَظَرَ تُوم إلى الشّارِعِ وَقالَ : « أنْظُروا ، إلى أيْنَ يَذْهَبُ مُورْغان ؟»

وَكَفَّ الرِّجالُ عَنِ الحَديثِ ، وَنَظَروا فَوَجَدوا مُورْغان يَسيرُ في آخِرِ الشّارِعِ ، وَكانَ يَنْتَعِلُ حِذاءً طَويلَ الرَّقَبَةِ ، وَ يَرْتَدي مَلابِسَ ثَقيلَةً ، وَيَحْمِلُ حَقيبَةً على ظَهْرِهِ .

قالَ أحَدُ الرِّجالِ: « إنَّهُ ذاهِبٌ لِيَقْطِفَ الزُّهورَ مِنْ وَسَطِ التِّلالِ .»

قالَ آخَرُ : « لَنْ يَجِدَ الكَثيرَ مِنها في مِثْلِ هذا الجَوِّ المُضْطَرِبِ . »

قالَ تُوم : « سَوْفَ يَتَحَدَّثُ إلى الأغْنامِ في التِّلالِ ! إنَّهُ لَيْسَ لَدَيْهِ عَمَلٌ يَقومُ بِهِ ، أ لَيْسَ مَحْظوظاً ؟! »

قالَ غلين : « عَمَلٌ ؟! وَ أيُّ عَمَلٍ حَقيقِيٍّ يَقومُ بِهِ هؤُلاءِ العُلَماءُ ؟! »

وَجاءَ الأتوبيسُ وَصَعِدَ إلَيْهِ الرِّجالُ ، وَجَلَسَ غلين بِمُفْرَدِهِ ، وَقَدْ ظَهَرَ الغَضَبُ على وَجْهِهِ مَرَّةً أخرى ، وَلَمْ يَجْلِسْ بِجِوارِهِ أحَدٌ .

مَضى اليَوْمُ شاقًّا ثَقيلاً على غلين في عَمَلِهِ . وَعِنْدَما عادَ إلى بَيْتِهِ لَمْ يَتَحَدَّثْ كَثيراً إلى جُون الَّتي كانَتْ مُنْشَغِلَةً بِأعْمالِ البَيْتِ وَمَعَ الأطْفالِ ، وَكانَتْ قَدْ تَرَكَتْ لَهُ بَعْضَ الطَّعامِ في الفُرْنِ ، فالْتَقَطَ طَبَقَهُ مِنْهُ وَ وَضَعَهُ على المائِدَةِ وَبَدَأ يَأكُلُ ، وَكانَ وَجْهُهُ لا يَزالُ مُتَجَهِّماً .

سَألَتْهُ جُون : « مَتى يَبْدَأُ الحَفْلُ ؟ » وَكانَتْ تُهَيِّئُ أصْغَرَ الأطْفالِ لِلنَّوْمِ وَهِيَ بِجِوارِ المِدْفَأةِ .

قالَ : « في السّابِعَةِ ، وَقَدْ قُلْتُ لَكِ ذلِكَ مِنْ قَبْلُ . »

« سَوْفَ تَقْضي وَقْتاً سَعيداً . »

« أ تَعْتَقِدينَ ذلِكَ ؟ » وَدَفَعَ كُرْسِيَّهُ إلى الخَلْفِ وَنَهَضَ ، ثُمَّ صَعِدَ إلى الطّابَقِ العُلْوِيِّ . وَكانَ الطِّفْلُ مُهَيَّئاً لِلنَّوْمِ ، فَنَهَضَتْ جُون حامِلَةً طِفْلَها بَعْدَ لَحَظاتٍ قَليلَةٍ ، وَ تَبِعَتْ غلين إلى الطّابَقِ العُلْوِيِّ ، حَيْثُ أرْقَدَتِ الطِّفْلَ في فِراشِهِ مَعَ أخَوَيْهِ . وَعِنْدَئِذٍ سَمِعَتْ غلين يُناديها .

رَدَّتْ عَلَيْهِ قائِلَةً : « اِنْتَظِرْ قَليلاً ! »

صاحَ مَرَّةً أخرى : « جُون ! »

وَتَحَدَّثَتْ إلى الطِّفْلِ الصَّغيرِ بِلُطْفٍ وَحَنانٍ ثُمَّ تَرَكَتْهُ . وَنَظَرَتْ إلى الحَمّامِ وَلَمْ يَكُنْ بِهِ أحَدٌ ، وَسَمِعَتْ غلين يَصيحُ مَرَّةً أخْرى : « جُون ! »

غادَرَتْ جُون الحَمّامَ وَأسْرَعَتْ إلى غُرْفَةِ النَّوْمِ حَيْثُ كانَ غلين .

« جُو ... آه ! » رَآها فَتَوَقَّفَ عَنْ مُناداتِها وَقالَ : « أيْنَ قَميصِيَ النَّظيفُ ؟ »

أشارَتْ إلى الكُرْسِيِّ قائِلَةً : « هُناكَ عَلى الكُرْسِيِّ . ماذا حَدَثَ لِوَجْهِكَ ؟! » كانَ ثَمَّةَ بُقَعُ دَمٍ على ذَقَنِهِ .

« إنَّهُ دَمٌ ، فَقَدْ جُرِحَتْ ذَقَني أثْناءَ الحِلاقَةِ . لا تَنْزَعِجي . »

قالَتْ : « اِحْذَرْ مِنْ أنْ يُلوِّثَ الدَّمُ قَميصَكَ .» ثُمَّ عادَتْ إلى الطِّفْلِ . وَ بَعْدَ بِضْعِ دَقائِقَ ذَهَبَ إلى غُرْفَةِ النَّوْمِ وَقالَ : « لَقَدْ فَرَغْتُ مِنِ ارْتِداءِ مَلابِسي ، وَسَأَذْهَبُ الآنَ .»

قالَتْ : « لا تُحْدِثْ صَوْتًا ، فَالطِّفْلُ يوشِكُ أنْ يَنامَ .»

وَخَرَجَ مِنَ الغُرْفَةِ وَتَبِعَتْهُ ، ثُمَّ نَظَرَتْ إلَيْهِ مِنْ قِمَّةِ رَأْسِهِ إلى أَخْمَصِ قَدَمَيْهِ ، وَقالَتْ : « تَبْدو أنيقًا لِلْغايَةِ .»

رَدَّ دونَ أنْ يَبْتَسِمَ : « أَ صَحيحٌ هذا ؟»

« نَعَمْ . سَوْفَ تَقْضي وَقْتًا سَعيداً .»

« رُبَّما .»

« لا تَبْدُ حَزينًا بِهذا الشَّكْلِ يا غلين ؛ إنَّكَ ذاهِبٌ إلى حَفْلٍ ! هَيّا اذْهَبْ .»

« أَوَدُّ لو تَكوني مَعي يا جُون .»

« هيا اذْهَبْ ؛ لَقَدْ تَأَخَّرْتَ كَثيراً .»

وَفي الخارِجِ كانَ المَطَرُ يَتَساقَطُ رَذاذاً . وَسارَ غلين عَلى مَهْلٍ ؛ فَلَمْ يَكُنْ مِنْ طِباعِهِ أنْ يُسْرِعَ في سَيْرِهِ حَتّى لَوْ كانَ المَطَرُ غَزيراً .

وَكانَ أَثْناءَ سَيْرِهِ يَضَعُ يَدَيْهِ في جَيْبَيْهِ . وَكانَ فُنْدُقُ جُورج أَكْبَر فَنادِقِ تريورْن ، وَهُوَ عِبارَةٌ عَنْ مَبْنًى مُرْتَفِعٍ باهِتٍ يَرْجِعُ بِناؤُهُ إلى تِسْعينَ سَنَةً مَضَتْ ، وَقَدْ أَثَّرَ الجَوُّ في جُدْرانِهِ الرَّمادِيَّةِ الباهِتَةِ فَجَعَلَها أَكْثَرَ كَآبَةً ، وَلَمْ تَنْجَحِ الأنْوارُ المُضاءَةُ بِالدّاخِلِ في أنْ تُضْفِيَ البَهْجَةَ عَلى المَكانِ . وَ وَقَفَ غلين تَحْتَ المَطَرِ وَ أَخَذَ يَتَطَلَّعُ إلى الفُنْدُقِ ، وَكانَ الضَّوْءُ السّاطِعُ يَغْمُرُ القاعَةَ الكَبيرَةَ بِالدّاخِلِ ، وَ أَمْكَنَهُ أنْ يَرى فيها حَشْداً مِنَ النّاسِ ، فَأَخَذَ نَفَساً عَميقاً وَصَعِدَ الدَّرَجَ .

قابَلَهُ أَحَدُ المُسْتَقْبِلينَ وَأَخَذَ مِنْهُ مِعْطَفَ المَطَرِ ، ثُمَّ دَخَلَ غلين القاعَةَ وَظَلَّ واقِفاً عَلى مَقْرُبَةٍ مِنَ الزِّحامِ . لَقَدْ كانَتِ القاعَةُ فَسيحَةً، وَقَدْ بَهِتَ طِلاؤُها فَأَصْبَحَ أَصْفَرَ اللَّوْنِ بِفِعْلِ السِّنينَ . وَكانَ في الأَرْكانِ بَعْضُ النَّباتاتِ في أُصُصٍ .

وَفي الطَّرَفِ الآخَرِ مِنَ القاعَةِ كانَتْ ثَمَّةَ مِنْضَدَةٌ طَويلَةٌ مُغَطّاةٌ بِمَفْرَشٍ أَبْيَضَ . وَكانَ النّاسُ يَقِفونَ في مَجْموعاتٍ مُكَوَّنَةٍ مِنْ ثَلاثَةٍ أَوْ أَرْبَعَةِ أَفْرادٍ يَتَحَدَّثونَ مَعاً ، وَفي أَيْديهِمْ أَكْوابُ العَصيرِ ، وَ لَمْ يَتَعَرَّفْ غلين إلى أيٍّ واحِدٍ مِنْهُمْ . وَ بَعْدَ فَتْرَةٍ جاءَ إلَيْهِ السَّيِّدُ تِرِسْتُون .

قالَ تِرِسْتُون : « أنا أَعْرِفُكَ . أَنْتَ أَحَدُ رِجالِنا . أَنْتَ السَّيِّدُ ... »

ثُمَّ انْتظَرَ لِيذْكُرَ أوين اسْمَهُ .

« أنا أوين . غلين أوين .»

« تَفضَّلْ كوباً مِنَ العَصير . معْذِرَةً ! عَلَيَّ أنْ أتكلَّمَ إلى ذلِكَ الشَّخْصِ الَّذي حضَرَ لِتوِّهِ . سَأقابِلُكَ بَعْدَ لَحْظَةٍ .» وَ اتَّجَهَ تِرِسْتُون صَوْبَ البابِ .

اِتَّجَهَ غلين نَحْوَ المائِدَةِ الطَّويلَةِ فَأعْطاهُ الخادِمُ كوباً مِنَ العَصيرِ فَشرِبَهُ ، ثُمَّ طَلَبَ غَيْرَهُ .

قالَ لِنَفْسِهِ : « لَيْسَ بِالمكانِ إلا رِجالُ الإدارَةِ وَالعُلَماءُ وَكُلُّ الرِّجالِ ذَوي المكانَةِ بِالبَلْدَةِ ، وأنا لا أعْرِفُ أيَّ واحِدٍ مِنْ هؤُلاءِ مَعْرِفَةً وَثيقَةً .»

سَألَهُ الخادِمُ : « أ تَقولُ شَيْئاً يا سَيِّدي ؟»

« لا شَيْءَ . لَقَدْ كُنْتُ أحادِثُ نَفْسي . خُذْ .» وَقَدَّمَ كوبَهُ الفارِغَ إلى الخادِمِ طالِباً كوباً آخَرَ ، وَقَدَّمَهُ لَهُ الخادِمُ .

أخذَ غلين يَسيرُ في الغُرْفَةِ ، وَكانَ بِجِوارِ البابِ شابٌّ مِنْ رِجالِ الإدارَةِ يُدْعى وَلاس . سَألَهُ الشّابُّ عَنْ أسْرَتِهِ ، وَبَدَأ الرَّجُلانِ يَتَحَدَّثانِ ، وَشَعَرَ غلين بِارْتِياحٍ ، ثُمَّ نَظَرَ وَلاس عَبْرَ الغُرْفَةِ وَقالَ: « ها

هِيَ ذي الآنِسَةُ وُرْد - توماس ، لَقَدِ اصْطَحَبْتُها إلى هُنا ، وَيَحْسُنُ أنْ أذْهَبَ إلَيْها و أقَدِّمَ لَها كوباً مِنَ العَصيرِ . اِسْمَحْ لي أنْ أذْهَبَ .»

وَجَدَ غلين نَفْسَهُ وَحيداً مَرَّةً أخرى ، فَرَجَعَ وَ أخَذَ كوباً آخَرَ مِنَ العَصير، وَ بَدَأ إحْساسُهُ بِالوَحْدَةِ يَقِلُّ ، ثُمَّ رَأى رَجُلَيْنِ يُقْبِلانِ وَسْطَ الزِّحامِ نَحْوَهُ ، وَعِنْدَما اقْتَرَبا مِنْهُ وَجَدَ أنَّ أحَدَهُما هُوَ فريزْبي وَالآخَرَ هُوَ المُسْتَشارُ جونْز الَّذي كانَ طَويلَ القامَةِ ، ذا شَعْرٍ أبْيَض و وَجْهٍ طَويلٍ نَحيلٍ بِهِ تَجاعيدُ عَميقَةٌ حَوْلَ فَمِهِ . وَجاءَ و وَقَفَ بِجِوارِ غلين الَّذي وَجَّهَ نَظَرَهُ إلى فريزْبي وَقالَ لَهُ : « مَساءُ الخَيْرِ يا فريزْبي .»

« مَساءُ الخَيْرِ .» وَنَظَرَ فريزْبي خَلْفَهُ بِشَيْءٍ مِنَ الدَّهْشَةِ ، وَكانَ قَدْ أحْضَرَ كوبَيْنِ مِنَ العَصيرِ ، فَأعْطى المُسْتَشارَ جونْز أحَدَهُما ، وَسَألَ : « أنْتَ السَّيِّدُ ... السَّيِّدُ ...»

قالَ غلين بِخُشونَةٍ : « السَّيِّدُ غلين أوين . أنْتَ رَأيْتَني مِنْ قَبْلُ.»

« نَعَمْ . السَّيِّدُ أوين ، لَقَدْ نَسيتُ اسْمَكَ ، يُؤْسِفُني ذلِكَ ، فَأنا أقابِلُ الكَثيرَ مِنَ النّاسِ في هذِهِ الأيّامِ .»

قالَ غلين : « يَسُرُّني أنَّكَ جِئْتَ اللَّيْلَةَ .»

« أ صَحيحٌ ؟ لِماذا ؟» ثُمَّ ابْتَسَمَ فريزْبي وَهُوَ يومِئُ بِرَأسِهِ

الأضلع .

« كُنْتُ أريدُ أنْ أحادِثَكَ عَنْ ذلِكَ الهُراءِ السَّخيفِ الّذي نُشِرَ هذا الصَّباحَ !»

« هُراءٌ ؟! أنا لا أفْهَمُ !»

« ذلِكَ المَقالُ الّذي نُشِرَ في صَحيفَتِكَ عَنِ المَشْروع ، إنَّهُ هُراءٌ !»

تدَخَّلَ المُسْتَشارُ جُونْز قائِلاً بِصَوْتِهِ العَميقِ : « مَهْلاً يا سَيِّدُ أوين . إنَّ لَهْجَتَكَ تَنُمُّ عَنِ انْفِعالِكَ . أ لا يُمْكِنُ أنْ نَتَناسى الصَّحيفَةَ اللَّيْلَةَ ؟ هذا حفْلٌ ، لَقَدْ جِئْنا كَيْ نَسْتَمْتِعَ ، فَلْنَكُنْ جَميعاً أصْدِقاءَ .»

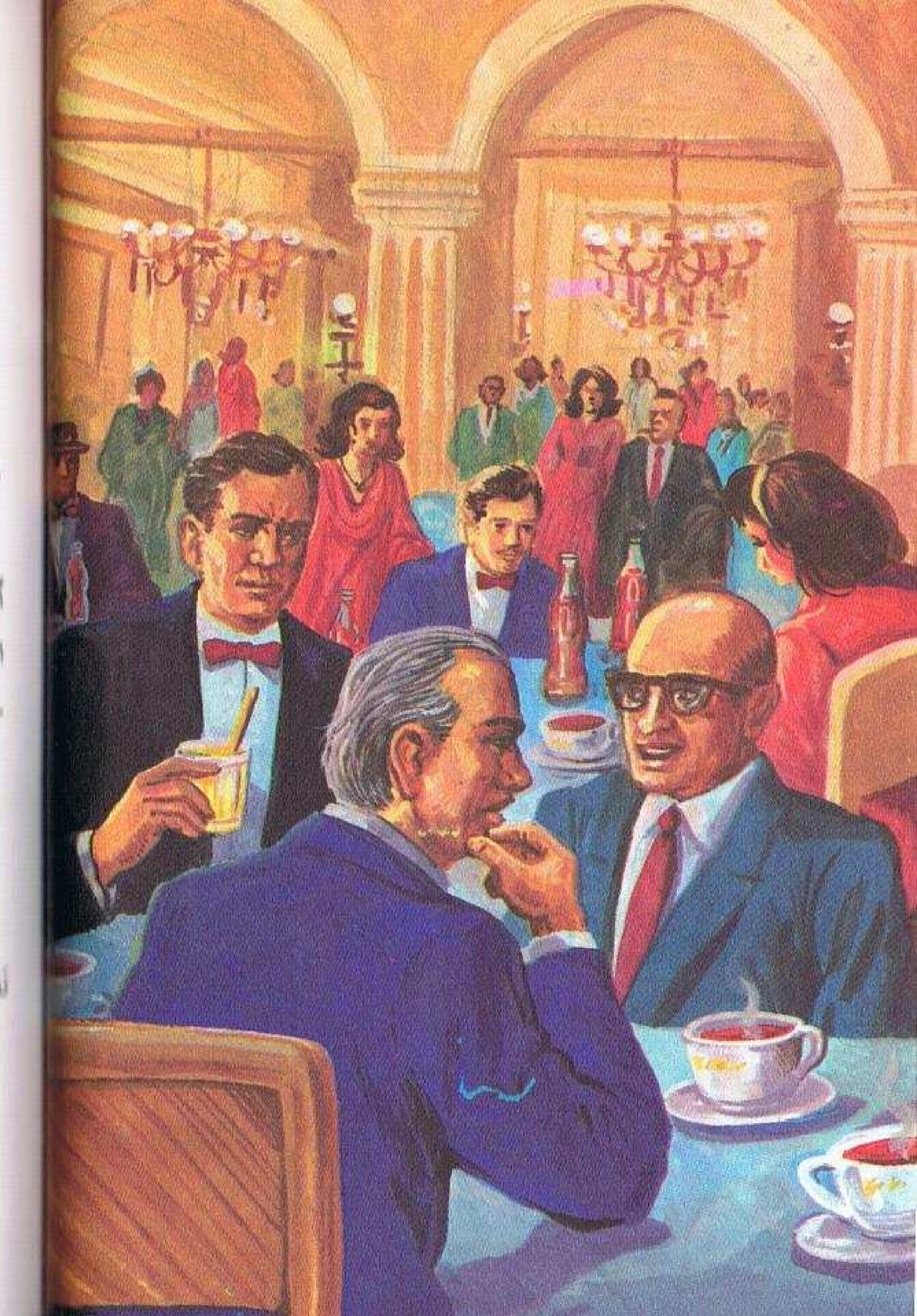
قالَ غلين : « هذا لَيْسَ مِنْ شأنِكَ !»

قالَ فريزْبي مُتَذَمِّراً : « لا تكُنْ فَظًّا !»

قالَ غلين : « يَجِبُ أنْ أكونَ فَظًّا مَعَ شَخْصٍ مِثْلِكَ . أنْتَ لا تَفْهَمُ غَيْرَ ذلِكَ .»

قالَ جُونْز لِفريزْبي : « تَعالَ يا جاك . إنَّهُ غَيْرُ مُتَّزِنٍ !»

« ماذا تَعرِفُ أنْتَ عَنِ المَشْروع يا فرِيزْبي ؟ وَما كُلُّ هذا الكَلام



عَنِ الخطَرِ ؟ إنّكَ لا تَعْرِفُ شيْئًا عَنْهُ .»

قالَ جونز بِصَوْتٍ مُرْتَفِع : « هذا أمْرٌ غَريبٌ ! إنَّ هذا الرَّجُلَ يُوَجِّهُ الإهاناتِ . كَيْفَ دَخلَ إلى هُنا ؟!»

« قَدْ تكونُ إهاناتٍ يا جونْز ، ولكِنَّها حقائِقُ .»

قالَ فريزبي : « تَعالَ يا جونز . هذا الرَّجُلُ أحدُ عُمّالِهِمْ ، وَهُوَ مُخْتَلُّ العَقْلِ ، وَلَيْسَ مِنَ الواجِبِ أنْ نَظَلَّ هُنا .» وَهَمَّ الرَّجُلانِ بِالذّهابِ .

وَلكِنَّ غلين أمْسَكَ بِسُتْرَةِ فريزْبي قائِلاً : « اِنْتَظِرْ ، أنا لَسْتُ مُخْتَلَّ العَقْلِ على الإطْلاقِ ، لَقَدْ مَكَثْتُ طَوالَ اليَوْم أفكِّرُ في هذا المَوْضوع . إنَّ المَشْروعَ لا يُمَثِّلُ أيَّ خَطَرٍ ، وَلكِنَّ الخطَرَ كُلَّهُ هُوَ أنْتَ ! يَجِبُ أنْ تَرْتَدِعَ ، وَسَأقومُ أنا بِرَدْعِكَ !»

حاوَلَ فريزْبي دَفْعَهُ عَنْهُ وَهُوَ يَقولُ : « أبْعِدْ يَدَيْكَ عَنّي .»

وَلكِنَّ غلين شَدَّدَ قَبْضَتَهُ مُتَوَعِّدًا وَقالَ : « سَوْفَ أُكْمِلُ كَلامي أوَّلاً ! سَوْفَ أُخْبِرُكُما مَنْ تَكونانِ !»

أخَذَ جونْز يَتَلَفَّتُ حَوْلَهُ قائِلاً : « هذا فَظيعٌ ! إنَّنا لَمْ نَأتِ إلى هُنا لِنَتَعَرَّضَ لِهذا !»

وَكَفَّ النّاسُ عَنِ الحَديثِ ، وَبَدَأوا يَنْظُرونَ نَحْوَهُمْ . وَكانَ وُرد – تُوماس وَ غُوين وَ وَلاس وَ ثِرِسْتُون يَقِفونَ مَعًا في أحَدِ جَوانِبِ الغُرْفَةِ .

سَألَتْ غُوين : « ما الّذي يَحْدُثُ هُناكَ يا أبي ؟»

قالَ وُرد – تُوماس : « لا أدْري ! يَبْدو أنَّ ثَمَّةَ شِجارًا . لا يُمْكِنُ الرُّؤْيَةُ بِوُضوحٍ خِلالَ هذا الزِّحام .»

قالَ ثِرِسْتُون : « شِجارٌ ! إنَّ هذا قَدْ يُفْسِدُ كُلَّ شَيْءٍ . مَنِ الّذي يَتَشاجَرُ ؟»

رَدَّ وَلاس : « فريزْبي وَ جُونْز .»

سَألَهُ وُرد – تُوماس : « وَمَنْ ذلِكَ الّذي يَتَشاجَرُ مَعَهُما ؟ إنَّهُ يُولِينا ظَهْرَهُ .»

قالَ وَلاس : « إنَّهُ غلين أوين ، أحَدُ رِجالِنا .»

قالَ ثِرِسْتُون عِنْدَما رَأى الشِّجارَ قَدْ بَدَأَ يَشْتَدُّ : « هَيّا يا وَلاس ، يَجِبُ أنْ نوقِفَ هذا ، لِنَذْهَبْ إلى هُناكَ .»

وَ أفْسَحا لَهُما بِسُرْعَةٍ طَريقًا وَسْطَ الزِّحامِ ، وَعِنْدَما وَصَلا إلى

حَيْثُ الشِّجارُ كانَ غلين يَصيحُ في وَجْهِ فريزْبي وَهُوَ لا يَزالُ مُمْسِكاً بِسُتْرَتِهِ ، وَكانَ جُونْز يُحاوِلُ أَنْ يُبْعِدَ غلين عَنْهُما ، فَدَفَعَ ثِرِسْتُون بِنَفْسِهِ بَيْنَهُما ، وَأَمْسَكَ وَلاس بِذِراعِ غلين الَّذي تَرَكَ سُتْرَةَ فريزْبي .

قالَ ثِرِسْتُون : « أنا في غايَةِ الأَسَفِ يا سَيِّدُ فريزْبي لِما حَدَثَ . أنا آسِفٌ أَيُّها المُسْتَشارُ جُونْز . أَرْجو ألا تَجْعَلا ما حَدَثَ يُفْسِدُ عَلَيْكُما الحَفْلَ . »

قالَ وَلاس لِغلين : « تَعالَ يا غلين . لا داعِيَ لإثارَةِ المَتاعِبِ ، وَأَنْتَ تَعْرِفُ ذلِكَ . لَقَدْ أَوْشَكْتُمْ عَلى أَنْ يُمْسِكَ بَعْضُكُمْ بِخِناقِ بَعْضٍ . تَعالَ مَعي . »

وَاقْتادَ غلين إلى حَيْثُ كانَ وُرد – تُوماس وَ غُوين .

قالَ غلين بِغَضَبٍ : « وَلكِنّي كُنْتُ مُحِقّاً ؛ إنَّ فريزْبي يُريدُ إخْراجَ المَشْروعِ مِنَ الوادي ، وَيَجِبُ أَنْ يوقِفَهُ أَحَدٌ . »

قالَ وَلاس : « أنا أَعْرِفُ ذلِكَ ، وَلكِنْ لَيْسَ بِهذِهِ الطَّريقَةِ . »

« لِمَ لا ؟ إنَّهُ لَيْسَ سِوى فَرْدٍ . لِماذا يُحادِثُهُ السَّيِّدُ ثِرِسْتون بِكُلِّ هذا الأَدَبِ ؟! »

وَكانا قَدْ وَصَلا إلى وُرد – تُوماس الَّذي بادَرَهُمْ بِسُؤالِهِ : « ما

المَوْضوعُ ؟ »

قالَ وَلاس : « كانَ فريزْبي وَ غلين يَتَشاجَرانِ بِسَبَبِ المَشْروعِ . »

قالَ وُرد – تُوماس : « كانَ مِنَ الواجِبِ ألا تَفْعَلَ هذا يا غلين ! هَلْ كُنْتَ فَظّاً لِلْغايَةِ مَعَهُ ؟ لَقَدْ أَثَرْتُما ضَجَّةً . »

وَلَمْ يَرُدَّ غلين الَّذي كانَ وَجْهُهُ مُحْمَرّاً مِنَ الغَضَبِ ، وَ وَقَفَ يُحَمْلِقُ إلى الأَرْضِ .

وَ مَضى وُرد – تُوماس يَقولُ : « مِنَ الأَفْضَلِ أَنْ أَذْهَبَ وَ أَتَحَدَّثَ مَعَ فريزْبي ، فَقَدْ يُمْكِنُني تَهْدِئَتُهُ . »

قالَ غلين فَجْأَةً : « سَوْفَ أَذْهَبُ ! » ثُمَّ تَرَكَهُمْ دونَ أَنْ يَنْطِقَ بِكَلِمَةٍ أُخْرى ، وَشَيَّعوهُ بِنَظَراتِهِمْ وَهُوَ يَبْتَعِدُ .

قالَ وُرد – تُوماس : « أنا موقِنٌ مِنْ أَنَّ الشِّجارَ كانَ حَوْلَ مَقالِ هذا الصَّباحِ . هَلْ كانَ مورْغان وَراءَ هذا المَوْضوعِ ؟ »

وَالْتَقَطَتْ أُذُنا غلين الكَلِماتِ الأَخيرَةَ . وَطَلَبَ غلين مِعْطَفَهُ بِغَضَبٍ ، وَلَبِسَهُ وَاخْتَرَقَ الأَبْوابَ وَخَرَجَ إلى الشّارِعِ ، وَتَوَقَّفَ لَحْظَةً وَالْتَفَتَ وَنَظَرَ إلى الفُنْدُقِ ، وَقالَ لِنَفْسِهِ : « مورْغان ! » ثُمَّ بَدَأَ يَسيرُ عائِداً إلى بَيْتِهِ بِخُطًى سَريعَةٍ غاضِبَةٍ .

الفَصْلُ الخامِسُ

كانَ مُورْغان جالِساً في مَمَرٍّ وَسْطَ التِّلالِ وَبِجوارِهِ حَقيبَتُهُ ، وَقَدْ غَطّى التُّرابُ حِذاءَهُ . كانَ ذلِكَ في ساعَةٍ مُبَكِّرَةٍ مِنَ الصَّباحِ .

وَلَمْ يَرَ الكَثيرَ مِنَ النّاسِ بَعْدَ أنْ غادَرَ تريورْن ، وَكانَ الطَّريقُ المُؤَدّي إلى التِّلالِ تَتَفَرَّعُ مِنْهُ عِدَّةُ فُروع ، وَكانَ أحَدُها يَتَّجِهُ إلى اليَسارِ عَلى هَيْئَةِ طَريقٍ زِراعِيٍّ مُنْحَدِرٍ . وَسُرْعانَ ما أفْضى هذا الطَّريقُ المُنْحَدِرُ إلى مَزْرَعَةٍ ، وَبَعْدَها كانَ ثَمَّةَ طَريقٌ ضَيِّقٌ وَصَلَ إلَيْهِ مُورْغان صَباحَ الأمْسِ ، وَأخَذَ يَتَحَدَّثُ مَعَ أحَدِ الفَلاحينَ . أمّا بَعْدَ ظُهْرِ الأمْسِ فَقَدْ رَأى بَعْضَ الجُنودِ الّذينَ كانوا في طَريقٍ آخَرَ بَعيدٍ عَنْهُ ، وَما لَبِثوا أنْ رَكِبوا سَيّارَتَهُمْ وَمَضَوْا في سَبيلِهِمْ ، كَما رَأى كَذلِكَ بَعْضَ الأغْنامِ .

نَظَرَ مُورْغان إلى أعْلى التَّلِّ فَلَمْ يَرَ تَغْييراً يُذْكَرُ ؛ فَقَدْ كانَتِ الأرْضُ مَكْسُوَّةً بِالحَشائِشِ وَالأعْشابِ ، وَكانَتِ الأعْشابُ في ذلِكَ الوَقْتِ مِنَ السَّنَةِ بُنِّيَّةَ اللَّوْنِ مِثْلَ ماءِ البِرَكِ الصَّغيرَةِ الّتي كانَتْ تُرى في كُلِّ مَكانٍ . وَهكَذا كانَ ذلِكَ الجانِبُ مِنَ التَّلِّ قَفْراً وَمُخْضَرّاً

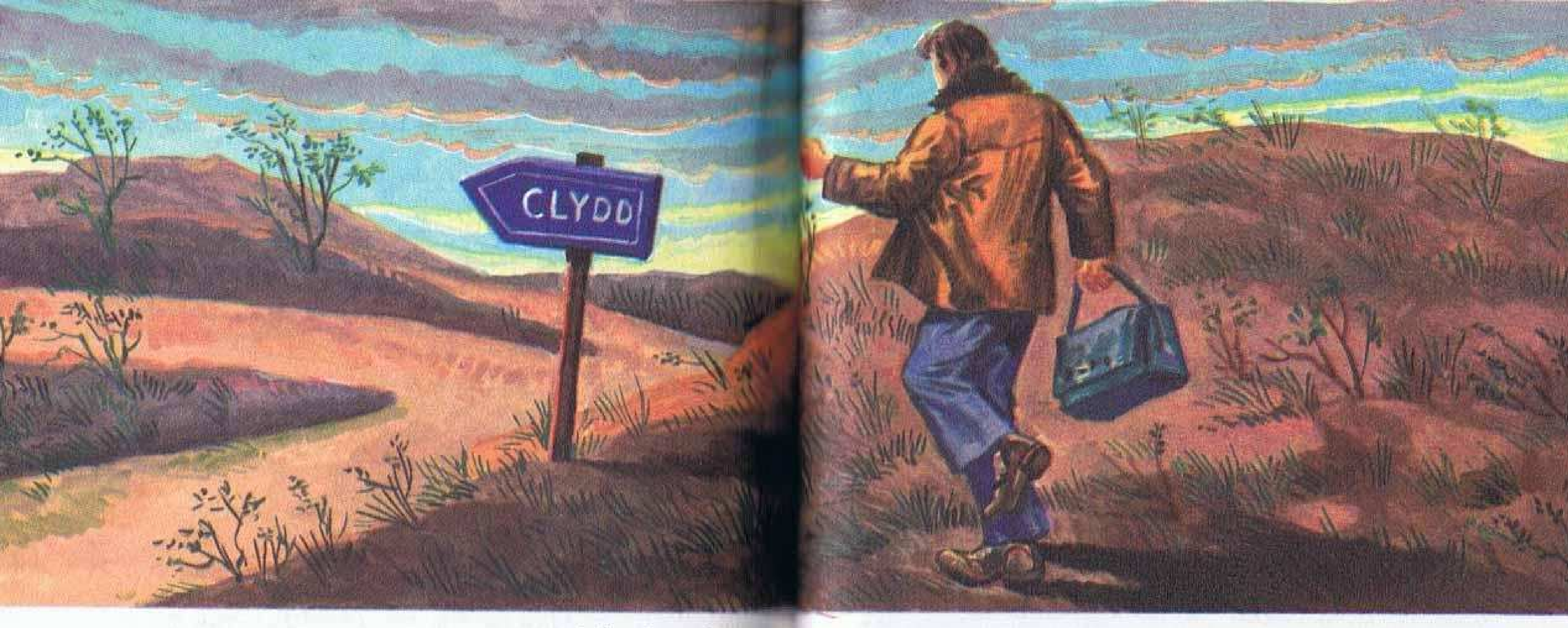
في بَعْضِ الأماكِنِ وَ بُنِّيَّ اللَّوْنِ في أماكِنَ أخرى . وَكانَتِ السَّماءُ قَدْ أمْطَرَتْ في ساعَةٍ مُبَكِّرَةٍ مِنْ صَباحِ ذلِكَ اليَوْمِ ، أمّا الآنَ فَقَدِ انْقَشَعَتِ السُّحُبُ ، وَكانَتْ قِمَّةُ التَّلِّ تَبْدو واضِحَةَ الانْحِدارِ وَسْطَ السَّماءِ الزَّرْقاءِ .

وَكانَ مُورْغان قَدْ تَوَقَّفَ في اللَّيْلَةِ الماضِيَةِ عِنْدَ بَيْتٍ ريفِيٍّ تَناوَلَ فيهِ وَجْبَةً شَهِيَّةً ، وَتَحَدَّثَ إلى المُزارِعِ صاحِبِ البَيْتِ وَ زَوْجَتِهِ ، وَدارَ حَديثُهُمْ حَوْلَ الأغْنامِ وَالبَقَرِ وَالجَوِّ ، وَلَمْ يَتَناوَلْ مَوْضوعَ مَحَطَّةِ الكَهْرَباءِ الّتي تَسْتَخْدِمُ الطّاقَةَ الذَّرِّيَّةَ .

وَنَظَرَ صَوْبَ سَفْحِ التَّلِّ ، فَرَأى ثَلاثَةَ طُرُقٍ وَلافِتَةً ، فَسَألَ نَفْسَهُ : « أيْنَ سَأذْهَبُ الآنَ ؟ إنَّ تِلْكَ اللافِتَةَ سَوْفَ تَدُلُّني .» وَ وَقَفَ وَالْتَقَطَ حَقيبَتَهُ ، ثُمَّ هَبَطَ التَّلَّ بِخُطًى وَئيدَةٍ وَهُوَ يُغَنّي بِصَوْتٍ خَفيضٍ . وَعِنْدَما وَصَلَ إلى اللافِتَةِ قَرَأ عَلَيْها اسْمَ « كَليْد » .

قالَ لِنَفْسِهِ : « كَليْد ؟ إنَّ جاكْ هيوز يَعيشُ هُناكَ ، وَ أوَدُّ أنْ أراهُ مَرَّةً أخرى . لا بُدَّ أنَّهُ قَدْ طَعِنَ في السِّنِّ الآنَ .»

لَمْ تَكُنْ كَليْد بَعيدَةً ، وَهِيَ قَرْيَةٌ صَغيرَةٌ بِها حَوالى خَمْسينَ بَيْتاً ، وَتَقَعُ هذِهِ البُيوتُ عَلى جانِبَي الشّارِعِ الرَّئيسِيِّ الّذي يوجَدُ بِهِ



أيضاً فُنْدُقُ القَرْيَةِ . وَسارَ مُورْغان عَلى مَهْلٍ في الشّارِعِ الرَّئيسِيِّ . وَكانَ مَنْظَرُ بُيوتِ القَرْيَةِ بِسُطوحِها الزَّرْقاءِ الدّاكِنَةِ وَأَحْجارِها الخَشِنَةِ جَميلاً ، وَكانَتِ الحُقولُ الخَضْراءُ تَقَعُ وَراءَ المَنازِلِ ، وَقَدْ رَأى مُورْغان بَعْضَ الأَبْقارِ ، وَسَمِعَ بَعْضَ الأَشْخاصِ يَتَحَدَّثونَ أَثْناءَ العَمَلِ ، وَلكِنَّهُ لَمْ يَرَ أَحَداً مِنْهُمْ لِيَسْأَلَهُ . ثُمَّ وَصَلَ إِلى مَتْجَرِ القَرْيَةِ ، وَعِنْدَما دَخَلَهُ دَقَّ ناقوسٌ كانَ مُعَلَّقاً وَراءَ البابِ ، فَجاءَتِ امْرَأَةٌ عَجوزٌ مِنَ الدّاخِلِ ، وَأَقْبَلَتْ نَحْوَهُ وَهِيَ تُجَفِّفُ يَدَيْها بِمِنْشَفَةٍ ، وَقالَتْ :

« صَباحُ الخَيْرِ ، لَقَدْ كُنْتُ أَقومُ بِغَسْلِ بَعْضِ الأَشْياءِ . إِنَّ الجَوَّ

اليَوْمَ صَحْوٌ ، أَلَيْسَ كَذلِكَ ؟»

قالَ : « بَلى ، إِنَّهُ يَوْمٌ لَطيفٌ . صَباحُ الخَيْرِ .»

سَأَلَتْهُ : « أَخَرَجْتَ لِتَتَرَيَّضَ بَيْنَ التِّلالِ ؟ إِنَّ هذا مُفيدٌ لِصِحَّتِكَ . هَلْ جِئْتَ مِنْ مَكانٍ بَعيدٍ ؟»

رَدَّ قائِلاً : « مِنْ تريورْن . لَقَدْ غادَرْتُها بِالأَمْسِ .»

قالَتْ وَهِيَ تَهُزُّ رَأْسَها : « أَمْسِ ؟ لَقَدْ قَطَعْتَ مَسافَةً طَويلَةً في يَوْمٍ واحِدٍ . إِنَّ تريورْن بَلْدَةٌ جَميلَةٌ ، لَقَدْ ذَهَبْتُ إِلَيْها عِدَّةَ مَرّاتٍ

عِنْدَما كُنْتُ صَبِيَّةً . كُنْتُ أَذْهَبُ إِلَيْها يَوْمَ السَّبْتِ مِنْ كُلِّ أُسْبوع
دونَ أيِّ تأخيرٍ ، وَكَأَنّي ساعةٌ مَضْبوطَةٌ ! كُنْتُ أَذْهَبُ مَعَ أبي ،
وَلكِنَّهُ تُوُفِّيَ . لَقَدْ سَمِعْتُ أَنَّهُمْ يُفْسِدونَها الآنَ ، إِنَّهُمْ يُفْسِدونَ كُلَّ
شَيْءٍ ، أ لَيْسَ كَذلِكَ ؟ هَلْ تَعْرِفُ إيڤان أُوين مِنْ تريورْن ؟ لَقَدْ
كانَ يَعْمَلُ سائِقاً لِسيّارَةِ أُجْرَةٍ بِالمَحَطَّةِ ، وَأَعْتَقِدُ أَنَّهُ لا يَفْعَلُ ذلِكَ
الآنَ ؛ لَقَدْ صارَ طاعِناً في السِّنِّ .»

قالَ مُورْغان : « لا ، وَ يُؤْسِفُني ألا أعرِفَهُ ، وَلكِنَّها بَلْدَةٌ كَبيرَةٌ ،
وَرُبَّما لايَزالُ يَعْمَلُ بِها . أُريدُ عِشْرينَ سيجارَةً مِنْ فَضْلِكِ . هَلْ
يُمْكِنُكِ أَنْ تُخْبِريني ...»

قاطَعَتْهُ قائِلَةً : « أيُّ نَوْعٍ مِنَ السَّجائِرِ ؟» ثُمَّ فَتَحَتْ صُنْدوقاً
وَ وَضَعَتْ يَدَها داخِلَهُ ، وَمَضَتْ تَقولُ :

« إِنَّ ابْني هُوَ الَّذي يُديرُ المَتْجَرَ ، وَلكِنّي أقومُ بِمُساعَدَتِهِ اليَوْمَ ،
فَلَدَيْهِ ما يَشْغَلُهُ .»

قالَ مُورْغان بِسُرْعَةٍ : « أَعْطيني عِشْرينَ سيجارَةً مِنْ نَوْعِ پلايرز .
هَلْ مِنَ المُمْكِنِ أَنْ تُخْبِريني ... »

وَمَضَتْ تَقولُ : « إِنَّ ابْني لا يَرْحَلُ كُلَّ أُسبوع ، وَلكِنّي أَهْتَمُّ

بِالمَتْجَرِ أَثْناءَ غِيابِهِ . إِنَّ المَتْجَرَ غالِباً ما يَكونُ هادِئاً في الصَّباح ،
وَيَسُرُّني أَنْ أرى وَجْهاً جَديداً . هَلْ أَنْتَ ذاهِبٌ إلى مَكانٍ بَعيدٍ ؟»

« لا ، سَوْفَ أَتَوَقَّفُ هُنا في كلِيْد . إِنّي أَبْحَثُ عَن ... »

قالَتْ : « هَلْ سَتَتَوَقَّفُ في كلِيْد ؟ إِنَّ الفُنْدُقَ لايَقْبَلُ نُزَلاءَ
جُدُداً . رُبَّما كانَ لَدى السَّيِّدَةِ جُونْز ... »

قاطَعَها مُورْغان قائِلاً : « إِنّي أَبْحَثُ عَنْ جاك هيُوز .»

« جاكُ العَجوزُ ؟ إِنَّهُ رَجُلٌ لَطيفٌ . إِنَّ زَوْجَتَهُ قَدْ تُوُفِّيَتْ .»

قالَ مُورْغان : « نَعَمْ ، لَقَدْ أَسِفْتُ لِذلِكَ ؛ إِذْ كُنْتُ أَعْرِفُها
أَيْضاً .»

« إِنَّ جاك يَعيشُ وَحيداً الآنَ ، وَمَعَ ذلِكَ فَهُوَ يَحْتَفِظُ بِروحِهِ
المَرِحَةِ . إِنَّهُ عَجوزٌ مَرِحٌ ، وَكانَ هُنا بِالأَمْسِ . أ أَنْتَ أَحَدُ أَقارِبِهِ ؟»
وَحَمْلَقَتْ إلى وَجْهِهِ بِعَيْنَيْها الزَّرْقاوَيْنِ الضَّعيفَتَيْنِ .

قالَ مُورْغان : « لا ، لَسْتُ مِنْ أَقارِبِهِ ، إِنّي مُجَرَّدُ صَديقٍ . أَيْنَ
يَقْطُنُ ؟»

« لَدَيْهِ بَيْتٌ صَغيرٌ . إِنَّهُ واحِدٌ مِنْ تِلْكَ البُيوتِ الخَمْسَةِ في آخِرِ

هذا الشّارِع .» وَأشارَتْ إلَيْهِ .

« أُنْظُرْ ، سَوْفَ أريكَ البَيْتَ .» وَمَشَتْ نَحْوَهُ بِبُطْءٍ ، ثُمَّ أمْسَكَتْ بِذِراعِهِ وَاتَّجَها نَحْوَ البابِ .

قالَتْ : « أُنْظُرْ هُناكَ إلى آخِرِ الشّارِعِ . إنَّهُ البَيْتُ الصَّغيرُ ذو البابِ الأخْضَرِ الّذي وُضِعَتْ أمامَهُ الزُّهورُ .»

قالَ مورْغان : « إنّي أراهُ ، أشْكُرُكِ .» ثُمَّ سارَ نَحْوَ البَيْتِ . وَعِنْدَما وَصَلَ إلَيْهِ نَظَرَ وَراءَهُ فَرَأى المَرْأةَ العَجوزَ ما زالَتْ واقِفَةً تَرْقُبُهُ، فَلَوَّحَ لَها بِيَدِهِ وَ لَوَّحَتْ لَهُ . وَطَرَقَ البابَ ، وَسَمِعَ وَقْعَ خُطُواتٍ بَطيئَةٍ بِالدّاخِلِ ، ثُمَّ فُتِحَ البابُ .

قالَ وَهُوَ يَبْتَسِمُ : « جاك !» لَقَدْ أصْبَحَ جاك أكْثَرَ نَحافَةً وَ أصْغَرَ جِسْماً ، وَمَعَ ذلِكَ كانَ لا يَزالُ يَحْتَفِظُ بِمَلامِحِهِ القَوِيَّةِ الّتي يَتَذَكَّرُها جَيِّداً في وَجْهِهِ المُرَبَّعِ . لَقَدِ ابْيَضَّ شَعْرُهُ كُلُّهُ وَلكِنَّهُ ظَلَّ كَثيفاً كَما هُوَ .

نَظَرَ جاك إلَيْهِ عَنْ قُرْبٍ وَقالَ : « هَلْ أنْتَ بِل ؟ إنّني لا ألْبَسُ نَظّارَتي .»

« لا ، أنا داڤيد .. داڤيد مورْغان .»

قالَ جاك بِسُرْعَةٍ وَسَعادَةٍ : « داڤيد مورْغان ! أُدْخُلْ يا داڤيد ! أُدْخُلْ ! قَدْ يَكونُ بَصَري ضَعيفاً ، وَلكِنّي أذْكُرُ صَوْتَكَ . إنّني مَسْرورٌ لِرُؤْيَتِكَ .. مَسْرورٌ جِداً . أُدْخُلْ وَتَفَضَّلْ بِالجُلوسِ .»

كانَ المَطْبَخُ صَغيراً وَنَظيفاً ، وَبِهِ مِنْضَدَةٌ وَكُرْسِيّانِ خَشَبِيّانِ ، وَكانَ يُغَطّي المِنْضَدَةَ مِفْرَشٌ أحْمَرُ ، وَبِجِوارِ المِدْفَأةِ كُرْسِيّانِ كَبيرانِ ، وَكانَتِ النّارُ مُشْتَعِلَةً بِالمِدْفَأةِ ، وَكانَ عَلى الفُرْنِ غَلاّيَةُ الشّاي ، وَفي النّاحِيَةِ الأخْرى مِنَ الفُرْنِ خِزانَةٌ بِها أطْباقٌ وَأكْوابٌ .

« اِجْلِسْ يا داڤيد ، اِجْلِسْ في هذا الكُرْسِيِّ . تُرى كَمْ مَضى مِنَ الوَقْتِ عَلى لِقائِنا الأخيرِ ؟ لَقَدْ مَرَّتْ ثَلاثُ ... لا ، بَلْ أرْبَعُ سَنَواتٍ .»

قالَ مورْغان : « أكْثَرُ مِنْ ذلِكَ .»

سَألَهُ جاك : « كَيْفَ حالُ الآخَرينَ ؟ أ لا يَزالونَ في تريورْن ؟» ثُمَّ أخَذَ غَلايَةَ الشّاي وَ وَضَعَها عَلى النّارِ .

قالَ مورْغان : « لا يَزالُ أحَدُهُمْ هُناكَ ، وَهُوَ وُلْف پاول . إنَّهُ يُديرُ فُنْدُقاً .»

« وَماذا عَنْ بوب وَ جورْج وَ مِرْفين ؟»

« مِرْفِين في مانْشِيسْتَر ، وَجُورْج في لَنْدَن ، وَقَدْ تَزَوَّجا ؛ أَمّا بُوب فَقَدْ سافَرَ إلى أَمْريكا .»

« ماذا يَصْنَعُ هُناكَ ؟»

« لا أَدْري . إنَّ آخِرَ ما سَمِعْتُهُ عَنْهُ أَنَّهُ كانَ يَعْمَلُ في نيويورْك ، وَكانَ ذلِكَ مُنْذُ سَنَتَيْنِ .»

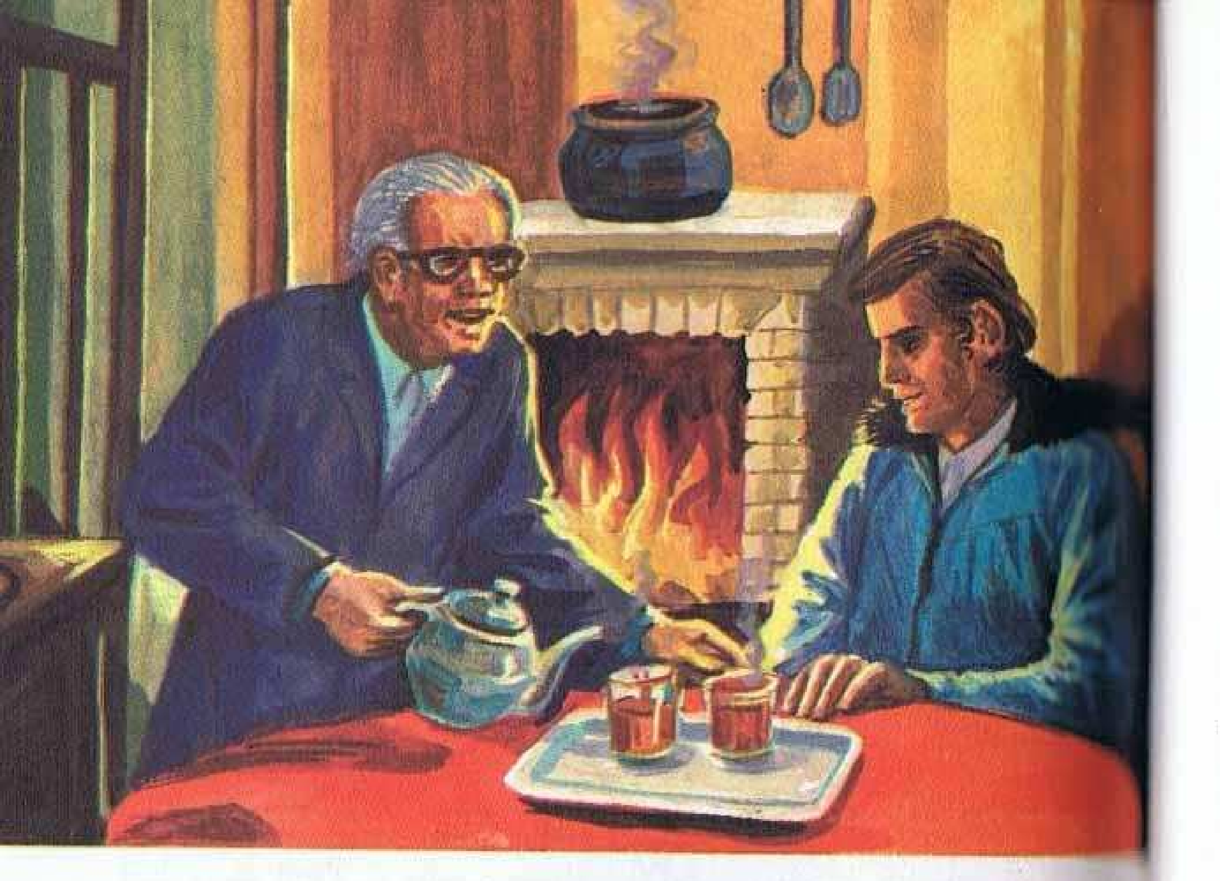
حَمْلَقَ الرَّجُلُ العَجوزُ إلى النّارِ ، وَهَزَّ رَأْسَهُ ثُمَّ قالَ : « أَ لا يَمْضي الزَّمَنُ سَريعاً ؟ إنّي أَذْكُرُكُمْ جَميعاً عِنْدَما كُنْتُمْ صِبْيَةً صِغاراً ، وَكَأَنَّ ذلِكَ كانَ بِالأَمْسِ .» ثُمَّ نَظَرَ إلى مُورْغان وَسَأَلَهُ : « وَماذا عَنْكَ ؟ سَمِعْتُ أَنَّكَ تَعْمَلُ في تِلْكَ المَحَطَّةِ الذَّرِّيَّةِ ، أَلَيْسَ كَذلِكَ ؟»

« بَلى .»

« هَلْ تَسيرُ الأُمورُ عَلى ما يُرامُ ؟»

« نَعَمْ ، عَلى ما يُرامُ .»

وَكانَ مُورْغان يَرُدُّ بِفُتورٍ ، فَنَظَرَ إلَيْهِ الرَّجُلُ العَجوزُ . وَكانَتْ غَلايَةُ الشّاي قَدْ بَدَأَتْ تُصَفِّرُ صَفيراً خافِتاً ، فَأَخَذَ جاك يُحَرِّكُها



عَلى النّارِ ، ثُمَّ سَأَلَ : « ماذا تَصْنَعُ في كِلِيْد ؟»

« أَقومُ بِإجازَةٍ قَصيرَةٍ .»

وَبَدَأَ الماءُ يَغْلي في غَلايَةِ الشّاي ، فَنَهَضَ جاك وَ ذَهَبَ إلى خِزانَةِ المَطْبَخِ ، وَسَأَلَ مُورْغان : « أَ لا تَزالُ مولَعاً بِشُرْبِ الشّاي ؟»

ضَحِكَ مُورْغان وَنَهَضَ قائِلاً : « بَلى ، دَعْني أَقومُ بِإعْدادِهِ .»

« لا ، اِجْلِسْ ! فَأَنا لَمْ أُصْبِحْ عَجوزاً بَعْدُ ، وَلا أَزالُ قادِراً عَلى عَمَلِ الشّاي »

« إنّني أذْكُرُ الشّايَ الّذي كُنّا نُحِبُّهُ ؛ كانَ غامِقاً جداً وَفي الوَقْتِ نَفْسِهِ حُلْواً جداً . لَقَدْ كانَتِ السَّيِّدَةُ هيوز تُحَذِّرُنا مِنْ أنَّ مِثْلَ هذا الشّاي ضارٌّ بِنا .»

« هذا ما كانَتْ تَقولُهُ .» و وَقَفَ جاك ساكِناً لَحْظَةً ، ثُمَّ هَزَّ رَأسَهُ وَقالَ : « لَقَدْ كانَ ذلِكَ مُنْذُ زَمَنٍ طَويلٍ .» ثُمَّ رَجَعَ إلى غَلايَةِ الشّاي وَأخَذَها ، وَبَدَأ يُعِدُّ الشّايَ .

« هَلْ كُنْتَ تَصيدُ الأرانِبَ ؟»

قالَ مُورْغان وَهُوَ يَبْتَسِمُ : « أصيدُ الأرانِبَ ؟! لَقَدْ كُنّا نَجْري فَقَطْ وَسْطَ التِّلالِ ، وَنَلْعَبُ مُخْتَلِفَ الألْعابِ . وَلكِنَّنا كُنّا نَعْتَبِرُ أنَّهُ مِنْ غَيْرِ اللائِقِ أنْ نَصيدَ الأرانِبَ ؛ لِذا كُنّا نَتَحَدَّثُ عَنْها .»

« كانَ كَلْبُكَ تيم يُحِبُّ التِّلالَ أيْضاً ، أ لَيْسَ كَذلِكَ ؟ أ لا يَزالُ حَيّاً ؟»

« لَقَدْ ماتَ ، وَلكِنَّهُ كانَ كَبيراً في السِّنِّ عِنْدَما ماتَ مُنْذُ خَمْسِ سَنَواتٍ تَقْريباً .»

« لَقَدْ كانَ كَلْباً مُمْتازاً ! كَمْ مِنْ مَرَّةٍ أتى إلى مَطْبَخِنا مُبَلَّلاً مُتَّسِخاً وَجَلَسَ أمامَ المِدْفَأةِ ! وَكانَ يَبْدو بِفَمِهِ المَفْتوحِ دائِماً كَما لَوْ

كانَ يَبْتَسِمُ . إنَّ صورَتَهُ لا تَزالُ مَطْبوعَةً في مُخَيِّلَتي حَتّى الآنَ .»

« وَكانَتْ السَّيِّدَةُ هيوز تُعْطيهِ دائِماً شَيْئاً يَأكُلُهُ .»

« نَعَمْ ، وَكانَتْ أحياناً تَزْجُرُهُ وَتَقولُ لَهُ : « أيُّها الكَلْبُ الصَّغيرُ المُتَّسِخُ ، لَقَدْ أفْسَدْتَ مَطْبَخِي النَّظيفَ ! » وَلكِنَّها لَمْ تَكُنْ غاضِبَةً بِالطَّبْعِ ، وَكانَ يُدْرِكُ ذلِكَ .»

قالَ مُورْغان بِهُدوءٍ : « لَقَدْ سَمِعْتُ نَبأ وَفاتِها ، فَأسِفْتُ كَثيراً لِذلِكَ .»

« نَعَمْ ، وَأنا أتَذَكَّرُ خِطابَكَ الّذي أرْسَلْتَهُ ، وَلكِنَّ هذا أمْرٌ قَدْ مَضى عَلَيْهِ زَمَنٌ .»

شَرِبَ مُورْغان الشّايَ . وَكانَ الرَّجُلانِ يَنْظُرانِ إلى النّارِ المُشْتَعِلَةِ في صَمْتٍ ، ثُمَّ بَدَأ جاك الحَديثَ ، فَقالَ : « لا يُمْكِنُكَ أنْ تَعيشَ في الماضي .» ثُمَّ وَضَعَ كوبَهُ الفارِغَ عَلى المِنْضَدَةِ وَقالَ : « لَقَدْ سُرِرْتُ كَثيراً لِرُؤْيَتِكَ مَرَّةً أخْرى يا داڤيد . كَيْفَ حالُكَ ؟ وَكَيْفَ تَسيرُ حَياتُكَ ؟ وَماذا عَنْ تِلْكَ المَحَطَّةِ الذَّرِّيَّةِ الخاصَّةِ بِالكَهْرَباءِ ؟ لَقَدْ صادَفْتُمْ بَعْضَ المَتاعِبِ في تريوِرْن ، وَهذا ما سَمِعْتُهُ .»

« لَقَدْ صادَفْنا بَعْضَ المَتاعِبِ في البِدايَةِ ، وَلكِنَّها انْتَهَتْ مُنْذُ

فَتْرَةٍ .»

« ما سَبَبُ تِلْكَ المَتاعِبِ ؟»

« كانَ بَعْضُ النّاسِ لا يُحِبّونَ فِكْرَةَ إقامَةِ المَشْروع .»

« مَنْ ؟»

« المُسْتَشارُ جُونْز وَ الصَّحَفِيُّ فريزْبي .»

« إنَّني أعْرِفُهُما . ولكِنْ لِماذا ؟»

« لاِعْتِقادِهِما بِأَنَّهُ قَدْ يُفْسِدُ جَمالَ الوادي ؟»

ضَحِكَ جاك وَقالَ : « جَمالُ الوادي ! إنَّهُ لَيْسَ بِكُلِّ هذا الجَمالِ ، فِيهِ الكَثيرُ مِنْ مَناجِمِ الفَحْمِ .»

« إنَّ المَشْروعَ لَيْسَ بِالوادي يا جاك ، إنَّهُ فَوْقَ أَحَدِ التِّلالِ .»

« وَهَلْ سَيُفْسِدُ جَمالَ التِّلالِ ؟»

« إلى حَدٍّ ما .»

« هَلْ يَهْتَمُّ فريزْبي كَثيراً بِالجَمالِ ؟!»

ضَحِكَ مُورْغان وَقالَ : « أنْتَ تَعْرِفُهُ ، وَلا أَعْتَقِدُ أَنَّهُ يَهْتَمُّ بِالجَمالِ . إنَّ كُلَّ ما يَخْشَوْنَهُ هُوَ مَجيءُ وُجوهٍ جَديدَةٍ وَأَفْكارٍ جَديدَةٍ إلى الوادي . إنَّهُمْ لا يُحِبّونَ التَّغْيير .»

« إذاً فهذه هِيَ الحَقيقَةُ . شُكْراً ، أفَضِّلُ أنْ أُدَخِّنَ غَليوني .»

وَكانَ مُورْغان قَدْ قَدَّمَ إلَيْهِ سيجارَةً .

أَشْعَلَ الرَّجُلُ العَجوزُ غَلْيونَهُ وَسَأَلَ : « هَلْ هذا التَّلُّ شَمالَ البَلْدَةِ ؟»

« نَعَمْ ، إنَّهُ أَعْلى تَلٍّ ، وَهُوَ إلى الشَّمالِ .»

« أنا أَعْرِفُهُ ، وَقَدْ جَرى حَديثٌ في الماضي عَنِ البَدْءِ في اسْتِغْلالِ مَنْجَمِ الفَحْمِ هُناكَ ، أَخْبَرَني أبي بِذلِكَ . أ لَمْ تَجِدوا في هذا التَّلِّ مَنْجَمَ فَحْمٍ قَديماً ؟»

اِبْتَسَمَ مُورْغان وَقالَ : « لَمْ نَجِدْ مَنْجَماً .»

قالَ جاك : « إنّي لا أَهْزِلُ . رُبَّما لَمْ يَنْجَحْ مَشْروعُ الفَحْمِ ، أَوْ رُبَّما خانَتْني الذّاكِرَةُ . هَلْ هُناكَ مَدْخَلٌ لِمَنْجَمٍ ؟»

« لا ، وَ أنا موقِنٌ مِنْ ذلِكَ .»

« إذاً فقَدْ أخطَأتُ ؛ فَأبي لَمْ يَتحدَّثْ عَنْ مَدْخَلٍ مِنْ هذا النَّوْع ، لَقَدْ ظَنَنْتُ أنَّهُ أخبَرني بِشَيْءٍ مِنْ هذا القَبيلِ . خُذْ كوباً آخَرَ مِنَ الشّاي . »

« نَعَمْ مِنْ فَضْلِكَ . »

وَصَبَّ لَهُ جاك كوباً آخَرَ مِنَ الشاي ، ثُمَّ واصَلَ حَديثَهُ قائِلاً : « لَقَدْ رَأيْتُ بَعْضَ الصُّوَرِ لِمَحطّاتِ الكَهْرَباءِ الذَّرِّيَّةِ . إنَّ بِها أبْراجاً كَبيرَةً عالِيَةً ، أ لَيْسَ كَذلِكَ ؟ »

« بَلى ، إنَّها أبْراجُ التَّبْريدِ . »

« إنَّ الرّيحَ عَنيفَةٌ عَلى قِمَّةِ تِلْكَ الأبْراجِ العالِيَةِ . »

ضَحِكَ مورْغان وَقالَ : « آهِ يا جاك ! إنَّ الأبْراجَ لَنْ تَهْوي ، لَقَدْ وَضَعْنا كُلَّ شَيْءٍ في اعْتِبارِنا ، وَلكِنْ ... » ثُمَّ تَوَقَّفَ .

« وَلكِنْ ماذا ؟ »

« لا شَيْءَ ! » وَتَوَقَّفَ مورْغان عَنِ الحَديثِ .

أشْعَلَ جاك غَليونَهُ مَرَّةً أخرى ، وَقالَ : « وَما هُوَ عَمَلُكَ يا داڤيد ؟ »

« هذا سُؤالٌ وَجيهٌ . إنَّني أساهِمُ في كُلِّ شَيْءٍ ، وَلكِنْ بِوَجْهٍ عامٍّ ، أنا أحَدُ العُلَماءِ بِالمَشْروعِ . إنَّ عَمَلي مُتَعَلِّقٌ بِالطّاقَةِ الذَّرِّيَّةِ نَفْسِها . »

« وَكَيْفَ حالُ النّاسِ هُناكَ ؟ »

« النّاسُ الَّذينَ أعْمَلُ مَعَهُمْ ؟ إنَّهُمْ وَدودونَ وَ لُطَفاءُ لِلْغايَةِ . »

« إذاً فَأنْتَ مُوَفَّقٌ في عَمَلِكَ ؟ »

« نَعَمْ ، شُكْراً . وَلكِنْ كَيْفَ حالُكَ أنْتَ ؟ كَيْفَ تُدَبِّرُ أمورَ حَياتِكَ ؟ »

« لَيْسَ لَدَيَّ ما أشْكو مِنْهُ . أنا في حالَةٍ لا بَأسَ بِها ، وَقَدْ حَصَلْتُ عَلى هذا البَيْتِ . » وَأخَذَ يَجولُ بِنَظَرِهِ في أنْحاءِ بَيْتِهِ . « وَقَدْ تَقَدَّمَ بِيَ العُمْرُ ، وَأصْبَحْتُ بَطيئاً بَعْضَ الشَّيْءِ ؛ وَلِهذا لا أخْرُجُ كَثيراً ، وَلكِنَّ النّاسَ في هذِهِ القَرْيَةِ يَتَّسِمونَ بِالمَوَدَّةِ ، فَهُمْ يَجيئونَ لِزِيارَتي وَنَقْضي الوَقْتَ في الحَديثِ . »

سَألَهُ مورْغان : « هَلْ أنْتَ بِحاجَةٍ إلى شَيْءٍ ؟ هَلْ تُريدُ قَليلاً مِنَ التَّبغ ؟ هَلْ أنْتَ في حاجَةٍ إلى نُقودٍ ؟ »

أجابَ جاك : « لا يا داڤيد ، لا ، شُكْراً لَكَ . لَسْتُ في حاجةٍ إلى أيِّ شيْءٍ ، وَأشْكُرُكَ على سُؤالِكَ .»

وَسادَ الهُدوءُ لحْظَةً ، وَنظَرَ جاك إلى ساعتِهِ وَقالَ : « لَقَدْ حانَ الوَقْتُ . يَجِبُ أنْ أعِدَّ شيْئاً لِلطَّعامِ . ما رَأْيُكَ في أنْ تَنْتَظِرَ وَتَتَناوَلَ الغَداءَ مَعي ؟»

« شُكْراً يا جاك ، لا بُدَّ أنْ أواصِلَ سَيْري . كُنْتُ أريدُ فَقَطْ أنْ أعْرِفَ بَيْتَكَ الجَديدَ ، وَسَوْفَ أعودُ لِزِيارَتِكَ قَرِيباً .»

« قُمْ يا عَزيزي داڤيد لِنَتَناوَلَ أيَّ شَيْءٍ . مَرْحَباً بِكَ .»

« أنا أعْرِفُ كَرَمَكَ ، وَلكِنّي تَناوَلْتُ إفْطاري مُتَأخِّراً ، وَلا أشْعُرُ بِالجوعِ ، وَعَلَيَّ أنْ أذْهَبَ الآنَ .»

وَكانَ داڤيد يَعْرِفُ أنَّ ما لَدى جاكِ مِنْ طَعامٍ يَكْفيهِ هُوَ وَحْدَهُ ، كَما أدْرَكَ أنَّهُ لَنْ يَقْبَلَ مِنْهُ أيَّةَ مُساعَدَةٍ ؛ إذْ إنَّهُ لا يَقْبَلُ عَوْناً مِنْ أحَدٍ ، كَدَأْبِهِ دائِماً . كَما أنَّ مورْغان كانَ في حاجَةٍ إلى أنْ يَنْفَرِدَ بِنَفْسِهِ ، لِهذا نَهَضَ مِنْ مَقْعَدِهِ وَتَبِعَهُ جاك إلى البابِ .

وَتَحدَّثَ الرَّجُلانِ بِضْعَ دَقائِقَ ، ثُمَّ تَصافَحا . وَعِنْدَما أغْلَقَ جاك بابَهُ أجَدَّ مورْغان السَّيْرَ ، وَساعَدَهُ ذلِكَ عَلى التَّفْكيرِ . وَ واصَلَ سَيْرَهُ

حَتّى خَرَجَ مِنَ القَرْيَةِ ، وَأخَذَ الطَّريقَ المُؤَدِّيَ إلى أعْلى التَّلِّ . وَقَدْ ذَكَّرَهُ حَديثُهُ مَعَ جاك بِأشْياءَ كَثيرَةٍ ، وَكانَ في حاجَةٍ ماسَّةٍ إلى أنْ يُنْعِمَ التَّفْكيرَ فيها .

لَقَدْ بَدَأ يَتَذَكَّرُ كَلْبَهُ تيم ، وَيُفَكِّرُ فيما قالَهُ جاك عَنْ مَنْجَمِ الفَحْمِ ، وَفيما إذا كانَ ثَمَّةَ مَدْخَلٌ لِمَنْجَمٍ تَحْتَ التَّلِّ . ثُمَّ عاوَدَ التَّفْكيرَ في كَلْبِهِ تيم ... لِماذا كانَ لِلْكَلْبِ مِثْلُ تِلْكَ الأهَمِّيَّةِ في تَفْكيرِهِ ؟ وَ بَدَأ يَتَذَكَّرُ بَعْضَ الأحْداثِ بِوُضوحٍ ؛ لَقَدْ خَرَجَ مِراراً مِنْ قَبْلُ مَعَ تيم ، وَبَدَأتْ ذِكْرَياتُهُ عَنْ تيم تَأْخُذُ شَكْلاً وَلَوْناً واضِحَيْنِ .

لَقَدْ عادَتْ بِهِ الذّاكِرَةُ إلى أيّامِ طُفولَتِهِ : ها هُوَ ذا في أحَدِ أيّامِ الرَّبيعِ ، الَّتي جاءَتْ بَعْدَ جَليدِ الشِّتاءِ وَعِدَّةِ أسابيعَ مِنَ المَطَرِ . لَقَدْ كانَ ذلِكَ اليَوْمُ أوَّلَ يَوْمٍ مُشْرِقٍ ، كانَ هُوَ وَ تيم يَسْتَمْتِعانِ بِاليَوْمِ الجَميلِ ، فَقَدْ كانَتْ بِالسَّماءِ مِساحاتٌ زَرْقاءُ كَبيرَةٌ ، وَلَمْ تَكُنِ الرِّياحُ شَديدَةً ، وَكانَ يَسْمَعُ خَريرَ الماءِ ، فَقَدْ كانَ الماءُ في كُلِّ مَكانٍ حَوْلَهُ ، وَكانَتِ الأرْضُ لَيِّنَةً تَحْتَ قَدَمَيْهِ بِفِعْلِ الماءِ الَّذي كانَ يَجْري في جَداوِلَ صَغيرَةٍ وَسْطَ الحَشائِشِ . وَعِنْدَما وَصَلَ إلى قِمَّةِ التَّلِّ تَوَقَّفَ لِيَنْظُرَ وَراءَهُ إلى البَلْدَةِ .

قالَ : « إنَّهُ يَوْمٌ رائِعٌ يا تيم .» وَكانَ غالِباً ما يَتَحَدَّثُ إلى كَلْبِهِ .

وَكانَ تيم يَجْلِسُ بِجوارِهِ ، وَعِنْدَما كانَ يَتَحدَّثُ إلَيْهِ كانَ تيم يُحرِّكُ رَأسَهُ كَما لَوْ كانَ مُصْغِياً إلَيْهِ ! قالَ مُورْغان لِكَلْبِهِ : « وَلكِنَّ الجوَّ مِنَ البُرودَةِ بِمكانٍ بِحَيْثُ لا يُمْكِنُنا أنْ نَقِفَ ساكِنَيْنِ . هيّا بِنا نَسيرُ قَليلاً ثُمَّ نَعودُ أدْراجَنا .» نَظَرَ حَوْلَهُ ثُمَّ صاحَ : « تيم ! » وَلكِنَّ تيم لَمْ يَكُنْ بِجوارِهِ ، فَناداهُ ثانِيَةً وَثالِثَةً دونَ جَدْوى .

قالَ لِنَفْسِهِ : « هذا غَريبٌ ! لَيْسَ مِنْ عادَتِهِ أنْ يَهْرُبَ مِنّي . أيْنَ ذَهَبَ ؟! » جالَ بِناظِرَيْهِ في أنْحاءِ التَّلِّ ، فَلَمْ يَرَ إلا بَعْضَ الأغْنامِ ، وَلَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ أثَرٌ لِتيم ، فَسارَ إلى قِمَّةِ التَّلِّ وَنَظَرَ إلى النّاحِيَةِ الأخْرى مِنْهُ ، لَقَدِ اخْتَفى تيم تَماماً . وَ وَضَعَ مُورْغان يَدَيْهِ حَوْلَ جانِبَيْ فَمِهِ وَصاحَ وَ انْتَظَرَ ، وَلكِنَّ تيم لَمْ يَعُدْ ، وَبَدأ يَسيرُ في دائِرَةٍ واسِعَةٍ وَهُوَ يُنادي تيم مِنْ وَقْتٍ لآخَرَ .

لَمْ يَكُنْ قَلِقاً عَلى الإطْلاقِ ، فَلَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ خَطَرٌ يَتَهَدَّدُ تيم ؛ فَلَيْسَ عَلى التَّلِّ مِنْ خَطَرٍ عَلَيْهِ . مَرَّتْ عَشْرُ دَقائِقَ بَطيئَةٍ ، وَأخَذَ يُفَكِّرُ .. تُرى هَلْ عادَ تيم إلى البَيْتِ ؟ قالَ لِنَفْسِهِ : « مِنَ الأفْضَلِ أنْ أعودَ إلى البَيْتِ . لَقَدْ حانَ وَقْتُ الغَداءِ عَلى أيَّةِ حالٍ .» وَأرْسَلَ مِنْ أعْلى التَّلِّ نَظْرَةً أخيرَةً حَوْلَهُ عَلَّهُ يَجِدُ ضالَّتَهُ .

وَأخيراً رَأى الكَلْبَ الأبْيَضَ الصَّغيرَ يَجْري نَحْوَهُ بَعْدَ أنْ خَرَجَ مِنْ

حُفْرَةٍ في الأرْضِ . وَعِنْدَما وَصَلَ إلَيْهِ بَدأ يَقْفِزُ عَلَيْهِ ، وَلكِنَّ مُورْغان دَفَعَهُ بِغَضَبٍ قائِلاً : « أيْنَ كُنْتَ ؟! »

كانَ تيم مُبَلَّلاً وَ مُتَّسِخاً ، وَكانَتْ قَطَراتٌ مِنَ الماءِ تَتَساقَطُ مِنْهُ . وَراحَ مُورْغان يَهْبِطُ التَّلَّ وَهُوَ يَنْظُرُ إلى الأرْضِ لِيَرى الحُفْرَةَ الَّتي خَرَجَ مِنْها تيم ، فَوَجَدَها حُفْرَةً صَغيرَةً ، وَعِنْدَما نَظَرَ داخِلَها لَمْ يَرَ إلا الحَصى وَالتُّرابَ . لَقَدْ كانَتْ حُفْرَةً ضَيِّقَةً ، وَلكِنَّها عَميقَةٌ لِلْغايَةِ ، وَقَدْ أخْفى الظَّلامُ ما بِداخِلِها ، وَلكِنَّهُ سَمِعَ صَوْتَ انْدِفاعِ الماءِ . أمّا تيم فَقَدْ بَدا عَلَيْهِ الخَوْفُ وَلَمْ يَقْتَرِبْ مِنَ الحُفْرَةِ .

أفاقَ مُورْغان مِنْ ذِكْرَياتِ الماضي ، وَ رَجَعَ إلى الحاضِرِ ، فَوَقَفَ عَلى التَّلِّ وَقالَ لِنَفْسِهِ : « لَوْ كانَ ثَمَّةَ نَفَقٌ أوْ كَهْفٌ كَبيرٌ تَحْتَ التَّلِّ لَعَرَفَهُ تِرِسْتون دونَ شَكٍّ ، وَلَوْ كانَ هُناكَ مِثْلُ هذا الكَهْفِ فَلا بُدَّ أنَّهُ بَعيدٌ عَنِ الأبْراجِ .»

ثُمَّ واصَلَ سَيْرَهُ وَهُوَ يَتَساءَلُ : « أيْنَ هِيَ تِلْكَ الحُفْرَةُ بِالضَّبْطِ ؟ لَقَدْ نَسيتُ كُلَّ شَيْءٍ عَنْ مَكانِها .» وَتَوَقَّفَ قَليلاً ثُمَّ قالَ : « لا بُدَّ أنَّهُمْ يَعْرِفونَ كُلَّ شَيْءٍ عَنِ التَّلِّ .»

واصَلَ سَيْرَهُ ثُمَّ تَوَقَّفَ ثانِيَةً وَقالَ لِنَفْسِهِ : « هذا أمْرٌ غَريبٌ ! لَقَدْ خَرَجْتُ كَيْ أنْسى المَشْروعَ ، يَجِبُ أنْ أنْسى كُلَّ شَيْءٍ عَنْ هذِهِ

الحُفْرَة .» وَلكِنَّهُ هَزَّ رَأْسَهُ ثُمَّ قالَ : « لا فائِدَةَ . لَنْ أَسْتَريحَ حَتّى أُلْقِيَ نَظْرَةً أُخْرى عَلى التَّلِّ . سَأَجِدُ في كلِيْد أتوبيساً يَذْهَبُ إلى هُناكَ .» وَقَفَلَ راجِعاً إلى القَرْيَةِ .

وَمَضى وَقْتٌ طَويلٌ قَبْلَ أَنْ يَعودَ إلى تريوِرْن ؛ إذْ كانَ عَلَيْهِ أَنْ يَنْتَظِرَ الأتوبيسَ في كلِيْد وَيَرْكَبَهُ ، ثُمَّ يَرْكَبَ غَيْرَهُ مَرَّتَيْنِ . وَعِنْدَما وَصَلَ إلى تريوِرْن كانَ ساخِطاً وَجائِعاً كَذلِكَ ، مِمّا جَعَلَهُ حادَّ المِزاجِ ، فَقَدْ ضاعَتْ فَتْرَةُ ما بَعْدَ الظُّهْرِ سُدًى .

وَكانَ يَوْمُ العَمَلِ في المَشْروعِ قَدْ أَوْشَكَ عَلى الانْتِهاءِ ، وَبَدَأَ بَعْضُ النّاسِ يَعودونَ إلى بُيوتِهِمْ في تريوِرْن . وَكانَ النَّهارُ قَصيراً في أَشْهُرِ الشِّتاءِ تِلْكَ ، وَسَوْفَ يَحُلُّ الظَّلامُ بَعْدَ ساعَةٍ أو ساعَتَيْنِ . وَكانَ في نِيَّتِهِ أَنْ يُلْقِيَ بِنَظْرَةٍ طَويلَةٍ عَلى التِّلالِ ، وَلِهذا أَخَذَ سَيّارَتَهُ وَذَهَبَ إلى المَحَطَّةِ .

لَمْ يَجِدْ أَحَداً عِنْدَ الأبْراجِ ، فَأَخَذَ يَدورُ حَوْلَها عَلى التَّلِّ لِمُدَّةٍ طَويلَةٍ . وَعِنْدَما عادَ مِنْ سَيْرِهِ كانَ مُتَجَهِّمَ الوَجْهِ ، فَسارَ إلى مَكْتَبِهِ وَ اتَّجَهَ رَأْساً إلى التِّليفونِ .

قالَ : « هَلْ يُمْكِنُني أَنْ أُحادِثَ السَّيِّدَ وُرد – تُوماس ؟»

رَدَّ عَلَيْهِ صَوْتٌ نِسائِيٌّ : « إنَّهُ لَيْسَ مَوْجوداً .»

« مَنِ الَّتي تَتَحَدَّثُ ؟ هل الآنِسَةُ وُرد – تُوماس مَوْجودَةٌ ؟»

« أنا بلُودُون يا سَيِّدي ، وَأَقومُ بِتَنْظيفِ البَيْتِ . إنَّ الآنِسَةَ وُرد – تُوماس لَيْسَتْ هُنا كَذلِكَ .»

« أَيْنَ ذَهَبا يا بلُودُون ؟» وَكانَ يَعْرِفُها ، وَهِيَ فَتاةٌ لَطيفَةٌ ، مَحْدودَةُ القُدُراتِ الذِّهْنِيَّةِ .

« إلى لَنْدَن يا سَيِّدي ، كَما أَعْتَقِدُ .»

« مَتى سَيَعودانِ ؟»

« لا أعْرِفُ يا سَيِّدي ، لَقَدْ قالا إنَّهُما سَيَتَّصِلانِ بي تِليفونِيًّا .»

« شُكْرًا يا بلُودُون .» ثُمَّ وَضَعَ سَمّاعَةَ التِّليفون ، وَ رَفَعَها ثانِيَةً وَطَلَبَ رَقْماً في لَنْدَن ، وَعِنْدَما رَدَّ عَلَيْهِ صَوْتٌ ، قالَ : « مِنْ فَضْلِكَ هَلْ يُمْكِنُ أَنْ أُحادِثَ السَّيِّدَ تِرِسْتُون ؟»

« مَنِ المُتَحَدِّثُ ؟»

« أنا داڤيد مُورْغان يا سَيِّدَةُ تِرِسْتُون .» لَقَدْ عَرَفَ صَوْتَها .

« إنَّهُ لَيْسَ مَوْجوداً ، فَهُوَ في اجْتِماع ، وَلكِنَّهُ سَوْفَ يَكونُ في تريوِرْن غَداً . إنَّكَ تَتَحَدَّثُ مِنْها ، أَ لَيْسَ كَذلِكَ ؟»

« بلى . متى سيَعودُ اللّيْلَةَ ؟»

« قدْ يَعودُ مُتأخِراً . هلْ أطْلُبُ منْهُ أنْ يتّصِلَ بكَ ؟»

« لا ، ليْسَ في وُسْعِهِ أنْ يَفْعَلَ شيْئاً اللّيْلَةَ ، سوْفَ أقابِلُهُ غداً . أشْكُرُكِ .»

وَضَعَ مُورْغان سَمّاعَةَ التّليفون وَنَظَرَ إليْها قائلاً : « ليْسَ أمامي سِوى أنْ أنْتَظِرَ .» ثُمَّ نَهَضَ وَغادَرَ مَكْتَبَهُ ، وَقادَ سَيّارَتَهُ إلى البَلْدَةِ ، حَيْثُ كانَ بِشارِعِها الرَّئيسِيِّ فُنْدُقٌ مُمْتازٌ ، وَكانَ يُريدُ أنْ يأكُلَ شَيْئاً .

وَ وَجَدَ مَكاناً لِسَيّارَتِهِ ، وَسارَ عَلى مَهْلٍ نَحْوَ الفُنْدُقِ ، وَهُوَ يَضَعُ يَدَيْهِ في جَيْبَيْ بَنْطلونِهِ ، وَيَنْظُرُ إلى الأرْضِ .

وَلَمْ تَكُنْ فِكْرَةُ الأكْلِ بِمُفْرَدِهِ تَسْتَهْويهِ ، وَكانَ يُفَكِّرُ فيما سَيَقولُهُ غداً لِتْرِسْتون ، فَلَنْ يَهْدأَ بالُهُ حَتّى يُقابِلَهُ .

« أهْلاً يا داڤيد ! هَلْ ضاعَتْ مِنْكَ نُقودٌ ؟»

اِلْتَفَتَ فَوَجَدَ هيلين ، فقالَ : « ضاعَتْ مِنّي نُقودٌ ؟!»

« نَعَمْ ، لأنّكَ تَنْظُرُ إلى الأرْضِ ! وَلا تَبْدو عَلَيْكَ مَلامِحُ

السَّعادَةِ .»

« إذاً فأنْتِ سَعيدَةٌ .» وَ ابْتَسَمَ لَها وَقالَ : « نَعَمْ إنّكِ في غايَةِ السَّعادَةِ .»

لَقَدْ كانَتْ كَذلِكَ ، وَكانَتْ أشِعَّةُ شَمْسِ الأصيلِ تَسْطَعُ عَلى شَعْرِها فَتَزيدُهُ لَمَعاناً ، وَكانَتْ عَيْناها تَبْرُقانِ أيْضاً .

« أنا سَعيدَةٌ بِلِقائِكَ . وَلكِنْ ماذا تَفْعَلُ في تريبورْن ؟ لَقَدْ ظَنَنْتُ أنّكَ سَتَكونُ خارِجَ البَلْدَةِ لِعِدَّةِ أيّام .»

« لَقَدْ عُدْتُ .»

« هذا ما أراهُ .»

ضَحِكَ وَقالَ : « لا أبْدو مُتَّزِنَ الإدْراكِ اللّيْلَةَ .»

« ما المَوْضوعُ ؟»

« لا شَيْءَ . هَلْ كُنْتِ تَتَسَوَّقينَ ؟» وَ كانَتْ تَحْمِلُ حَقيبَةً .

« نَعَمْ ، وَأنا عائِدَةٌ إلى المَنْزِلِ لأتَناوَلَ الشّايَ .»

قالَ بِسُرْعَةٍ : « خَطَرَتْ لي فِكْرَةٌ ، لَقَدْ كُنْتُ ذاهِباً إلى فُنْدُقِ « الحِصانِ الأسْوَدِ » لأتَناوَلَ الطَّعامَ ، تَعالَيْ مَعي .»

فَكَّرَتْ لحْظَةً ، ثُمَّ أوْمَأَتْ قائِلَةً : « نَعَمْ ، أفَضَلُ ذلِكَ يا داڤِيد .»

نَظَرَ إلى ساعَتِهِ ، وَقالَ : « لَدَيَّ فِكْرَةٌ أفْضَلُ ؛ فَلا يَزالُ الوَقْتُ مُبَكِّرًا وَعَرَبَتي قَريبَةٌ . ما رَأْيُكِ لَوْ ذَهَبْنا إلى « البَيْتِ الأحْمَرِ » إنَّهُ مَكانٌ أفْضَلُ مِنَ « الحِصانِ الأسْوَدِ » ، ما رَأْيُكِ ؟»

« إنَّها فِكْرَةٌ مُمْتازَةٌ !»

« أعْطيني حَقيبَتَكِ ، سَأَحْمِلُها عَنْكِ .» وَأمْسَكَ بِذِراعِها وَمَشَيا في الشّارِعِ وَهُوَ يَقولُ لِنَفْسِهِ : « مِنَ المُمْكِنِ لِترِسْتُون وَلِلْمَشْروعِ أنْ يَنْتَظِرا حَتّى الغَدِ .» وَشَعَرَ فَجْأةً بِانْشِراحٍ وَبَهْجَةٍ غَريبَيْنِ .

الفَصْلُ السّادِسُ

دَفَعَ أوين بابَ حُجْرَةِ مورْغان وَ دَلَفَ ، وَلَكِنَّها كانَتْ خالِيَةً ، فَذَهَبَ إلى مَكْتَبِ هيلين وَسَألَها بِحِدَّةٍ : « أيْنَ هُوَ ؟»

نَظَرَتْ إلَيْهِ وَقالَتْ : « مَنْ ؟ صَباحُ الخَيْرِ ، أ تَسْألُ عَنِ السَّيِّدِ مورْغان ؟»

« نَعَمْ ، إنّي أُريدُهُ ، أيْنَ هُوَ ؟»

« إنَّهُ يَبْحَثُ عَنِ السَّيِّدِ وِرد – تُوماس . لَقَدِ اتَّصَلَ تِليفونيًّا بِالمَبْنى الرَّئيسِيِّ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ مَوْجوداً ، فَذَهَبَ لِيَبْحَثَ عَنْهُ .»ثُمَّ تَوَقَّفَتْ وَقالَتْ : « هَلْ لي أنْ أساعِدَكَ ؟»

« أنْتِ ؟ لا .»

« إنَّهُ لَنْ يَتَأخَّرَ ، هَلْ تُحِبُّ أنْ تَنْتَظِرَهُ ؟»

« أنْتَظِرُ ؟ نَعَمْ ، سَوْفَ أنْتَظِرُ ، سَوْفَ أنْتَظِرُ ذلِكَ الـ... » وَلَكِنَّهُ أمْسَكَ عَنِ الكَلامِ .

اِتَّجهتْ نَحْوَهُ وَقالَتْ : « يُمْكِنُكَ أنْ تَنْتَظِرَهُ في مَكْتَبِهِ .»

« لَسْتُ في حاجَةٍ إلى كُرْسِيٍّ . شُكْرًا .» ثُمَّ أغْلَقَ البابَ بِشِدَّةٍ ، فَوَقَفَتْ لَحْظَةً وَعلاماتُ الدَّهْشَةِ بادِيَةٌ عَلَيْها ، ثُمَّ رَجَعَتْ إلى مَكْتَبِها . وَسَمِعَتْ خُطُواتِ أوين وَهُوَ يَمْشي جيئَةً وَذَهابًا داخِلَ مَكْتَبِ مُورْغان .

جاءَ مُورْغان مُسْرِعًا ، وَلَمْ يَكُنْ قَدْ عَثَرَ عَلى وُرد – تُوماس ، وَأرادَ أنْ يُعاوِدَ الاتِّصالَ بِالمَبْنى الرَّئيسِيِّ ، فَلَمّا دَفَعَ بابَ غُرْفَتِهِ وَدَخَلَ وَجَدَ أوين واقِفًا داخِلَها .

صاحَ أوين : « لَقَدْ حانَ الوَقْتُ ! ما هذِهِ اللُّعْبَةُ الَّتي تَلْعَبُها ؟! وَماذا تَقْصِدُ مِنْ وَرائِها ؟»

قالَ لَهُ مُورْغان : « اِهْدَأْ وَ سَأُخْبِرُكَ بِكُلِّ شَيْءٍ .»

رَفَعَ أوين سَبّابَتَهُ مُهَدِّدًا ، وَ وَجَّهَها نَحْوَ صَدْرِ مُورْغان وَقالَ: « مِنَ الأفْضَلِ لَكَ ... إنّي أُريدُ ... »

وَ أزاحَ مُورْغان إصْبَعَ أوين بَعيدًا عَنْهُ وَقالَ : « اُدْخُلْ وَاجْلِسْ ، سَأَشْرَحُ لَكَ .»

قالَ : « لِماذا تَتَدَخَّلُ في شُئونِ رِجالي ؟ إنَّ تَدَخُّلَكَ هذِهِ المَرَّةَ

فاقَ كُلَّ الحُدودِ ، وَسَوْفَ أحاسِبُكَ عَلَيْهِ .»

قالَ مُورْغان بِشَيْءٍ مِنَ الغَضَبِ : « أغْلِقِ البابَ يا غلين وَاجْلِسْ! لَقَدْ تَوَقَّعْتُ مَجيئَكَ ، وَلكِنّي أرَدْتُ أنْ أرى وُرد – تُوماس أوَّلاً .»

« لَنْ يُفيدَكَ سَعْيُكَ لِمُلاقاتِهِ . أنْتَ في مَأْزِقٍ حَقيقِيٍّ ، وَسَوْفَ ... »

قالَ مُورْغان : « اِهْدَأْ وَاجْلِسْ .» وَجَلَسَ مُورْغان قائِلاً : « دَعْني أشْرَحْ لَكَ .»

« ماذا يُمْكِنُكَ أنْ تَشْرَحَ ؟! إنَّكَ تَذْهَبُ إلى هُناكَ وَتَتَدَخَّلُ ! هَلْ سَتُقْدِمُ عَلى ... »

صاحَ مُورْغان : « اِجْلِسْ . هَلْ تُريدُ أنْ تَعْرِفَ ، أمْ تُريدُ فَقَطِ الصِّياحَ ؟»

حَمْلَقَ أوين إلى وَجْهِهِ ، وَتَنَفَّسَ الصُّعَداءَ ، وَقالَ وَهُوَ يَضْغَطُ عَلى كَلِماتِهِ : « حَسَنٌ ! ماذا تُريدُ أنْ تَقولَ ؟»

قالَ مُورْغان : « لَقَدْ أوْقَفْتُ جُزْءًا مِنَ العَمَلِ فَقَطْ حَتّى أقابِلَ السَّيِّدَ وُرد – تُوماس ، فَهُوَ الَّذي سَيُصْدِرُ القَرارَ . وَأعْتَقِدُ أنَّ ثَمَّةَ سَبَبًا قَوِيًّا لِما قُمْتُ بِهِ .»

« لَيْسَ هُناكَ أيُّ داعٍ لِذلِكَ .»

« بَلْ هُناكَ داعٍ ! لَقَدْ بَدَأوا العَمَلَ في الجانِبِ الآخَرِ مِنَ التَّلِّ هذا الصَّباحَ .»

« هذا شَيْءٌ طَبيعِيٌّ ، لَقَدْ رَأَيْتَ الخُطَّةَ وَالتَّصْميمَ ، وَيَجِبُ عَلَيْنا أنْ نُحافِظَ عَلى الجَدْوَلِ الزَّمَنِيِّ . إنَّ عَلَيْهِمْ أنْ يَبْدَأوا في ذلِكَ الجُزْءِ اليَوْمَ ، وَأنْتَ تَعْرِفُ ذلِكَ .»

« لَيْسَ لِلتَّأَخُّرِ يَوْمًا أَهَمِّيَّةٌ كَبيرَةٌ ، وَلكِنْ لَوِ انْخَسَفَتِ الأرْضُ لاخْتَلَفَ الأمْرُ !»

قالَ أوين بِبُطْءٍ : « اِنْخَسَفَتِ الأرْضُ ؟!»

« نَعَمْ ، قَدْ يَحْدُثُ انْخِسافٌ في ذلِكَ الجُزْءِ مِنَ التَّلِّ .»

« هذا لا يُمْكِنُ ! وَلَوْ كانَ ذلِكَ مُحْتَمَلاً لَعَرَفْنا . هذا أمْرٌ سَخيفٌ ! لَقد أجْرَيْتُ مُعايَناتٍ لِلْمَكانِ .»

« أنا أعْرِفُ بِهذِهِ المُعايَناتِ ، وَلكِنِّي أرَدْتُ أنْ أفْحَصَها أوَّلاً ؛ وَلِهذا أوْقَفْتُ العَمَلَ هُناكَ .»

« وَما الَّذي يَجْعَلُكَ تَشُكُّ في هذا ؟ إنَّه تَفْكيرٌ سَخيفٌ ، بَلْ في

غايَةِ السُّخْفِ ! إنَّ التَّلَّ صَلْدٌ ، لَنْ يَتَحَرَّكَ . إنَّهُ في صَلابَةِ رَأْسِكَ !»
وَبَدَأ أوين يَسْتَشيطُ غَضَبًا مَرَّةً أخْرى .

« لَيْسَ بِرَأْسي أيُّ ضُرٍّ يا أوين .»

« لَيْسَ بِها أيُّ ضُرٍّ ؟! لا بُدَّ أنَّ بِها شَيْئًا . أنْتَ مَجْنونٌ ! سَوْفَ أعودُ إلى هُناكَ ، وَسَوْفَ يَبْدَأُ أولئِكَ النّاسُ عَمَلَهُمْ في الحالِ .»

« لا ، لَنْ يَبْدَأوا العَمَلَ ! لَنْ يَبْدَأوهُ وَسَوْفَ أُثْبِتُ لَكَ أنَّ لَدَيَّ السُّلْطَةَ الَّتي تَكْفُلُ لي إيقافَ العَمَلِ ، وَأنَّ هذا لَيْسَ مِنِ اخْتِصاصِكَ !»

« لَيْسَ مِنِ اخْتِصاصي ؟! سَوْفَ نَرى .» وَنَهَضَ أوين قائِلاً : « لَدَيَّ جَدْوَلٌ زَمَنِيٌّ يَجِبُ أنْ أَلْتَزِمَ بِهِ ، وَهذِهِ هِيَ سُلْطَتي .»

وَقَفَ مورْغان وَقالَ : « حَسَنٌ ، لا داعِيَ لأنْ نَتَحَدَّثَ عَنِ السُّلْطَةِ . إنَّ وُرد – تُوماس لَدَيْهِ الخَرائِطُ الخاصَّةُ بِمُعايَنَةِ الأرْضِ وَمَسْحِها ، فَلْنَذْهَبْ لِنَراها الآنَ .»

« نَذْهَبُ مَعًا ؟! وَأسْتَمِعُ إلى كَلامِكَ العِلْمِيِّ النّاعِمِ ؟ سَوْفَ أذْهَبُ لأراهُ أنا أوَّلاً .» وَغادَرَ أوين المَكْتَبَ عَلى الفَوْرِ .

وَعِنْدَما وَصَلَ مُورْغان إلى المَبْنى الرَّئيسِيِّ لَقِيَ لُودْج فَسَأَلَهُ :
« هَلْ عادَ السَّيِّدُ وُرد – تُوماس إلى مَكْتَبِهِ ؟»

أَجابَهُ لُودْج : « نَعَمْ يا سَيِّدي ، وَلكِنَّهُ مَشْغولٌ في الوَقْتِ الحاضِرِ؛ إِذْ إِنَّ أُوين مَعَهُ .»

قالَ مُورْغان : « نَعَمْ . يُمْكِنُني أَنْ أَسْمَعَ صَوْتَهُ هُناكَ .» لَقَدْ كانَ يَسْمَعُ صَوْتَهُما مِنْ وَراءِ البابِ ، وَكانَ وُرد – تُوماس يَتَحَدَّثُ بِصَوْتِهِ العَميقِ البَطيءِ ، أَمّا صَوْتُ أُوين فَقَدْ كانَ عالِياً سَريعاً غاضِباً ، وَكانَ هُوَ الَّذي يَتَوَلَّى مُعْظَمَ الحَديثِ . هَزَّ مُورْغان رَأْسَهُ وَأَخَذَ يَسيرُ جيئَةً وَذَهاباً ، ثُمَّ انْفَتَحَ البابُ ، وَكانَ أُوين واقِفاً يَقولُ كَلِمَتَهُ الأَخيرَةَ .

قالَ : « يُمْكِنُني أَنْ أَقولَ لَكَ هذا يا سَيِّدي ، لَوْ حَدَثَ هذا مَرَّةً أُخْرى ؛ فَقَدْ يَحْدُثُ إِضْرابٌ ، وَأَنا لا أُحِبُّ ذلِكَ ، وَكَذلِكَ رِجالي ، وَمِنَ المُمْكِنِ وَبِكُلِّ سُهولَةٍ أَنْ يَتَسَبَّبَ هذا في حُدوثِ إِضْرابٍ !»

« حَسَنٌ يا أُوين . إِنَّني أَشْكُرُكَ ، وَسَوْفَ أُفَكِّرُ في المَوْضوعِ .» وَكانَ وُرد – تُوماس جالِساً إلى مَكْتَبِهِ .

« نَعَمْ ، إِنَّني ... » ثُمَّ فَكَّرَ أُوين لَحْظَةً وَبَعْدَها مَضى سَريعاً دونَ أَنْ يَلْتَفِتَ إلى مُورْغان .

وَكانَ مُورْغان واقِفاً بِالبابِ ، فَقالَ لَهُ وُرد – تُوماس بِفُتورٍ : « مُورْغان ! تَعالَ يا مُورْغان وَاجْلِسْ . ما المَوْضوعُ ؟»

جَلَسَ مُورْغان وَبَدَأَ يُحَدِّثُهُ عَمّا قالَهُ جاك هيُوز ، وَشَرَحَ مَخاوِفَهُ مِنِ احْتِمالِ حُدوثِ انْخِسافٍ في الأَرْضِ ، وَأَبْدى الأَسْبابَ الَّتي جَعَلَتْهُ يَأْمُرُ بِإيقافِ العَمَلِ . وَعِنْدَما انْتَهى مِنْ حَديثِهِ كانَتْ مَلامِحُ وَجْهِ وُرد – تُوماس لا تَزالُ جادَّةً .

سَأَلَهُ : « هَلْ هذا كُلُّ ماعِنْدَكَ ؟»

أَجابَ مُورْغان : « أَجَلْ . كُنْتُ أُريدُ أَنْ أَراكَ أَوَّلاً ، وَلكِنِّي لَمْ أَجِدْكَ . كُنْتُ أُريدُ أَنْ أُراجِعَ خَرائِطَ مُعايَنَةِ الأَرْضِ وَمَسْحِها .»

قالَ وُرد – تُوماس : « دَعْ هذا الأَمْرَ الآنَ . إِنَّ الخَرائِطَ لَدى تِرِسْتُون ، وَسَيَأْتي بَعْدَ الظُّهْرِ وَسَأُقابِلُهُ . هذا لا يُهِمُّ الآنَ ، المُهِمُّ هُوَ أَنْ أَعْرِفَ ما وَراءَ كُلِّ هذا .»

« ماذا تَعْني ؟»

« لِماذا تُعارِضُ المَشْروعَ ؟»

« أَنا لا أُعارِضُ المَشْروعَ .»

« لا أَسْتَطيعُ أنْ أُصدِّقَ هذا يا مُورْغان . إنَّكَ تَحكي لابْنَتي قِصَّةً سَخيفَةً ، ثُمَّ تُسْمِعُ ثِرِسْتون مَخاوِفَكَ ، وَتَعودُ فَتُسْمِعُني إيّاها . وَمَنَحْناكَ إجازَةً لِعِدَّةِ أيّام ، فَتَعودُ مِنْ إجازَتِكَ وَتُحاوِلُ إفْسادَ بَرْنامجٍ زَمَنِيٍّ لِلْبِناءِ .»

« أنا لَمْ أُفْسِدْ بَرْنامَجَ أوين الزَّمَنِيَّ ، إنَّ كُلَّ ما فَعَلْتُهُ هُوَ أنّي أوْقَفْتُ العَمَلَ لِساعاتٍ قَليلَةٍ .»

« كانَ مِنَ الواجِبِ أنْ تَتَرَيَّثَ حَتّى تَراني .»

« أنا مُتَأَسِّفٌ ! وَلكِنْ لَدى العُمّالِ أعْمالٌ أخْرى يَقومونَ بِها .»

« إنَّ هذا البَرْنامَجَ الزَّمَنِيَّ في غايَةِ الأهَمِّيَّةِ بِالنِّسْبَةِ لأوين ، كَما أنَّ لأوين وَرِجالِهِ أهَمِّيَّتَهُم بِالنِّسْبَةِ لِلْمَشْروعِ .»

« إنَّ العُمّالَ لَمْ يَستاؤوا مِنَ الأمْرِ .»

« أ لَمْ يَحْدُثْ ذلِكَ فِعْلاً ؟ عَلَيْنا أنْ نُحافِظَ عَلى مَشاعِرِهِمْ .»

« أنا لَمْ أمَسَّ مَشاعِرَهُمْ .»

« رُبَّما . وَعَلى أيَّةِ حالٍ ، لَقَدْ بَدَأ العَمَلُ مَرَّةً أخْرى .»

« إنَّ لَدَيْكَ السُّلْطَةَ لِتُعْطِيَ الأمْرَ بِذلِكَ .»

« نَعَم لَدَيَّ هذِهِ السُّلْطَةُ ، وَأُريدُ مِنْكَ أنْ تُجيبَ عَنْ سُؤالٍ .»

« تَفَضَّلْ .»

« لَقَدْ عِشْتَ في هذِهِ البَلْدَةِ . وَأنْتَ تَعْرِفُ الكَثيرينَ مِنَ الَّذين يُعارِضونَ المَشْروعَ .»

« نَعَمْ ، أعْرِفُ بَعْضَهُمْ .»

« ما هِيَ مَدى صَداقَتِكَ لَهُمْ ؟ هَلْ تَقومُ بِالعَمَلِ مِنْ أجْلِهِمْ ؟»

وَتَمَلَّكَ الغَضَبُ مُورْغان فَجْأَةً ، وَلكِنَّهُ تَماسَكَ وَأجابَ قائِلاً :

« كَفى ! هذا سُؤالٌ في غايَةِ السُّخْفِ !»

« إذاً لِماذا تَتَصَرَّفُ عَلى هذا النَّحْوِ ؟»

« لَقَدْ حاوَلْتُ أنْ أشْرَحَ .»

« لَقَدْ كُنْتُ أعْتَقِدُ دائِماً أنَّكَ شَخْصٌ مُتَّزِنٌ ، فَما الَّذي حَدَثَ لَكَ ؟ هَلْ شَعَرْتَ أخيراً بِأنَّكَ لَسْتَ عَلى ما يُرامُ ؟ » قالَ هذا بِشَيْءٍ مِنَ العَطْفِ .

« لا ، أنا لَمْ أشْعُرْ بِشَيْءٍ مِنْ هذا .»

« لَقَدْ حكَتْ لي غُوين عَنْ حُلم رَأيْتَه .»

« ماذا تَعْني ؟ أنا لَمْ ... »

« هَلْ تُؤْمِنُ بالأحْلام ؟»

« كُنْتُ أحاوِلُ أنْ أشْرَحَ لَها شَيْئاً .»

« هَلْ رَأيْتَ أحْلاماً أخرى ؟»

« لا ، لَمْ يَحْدُثْ . ما عَلاقَةُ الأحْلام بِهذا ؟ فَلْنحاوِلِ النَّظَر مَرَّةً أخرى فيما جاءَ في تَقْريرِ المُعايَنَةِ وَمَسْحِ الأرْضِ ، وَعِنْدَئِذٍ يُمْكِنُنا أنْ نُقَرِّرَ ما يُمْكِنُ عَمَلُهُ .»

هَزَّ وُرد – تُوماس رَأسَهُ وَقالَ : « إنَّكَ تُقْلِقُني ! أنا لَسْتُ عَدُوَّكَ ، وَأنْتَ تَعْرِفُ هذا ، وَلا أريدُ أنْ أتشاجَرَ مَعَكَ ، وَلكِنَّ المَشْروعَ أهَمُّ عِنْدي مِنْ مَشاعِري ، وَأعْتَقِدُ أنَّكَ في حاجَةٍ إلى الرّاحَةِ . لَقَدْ قُمْتَ بِإجازَةٍ لِعدَّةِ أيّام ، وَمَعَ ذلِكَ لَمْ تَتَمَكَّنْ مِنْ نِسْيانِ ما يُقْلِقُكَ ، وَعُدْتَ قَبْلَ انْتِهائِها .»

« هَلْ تَظُنُّ أنّي مَجْنونٌ ؟!»

ضَحِكَ وُرد – تُوماس وَقالَ : « لا بِالطَّبْعِ ، وَلكِنَّكَ تُجْهِدُ

نَفْسَكَ في العَمَلِ . إنَّني أعْتَقِدُ أنَّكَ في حاجَةٍ إلى إجازَةٍ أخْرى .»

« أنا لَسْتُ في حاجَةٍ إلى إجازَةٍ .»

« إنَّ ما أطْلُبُهُ مِنْكَ هُوَ أنْ تَأخُذَ بِضْعَةَ أيّام أخْرى لِلرّاحَةِ .»

« لِماذا ؟ ماذا صَنَعْتُ ؟ إنَّ لَدَيَّ السُّلْطَةَ لإيقافِ العَمَلِ ، وَأنْتَ تَعْرِفُ هذا ، فَهَلْ أخْطَأتُ ؟ أنْتَ لَمْ تُلْقِ حَتّى مُجَرَّدَ نَظْرَةٍ عَلى تَقْريرِ مُعايَنَةِ المَكانِ .»

رَدَّ عَلَيْهِ وُرد – تُوماس بِقَدْرٍ أكْبَرَ مِنَ اللُّطْفِ قائِلاً : « صَدِّقْني يا داڤيد ، إنَّني أشْعُرُ حَقيقَةً بِأنَّكَ تَحْتاجُ إلى بَعْضِ الوَقْتِ لِلرّاحَةِ . أنْتَ كَثيرُ القَلَقِ . إنَّكَ عالِمٌ ، وَلكِنَّكَ تُحاوِلُ أنْ تَقومَ بِعَمَلِ كُلِّ مَنْ في المَشْروعِ . اِسْتَرِحْ باقِيَ هذا الأسْبوعِ فَقَطْ ، وَ أعْطِ الأمورَ فُرْصَةً لِتَهْدَأ .»

« إنَّكَ تَشْعُرُ بِأنّي أصْعَبُ عَلَيْكَ الأمورَ ؛ لِذا تُريدُني أنْ أبْتَعِدَ عَنِ الطَّريقِ . حَسَنٌ ، لَنْ أقومَ بِإجازَةٍ !»

قالَ وُرد – تُوماس بِحِدَّةٍ : « سَوْفَ تَقومُ بِها ! إنَّهُ أمْرٌ .» وَلكِنَّهُ أوْقَفَ انْدِفاعَهُ ، وَأضافَ بِقَدْرٍ أكْبَرَ مِنَ اللُّطْفِ : « حاوِلْ أنْ تَرى الأشْياءَ مِنْ وُجْهَةِ نَظَري . أنْتَ تَقولُ إنَّ احْتِمالَ الانْخِسافِ قائِمٌ ،

وَلكِنّي موقِنٌ مِنْ أَنَّكَ مُخْطِئٌ ، لَقَدْ كانَتْ لَدَيْكَ مَخاوِفُ أخرى . كُنْ عاقِلاً وَ خُذْ بِضْعَةَ أيّام لِلرّاحَةِ . غادِرْ تريورْن ، وَ أخْرِجِ البَلْدَةَ وَالمَشْروعَ مِنْ رَأسِكَ !»

« إذا كانَ هذا أمرًا فَلَيْسَ في وُسْعي أنْ أخالِفَهُ .»

نَهَضَ وُرد – تُوماس بِسُرْعَةٍ وَابْتَسَمَ قائِلاً : « إنَّها عُطْلَةٌ ، فاسْتَمْتِعْ بِها .» ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ مُصافِحًا ، وَأضافَ : « عِنْدَما تَعودُ تَعالَ وَقابِلْني الأسْبوعَ المُقْبِلَ في بَيْتي ، فَسَوْفَ يَكونُ بَيْنَنا حَديثٌ طَويلٌ .»

صافَحَهُ مُورْغان وَقالَ : « سَوْفَ أقابِلُكَ آنَذاكَ .» ثُمَّ غادَرَ الغُرْفَةَ دونَ أنْ يَلْتَفِتَ خَلْفَهُ .

وَكانَ لُودج عِنْدَ البابِ الرَّئيسِيِّ عِنْدَما خَرَجَ مُورْغان ، فَسَألَهُ : « ما المَوْضوعُ يا سَيِّدي ؟ إنَّكَ تَبْدو مُضْطَرِبًا ! هَلْ حَدَثَ شَيْءٌ ؟»

« أنا لا أعْرِفُ يا لُودج . أعْتَقِدُ أنّي قَدْ تَلَقَّيْتُ ضَرْبَةً على رَأسي مُنْذُ فَتْرَةٍ قَصيرَةٍ !» وَ واصَلَ سَيْرَهُ على حينِ ظَلَّ لُودْج يَنْظُرُ إلَيْهِ في دَهْشَةٍ .

جاءَ تِرِسْتُّون بَعْدَ الظُّهْرِ ، فَذَهَبَ وُرد – تُوماس لِيَراهُ ، وَأخْبَرَهُ

بِمَوْضوعِ مُورْغان . وَعِنْدَما انْتَهى مِنْ كَلامِهِ بَدَتْ دَلائِلُ الاهْتِمام على تِرِسْتُّون .

قالَ : « انْخِسافٌ ؟ هذِهِ فِكْرَةٌ تَبْدو سَخيفَةً ، أ لَيْسَ كَذلِكَ ؟ وَرَغْمَ ذلِكَ يَحْسُنُ أنْ نُعيدَ النَّظَرَ في تَقْريرِ المُعايَنَةِ .» ثُمَّ أخْرَجَ مِلَفًّا وَأخَذَ يَتَفَحَّصُهُ ، ثُمَّ قالَ : « نَعَمْ ، يَبْدو أنَّ هذا مِلَفُّ المُعايَنَةِ .» ثُمَّ أعْطى وُرد – تُوماس المِلَفَّ ، فَبَدَأَ يَتَصَفَّحُهُ بِسُرْعَةٍ . وَأخيرًا رَفَعَ نَظَرَهُ وَقَدْ قَطَّبَ جَبينَهُ .

سَألَ وُرد – تُوماس تِرِسْتُّون : « هَلْ دَرَسْتَ هذا التَّقْريرَ ؟»

« لا ، لَمْ أدْرُسْهُ بِدِقَّةٍ ، فَقَدْ كانَتْ تِلْكَ مُهِمَّةَ دَنْهام . وَلكِنْ لِماذا تَسْألُ ؟»

« أيْنَ دَنْهام ؟ هَلْ هُوَ في لَنْدَن ؟»

هَزَّ تِرِسْتُّون رَأسَهُ قائِلاً : « لا ، لَمْ يَعُدْ هُناكَ . أ لا تَذْكُرُ ؟ لَقَدْ غادَرَها بِمُجَرَّدِ أنْ بَدَأَ المَشْروعُ ، وَسافَرَ إلى أمْريكا .»

« هذا أمْرٌ يُؤْسَفُ لَهُ .»

« أ تَعْني أنَّ بِالتَّقْريرِ شَيْئًا ؟»

« لا ، لَيْسَ هذا بِالضَّبْطِ . هَلْ قَرَأتَ التَّقْريرَ ؟»

« لا بُدَّ أنّي قرَأتُه ، ولكِنّي لا أتذكَّرُ ما فيهِ ، فَقَدْ تَرَكْتُ كُلَّ ذلكَ لِدَنْهام . هَلْ كُنْتُ مُخْطِئًا في تَصرُّفي هذا ؟ ماذا جاءَ في التَّقْريرِ ؟»

نظَرَ وُرد – تُوماس إلى المِلَفِّ مُتَجَهِّمًا وَقالَ : « لَمْ يَقُلْ شَيْئًا بِالتَّحْديدِ ، وَهذِهِ هِيَ المُشْكِلَةُ ، إنَّهُ بالطَّبْعِ يَصِفُ الأَرْضَ وَالصُّخور وَيَصِفُ صُخور ذلكَ الجانِبِ مِنَ التَّلِّ بِأنَّها مُخْتَلِفَةٌ .»

« أيُّ جانِبٍ ؟ جانِبُ الأَبْراج ؟»

« نَعَمْ ، إنَّها أكْثَر رَخاوَةً ، وَقَدْ يَكونُ بِها صُدوعٌ .»

« يا إلَهي ! وَلكِنَّكَ تَقولُ قَدْ يَكونُ بِها .»

« نَعَمْ ، لَقَدْ قاموا بِبَعْضِ أعْمالِ التَّنْقيبِ مِنْ أجْلِ اخْتِبارِها . وَلكِنَّ كُلَّ أعْمالِ التَّنْقيبِ أظْهَرَتْ أنَّ الصَّخْرَ صُلْبٌ مُتَماسِكٌ .»

« إذاً فَكُلُّ شَيْءٍ عَلى ما يُرامُ !»

قالَ وُرد – تُوماس : « لَيْسَ تَماماً . إنَّ التَّقْريرَ يَتَحَدَّثُ عَنِ الماءِ الَّذي يَتَدَفَّقُ مِنَ التَّلِّ ، وَ أَلْمَحَ إلى أنَّهُ قَدْ تُجرى اخْتِباراتٌ أُخرى إضافِيَّةٌ .»

« وَهَلْ أُجْرِيَتِ اخْتِباراتٌ إضافِيَّةٌ ؟»

« لَيْسَ في المِلَفِّ شَيْءٌ عَنْ ذلِكَ .»

أخَذَ وُرد – تُوماس يُقَلِّبُ صَفَحاتِ التَّقْريرِ ، وَفَجْأةً قالَ بِغَضَبٍ:

« لا ! إنَّ دَنْهام غَبِيٌّ .»

« أ لا يَحْسُنُ أنْ نَقومَ الآنَ بِبَعْضِ الاخْتِباراتِ لِلتُّرْبَةِ ؟»

« لا أدْري . رُبَّما كانَ عَلَيْنا أنْ نوقِفَ كُلَّ العَمَلِ القائِمِ هُناكَ ، وَمَعْنى هذا إفْسادُ كُلِّ الجَداوِلِ الزَّمَنِيَّةِ .»

« نَعَمْ ، إنَّ ذلِكَ يُفْسِدُ الجَداوِلَ الزَّمَنِيَّةَ كُلَّها ، وَتُصْبِحُ دونَ فائِدَةٍ .»

لاذَ الرَّجُلانِ بِالصَّمْتِ هُنَيْهَةً ، ثُمَّ قالَ ثِرِسْتُون بِبُطْءٍ : « إذا حَفَرْنا وَوَجَدْنا صُخوراً صُلْبَةً فَسَوْفَ نَبْدو أغْبِياءَ !»

قالَ وُرد – تُوماس : « نَعَمْ . سَنَبْدو مِثْلَ عَجوزَيْنِ أبْلَهَيْنِ يَخافانِ مِنْ ... ماذا ؟»

« يَخافانِ مِنْ شُبْهَةٍ سَخيفَةٍ !»

« إنَّها شُبُهاتُ شابٍّ مَخْبولٍ ، وَهذا كُلُّ ما في الأَمْرِ ، لَوْ لَمْ يَكُنْ هُناكَ مُورْغان لَما تَرَدَّدْنا وَعاوَدْنا النَّظَرَ في تَقْريرِ المُعايَنَةِ . يَضِلُّ

مِنْهُ كَلْبُهُ فَيَأخُذُ في الشَّكِّ ، وَنَبْدَأُ نَحنُ في تَصْديقِهِ !»

وَتَنَفَّسَ وِرد – تُوماس الصُّعَداءَ ، ثُمَّ قالَ : « تُرى أ مَجْنونانِ أنا وَأَنْتَ أَيْضاً ؟!»

« رُبَّما نَعَمْ ، ورُبَّما لا !» ثُمَّ نَظَرَ پرِسْتُون مِنَ النَّافِذَةِ وَقالَ : « ماذا سَتَفْعَلُ ؟»

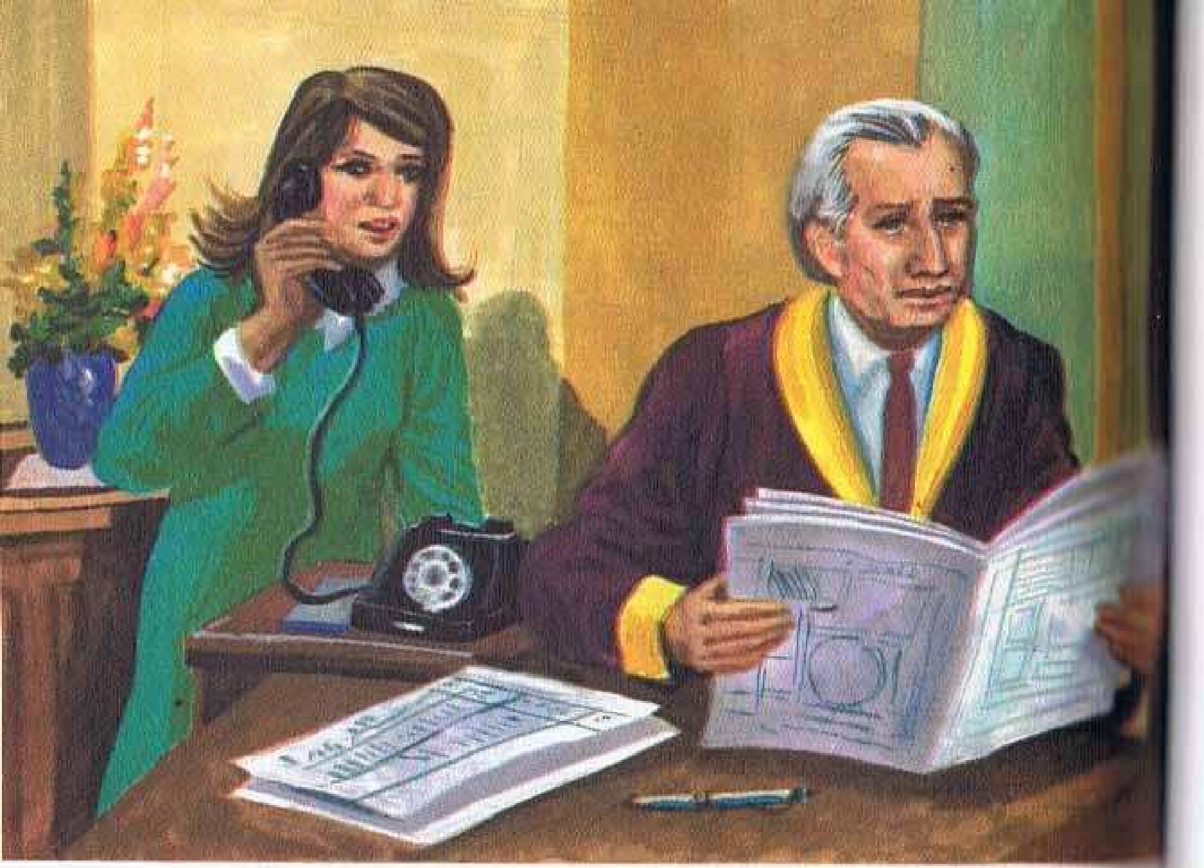
« لا أعْرِفُ ، وَعَلَيَّ أنْ أُنْعِمَ التَّفْكيرَ في المَوْضوعِ .»

قالَ پرِسْتُون وَهُوَ يَنْهَضُ : « وَأنا أَيْضاً ، وَعِنْدَئِذٍ سَوْفَ نُعاوِدُ الحَديثَ عَنِ المَوْضوعِ . سَأَدَعُ التَّقْريرَ مَعَكَ .»

« أَشْكُرُكَ .»

غادَرَ پرِسْتُون المَكانَ ، وَأَخَذَ وِرد – تُوماس المِلَفَّ وَبَدَأَ في قِراءَتِهِ بِتَأنٍّ مَرَّةً أُخْرى .

وَ جَلَسَ بَعْدَ ظُهْرِ ذلِكَ اليَوْمِ مَعَ غوين دونَ أنْ يَتَحَدَّثَ ، بِسَبَبِ شُعورِهِ بِالتَّعَبِ ؛ فَقَدْ كانَ يَوْماً مَليئاً بِالمَتاعِبِ ، وَلِهذا سَرَّهُ أنْ عادَ إلى بَيْتِهِ . وَكانَ المِلَفُّ بِجِوارِهِ ، وَظَلَّتْ غوين صامِتَةً كَذلِكَ . وَرَنَّ جَرَسُ التِّليفون ، وَنَظَرَتْ غوين إلَيْهِ فَأَوْمَأَ إلَيْها قائِلاً : « سَوْفَ أَرُدُّ عَلَيْهِ .» ثُمَّ رَفَعَ السَّمّاعَةَ وَقالَ : « نَعَمْ ، أنا وِرد – تُوماس .»



« أنا پرِسْتُون . كُنْتُ أُريدُ أنْ أسْأَلَكَ سُؤالاً لَمْ أَسْأَلْهُ لَكَ مِنْ قَبْلُ. أنا آسِفٌ لِلإزْعاجِ !»

« سَيِّدي الوَزيرُ ؟ نَعَمْ يا سَيِّدي . ماذا يُمْكِنُني أنْ أفْعَلَ ؟»

« لَمْ أُرِدْ أنْ أطْلُبَ إلى سِكْرِتيري الاتِّصالَ بِكَ . إنَّهُ رَجُلٌ فاضِلٌ وَلكِنَّ المَوْضوعَ جِدُّ مُهِمٍّ ، وَأَرَدْتُ أنْ أُحادِثَكَ بِنَفْسي . هَلْ تَفْهَمُ ؟»

« بِالطَّبْعِ يا سَيِّدي .»

« لا أريدُ أنْ أدْخُلَ في التَّفاصيلِ على التِّليفونِ ، وَيُمْكِنُكَ أنْ تَتَصَوَّرَ هذِهِ التَّفاصيلَ بِنَفْسِكَ . أريدُ فَقَطْ أنْ أُخْبِرَكَ بِأنَّنا نَقومُ بِبَيْعِ هذِهِ الأشْياءِ لِلدُّوَلِ الصَّغيرَةِ ، وَأنَّ أمْريكا دَخَلَتْ طَرَفاً في المَوْضوعِ . أ تَفْهَمُني ؟»

وَتَجَهَّمَ وَجْهُ وِرد – تُوماس وَأجابَ : « أجَلْ أفْهَمُكَ .»

« لَدَيَّ بَعْضُ الأخْبارِ المُهِمَّةِ؛ لَقَدْ حَدَثَ ما يُؤَخِّرُ إنْجازَنا لِلْمَشْروعِ ، وَنَحْنُ في حاجَةٍ إلى إنْجازِهِ قَبْلَ المَوْعِدِ بِشَهْرَيْنِ .»

« بِشَهْرَيْنِ ؟ هذا لا يُمْكِنُ !»

« أنا أعْرِفُ ذلِكَ . وَلكِنْ يُمْكِنُكُمْ عَمَلُ شَيْءٍ . رُبَّما أمْكَنَكُمْ إتْمامُهُ قَبْلَ مَوْعِدِهِ بِثَلاثَةِ أسابيعَ أوْ بِأسْبوعٍ .»

قالَ وِرد – تُوماس مُتَشَكِّكاً : « سَوْفَ نُحاوِلُ .»

« حَسَنٌ ! لَقَدْ كُنْتُ مُوقِناً مِنْ أنَّكَ سَتَقولُ هذا . هَلْ يُمْكِنُكُمْ إعادَةُ النَّظَرِ في الأرْقامِ وَالبَرامِجِ ؟ أخْبِرْني عِنْدَما تَصِلُ إلى نَتيجَةٍ .»

« سَأُحاوِلُ يا سَيِّدي الوَزيرَ ، وَبِأسْرَعِ ما يُمْكِنُ .»

« حَسَنٌ ، حَسَنٌ ، شُكْراً لَكَ .»

وَجَلَسَ وِرد – تُوماس بَعْدَ المُكالَمَةِ التِّليفونِيَّةِ مُكْفَهِرَّ الوَجْهِ .

سَألَتْهُ غوين : « هَلْ مِنْ سوءٍ ؟!»

« بَعْضُ المَتاعِبِ . أريدُ فِنْجاناً مِنَ القَهْوَةِ .» وَبَعْدَ أنْ أحْضَرَتْ لَهُ القَهْوَةَ ، قالَ : « إنَّهُ صَديقُكِ مُورْغان !»

« لا تَقُلْ لي إنَّهُ مُورْغان مَرَّةً أخْرى !»

« إنَّ الوَزيرَ يُريدُ إنْجازَ المَشْروعِ مُبَكِّراً ، وَإذا صَدَّقْنا مُورْغان فَسَوْفَ نَتَأخَّرُ . إنَّهُ يَقولُ إنَّ التَّلَّ غَيْرُ آمِنٍ ، وَإنَّ انْخِسافاً في الأرْضِ قَدْ يَحْدُثُ . إذا كانَ هذا صَحيحاً فَسَوْفَ نُعيدُ العَمَلَ كُلَّهُ مِنْ جَديدٍ .»

« هَلْ ثَمَّةَ ما يُؤَيِّدُ قَوْلَهُ ؟»

« لَيْسَ هُناكَ دَليلٌ عَلى احْتِمالِ انْخِسافِ الأرْضِ ، وَلكِنَّ تَقْريرَ المُعايَنَةِ غَيْرُ قاطِعٍ هُوَ الآخَرُ .» وَأخَذَ المِلَفَّ وَأعادَ النَّظَرَ فيهِ ثُمَّ ألْقاهُ ثانِيَةً عَلى الأرْضِ قائِلاً : « إنَّهُ لا يَدُلُّ عَلى شَيْءٍ !» وَفَكَّرَ قَليلاً ثُمَّ قالَ : « لا ! إنَّ مُورْغان وَراءَ هذِهِ المَتاعِبِ .»

« أ لَمْ يُمْكِنْكَ أنْ تَتَحَدَّثَ عَنْهُ إلى الوَزيرِ ؟»

« أقولُ لِلْوزيرِ ؟! يَجِبُ ألا نُفْشِيَ هذا السِّرَّ . وَعلى أيَّةِ حالٍ لَيْسَ ثَمَّةَ أسْرارٌ ، لوْ لَمْ يَكُنْ مُورْغان لَما كانَ القَلَقُ قَدْ أصابَنا . لَقَدْ تَعِبْتُ مِنْ هذا الشّابِّ الغَبِيِّ !»

« إنَّني أيْضًا غاضِبَةٌ مِنْهُ بَعْضَ الشَّيْءِ .»

نَظَرَ إلَيْها مُتَسائِلاً : « لِماذا ؟»

رَنَّ جَرَسُ التِّليفونِ مَرَّةً أخْرى فَقَفَزَ مِنْ مَكانِهِ قائِلاً : « « لَعْنَةُ اللّهِ عَلى هذا التِّليفونِ وَعَلى مُورْغان ! لَقَدْ نِلْتُ ما يَكْفيني هذِهِ اللَّيْلَةَ .» ثُمَّ رَفَعَ السَّمّاعَةَ وَقالَ بِحِدَّةٍ : « نَعَمْ !»

« السَّيِّدُ وُرد – تُوماس ؟ مَساءُ الخَيْرِ ، أنا فريزْبي . لَقَدْ قابَلْتُ أحَدَ رِجالِكَ وَأخْبَرَني بِقِصَّةٍ سَخيفَةٍ .» وَضَحِكَ ضِحْكَةً مُفْتَعَلَةً .

« ما اسْمُهُ ؟»

« أنا لا أعْرِفُ اسْمَ الرَّجُلِ الّذي أبْلَغَني بِالقِصَّةِ . هَلْ صادَفْتُمْ بَعْضَ المَصاعِبِ الجَديدَةِ في المَشْروعِ ؟ لَقَدْ قالَ لِيَ الرَّجُلُ إنَّ الأرْضَ قَدْ تَكونُ غَيْرَ آمِنَةٍ ، وَأنَّ ثَمَّةَ احْتِمالاً لانْخِسافِها . أعْتَقِدُ أنَّ هذِهِ شائِعَةٌ سَخيفَةٌ . أ لَيْسَ كَذلِكَ ؟»

حَمْلَقَ وُرد – تُوماس في التِّليفونِ ، وَكانَتْ سَوْرَةُ غَضَبِهِ

انْعَكَسَ عَلى مَلامِحِ وَجْهِهِ ، وَلكِنَّ صَوْتَهُ كانَ يَتَّسِمُ بِالاتِّزانِ وَالثِّقَةِ عِنْدَما رَدَّ عَلَيْهِ قائِلاً : « بَلى يا سَيِّدُ فريزْبي ، بِالطَّبْعِ . إنَّها لَيْسَتْ سِوى شائِعَةٍ سَخيفَةٍ . لَقَدْ أخْطَأَ ، فَلَيْسَتْ لَدَيْنا أيَّةُ مَخاوِفَ فيما يَتَعَلَّقُ بِانْخِسافِ الأرْضِ ، فَهِيَ آمِنَةٌ لِلْغايَةِ ، وَلَدَيْنا تَقْريرٌ خاصٌّ بِالمُعايَنَةِ الدَّقيقَةِ لِلْمَكانِ ، وَلَيْسَتْ لَدَيْنا أيَّةُ مَصاعِبَ عَلى الإطْلاقِ .»

قالَ فريزْبي : « أنا في غايَةِ السَّعادَةِ لِسَماعي هذا . وَ بِطَبيعَةِ الحالِ لَمْ أصَدِّقْ ما سَمِعْتُ .»

قالَ وُرد – تُوماس بِهُدوءٍ : « وَلكِنْ قَدْ يُصَدِّقُ الآخَرونَ هذِهِ الشّائِعَةَ ، وَ يُمْكِنُكَ – إذا أرَدْتَ – أنْ تَذْكُرَ الحَقائِقَ في صَحيفَتِكَ .»

« نَعَمْ ، وَ أرْجو ألا أكونَ قَدْ أزْعَجْتُكَ ، فَقَدْ كُنْتُ أريدُ أنْ أعْرِفَ بِهذِهِ الشّائِعَةِ .»

« إنَّكَ لَمْ تُزْعِجْني يا سَيِّدُ فريزْبي ، وَشُكْرًا لِمُكالَمَتِكَ . بِمَقْدوري أنْ أوقِفَ هذِهِ الشّائِعَةَ الآنَ . إلى اللِّقاءِ .» ثُمَّ وَضَعَ السَّمّاعَةَ .

أقْبَلَتْ غوين نَحْوَهُ قائِلَةً : « يا لَكَ مِنْ مِسْكينٍ يا أبي ! إنَّ

فرِيزْبي قَدْ سَمعَ بِالمَوْضوع .»

« نَعَمْ ، وَكانَ عَلَيَّ أنْ أتصرَّفَ بِسُرْعَةٍ . إنَّ ذلكَ قَدْ يَزيدُ كثيراً مِنْ مَتاعِبِنا .»

« وَكُلُّ هذا خطأ داڤيد ! سأعِدُّ لكَ فِنْجاناً آخرَ مِنَ القَهْوَة .»

« لا . شُكْراً يا عزيزتي . وَلكِنْ عَلَيَّ أنْ أوقِفَ هذهِ الشّائعةَ . أسْرارُ المَشْروع قَبْلَ كُلِّ شيْءٍ . يَجبُ على النّاسِ هُناكَ ألا يَتحدَّثوا عَنِ العَمَلِ ، وَإذا استَمَرَّ مورْغان في تصرُّفِهِ المَجْنونِ هذا ، فَعَلَيْهِ أنْ يَسْتَقيلَ ! إنَّ هذا قَدْ يُفْسِدُ مُسْتَقْبَلَهُ الّذي يُبَشِّرُ بِالخَيْرِ .»

« مُسْتَقْبَلُهُ يا أبي ؟! لا بِالتَّأكيدِ !»

قالَ وَهُوَ يَنْظُرُ إليْها : « أعْتَقِدُ هذا . أخْبِريني يا غْوين ، هَلْ تُريدينَ حَقيقَةً أنْ تَتزوَّجي هذا الشّابَّ ؟»

اسْتَدارَتْ وَ ابْتَعَدَتْ مُتَّجِهَةً صَوْبَ النّافِذَةِ . وَكانَ المَطَرُ يَتَساقَطُ ثانيَةً في الخارِجِ ، وَ أجابَتْ : « أنا لا أعْرِفُ يا أبي . كُلُّ ما أسْتَطيعُ أنْ أقولَهُ في هذهِ اللَّحْظَةِ هُوَ أنّي لا أعْرِفُ على الإطْلاقِ .»

الفَصْلُ السّابعُ

كانَتْ تريوِرْن تَعجُّ بِالحَرَكَةِ كُلَّ يَوْم سَبْتٍ ؛ إذْ كانَ النّاسُ يأتونَ إليْها مِنَ القُرى مِنْ أجْلِ التَّسوُّقِ ، فَقَدْ كانَتْ تُقامُ بِها السّوقُ في أيّام السَّبْتِ ، وَكانَتْ تِلْكَ السّوقُ تَحْتَلُّ جانِباً مِنْ شارِعِها الرَّئيسيِّ . أمّا الشَّوارِعُ الأخْرى فكانَتْ مُزْدَحِمَةً بِالعَرَباتِ وَالنّاسِ ، وَكانَتْ مَتاجِرُها تَحْفِلُ بِالمُشْتَرينَ طَوالَ اليَوْم . وَكانَ بِالبَلْدَةِ عَدَدٌ كَبيرٌ مِنَ المَقاهي الّتي تَمتَلِئُ بِالرُّوّادِ في أيّام السَّبْتِ كَذلِكَ ، وَكانَ مَقْهى « سِنْغِنْغ كِتل » أفْضَلَها . وَبِما أنَّ النّاسَ يُفَضِّلونَ تَناوُلَ فِنْجانِ قَهْوَةٍ في الصَّباح ، فَقَدْ كانَ ذلِكَ المَقْهى مُزْدَحِماً .

وَكانَتِ السّاعَةُ الحادِيَةَ عَشْرَةَ عِنْدَما وَقَفَ مورْغان داخِلَ المَقْهى عابِساً . لَقَدِ اخْتارَ وَقْتاً غَيْرَ مُناسِبٍ ، فَقَدْ كانَتْ كُلُّ المَناضِدِ مَشْغولَةً . ثُمَّ لَمَحَ يَداً تُلَوِّحُ لَهُ مِنْ أحَدِ الأرْكانِ ، وَسَمعَ صَوْتاً يُناديهِ : « داڤيد !» لَقَدْ كانَتْ هِيلين هِيَ الّتي تُناديهِ فاتَّجَهَ نَحْوَها ، وَكانَتْ جالِسَةً إلى مائِدَةٍ بِكُرْسِيَّيْنِ ، وَكانَ أحَدُهُما شاغِراً .

قالَتْ لَهُ : « تَفَضَّلْ بِالجُلوسِ . إنَّكَ مَحْظوظٌ ! أعْتَقِدُ أنَّ هذا هُوَ

الكُرْسِيُّ الوَحيدُ الشّاغِرُ في هذا المَقْهى . لَقَدْ حَجَزْتُهُ لِصَديقَةٍ ، وَلكِنَّها لَنْ تَأتِيَ الآنَ . لَقَدْ قالَ السَّيِّدُ تِرِسْتون إنَّكَ ما زِلْتَ في إجازَةٍ . أيْنَ كُنْتَ هذِهِ المَرَّةَ ؟»

« ذَهَبْتُ إلى أبِرْدان .»

« هَلْ هذا مَكانٌ جَميلٌ لِقَضاءِ الإجازَةِ فيهِ ؟»

كانَتْ أبِرْدان بَلْدَةً كَبيرَةً مُتَّسِخَةً تَسودُها الضَّوْضاءُ ، فَضَحِكَ وَقالَ : « لا . لَمْ أكُنْ هُناكَ لِقَضاءِ الإجازَةِ ، لَقَدْ ذَهَبْتُ إلى هُناكَ بَعْدَ ظُهْرِ أحَدِ الأيّامِ ، أمّا باقي الأيّامِ فَقَدْ قَضَيْتُها في تريورْن .»

« هَلْ كُنْتَ تَقومُ بِأعْمالٍ مُهِمَّةٍ ؟»

« لَيْسَتْ مُهِمَّةً في حَقيقَةِ الأمْرِ .» وَطَلَبَ فِنْجانَيْنِ مِنَ القَهْوَةِ مِنْ عامِلَةِ المَقْهى ، ثُمَّ واصَلَ حَديثَهُ قائِلاً : « لَقَدْ ذَهَبْتُ إلى مَكْتَبَةِ البَلْدَةِ ، ثُمَّ قَضَيْتُ يَوْمَيْنِ في مَكاتِبِ صَحيفَةِ « تريورْن ميل » . وَكُنْتُ أقومُ بِقِراءَةِ صُحُفٍ قَديمَةٍ .» وَكانَ مَعَهُ كِتابانِ قَدْ وَضَعَهُما عَلى المائِدَةِ فَتَناوَلَهُما وَأراهُما إيّاها قائِلاً : « أُنْظُري ، هذا كِتابُ « تاريخ تريورْن » وَهذا « تريورْن وَ تاريخُها » . لَقَدْ كُنْتُ أقومُ بِدِراسَةِ ماضي تريورْن .» ثُمَّ وَضَعَهُما عَلى المائِدَةِ ثانِيَةً وَقالَ :

« كُنْتُ ذاهِباً لأعيدَهُما إلى المَكْتَبَةِ ؛ إذْ لَمْ يُساعِداني كَثيراً .»

« في أيِّ شَيْءٍ يُساعِدانِكَ ؟»

« كُنْتُ أقومُ بِالبَحْثِ عَنْ مَعْلوماتٍ عَنْ مُنَجِّم قَديم .»

أخَذَتْ رَشْفَةً مِنْ فِنْجانِ القَهْوَةِ وَسَألَتْ : « لِماذا ؟»

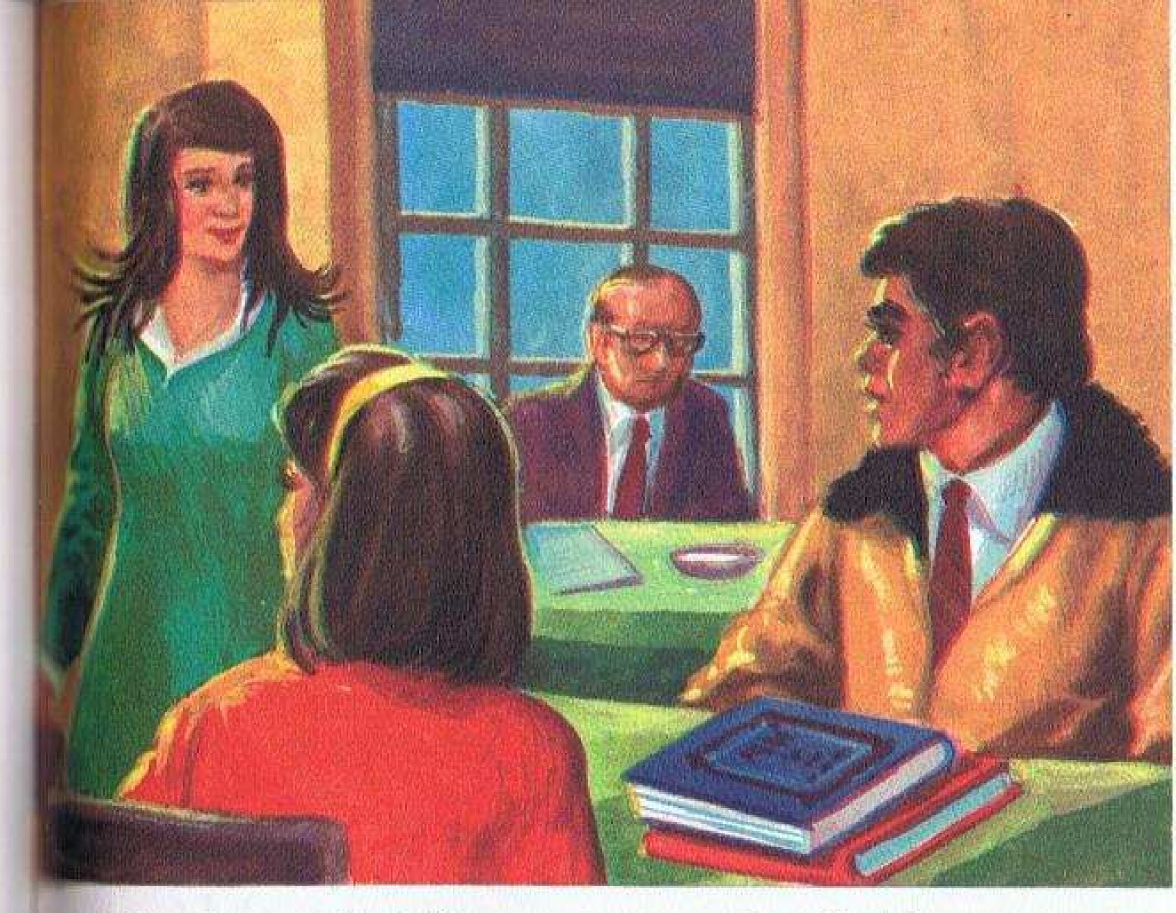
« أنا في مَأزِقٍ ! لَقَدْ قُلْتُ بَعْضَ العِباراتِ الخَطيرَةِ دونَ أنْ يَكونَ لَدَيَّ دَليلٌ . وَقَدْ وَجَدْتُ أخيراً المَعْلومَةَ الَّتي أبْحَثُ عَنْها في أبِرْدان . إنَّ فيها بَعْضَ العَوْنِ ، وَعَلَيَّ الآنَ أنْ أجِدَ المُنَجِّمَ نَفْسَهُ .»

« أيُّ مَأزِقٍ يا داڤيد ؟»

« إنَّهُ مُتَعَلِّقٌ بِالمَشْروعِ .» ثُمَّ قَطَّبَ جَبينَهُ .

« قُلْ لي ...» وَلكِنَّهُ كانَ لا يَزالُ يُحَمْلِقُ إلى وَجْهِها عابِساً ؛ لِذا قالَتْ : « أنا مُتَأسِّفَةٌ ! كانَ مِنَ الواجِبِ ألا أسْألَ .»

« لا ، لا تَقولي هذا . وَلكِنَّ هذِهِ الأفْكارَ الخَطيرَةَ الَّتي تُساوِرُني قَدْ أقْلَقَتْ كُلَّ النّاسِ ، وَإذا تَحَدَّثْتِ عَنْها فَسَوْفَ تُواجِهينَ المَتاعِبَ أنْتِ أيْضاً .»



« لَنْ أتحدَّثَ عنْها يا داڤيد ، ولكنِّي أفْهَمُ مَوْقِفَكَ ، وأنْتَ أعْلَمُ بِما يَجِبُ عَمَلُهُ .» ثُمَّ نَظَرَتْ إلى فِنْجانِها .

« لَيْسَ هذا ما أقْصِدُ يا هيلين . حَقيقَةً إنَّ المَوْضوعَ قَدْ يُسَبِّبُ لَكِ المَتاعِبَ . صَدِّقيني ! فَلَوِ الْتَزَمْتُ الصَّمْتَ مَعَ الآخَرينَ فَلَنْ أَلْتَزِمَهُ مَعَكِ أنْتِ .» ثُمَّ تَوَقَّفَ عَنِ الحَديثِ ، فَقَدْ أَحَسَّ بِفَتاةٍ تَقِفُ إلى جِوارِهِ ؛ إذْ حالَتِ الضَّوْضاءُ الَّتي مَلأتِ المَقْهى دونَ أنْ يَتَنَبَّهَ لَها وَهِيَ تَقْتَرِبُ ، فَنَهَضَ مِنْ كُرْسِيِّهِ لِيُقَدِّمَهُ لَها قائِلاً : « غوين ! مَتى أَتَيْتِ ؟»

رَدَّتْ بِجَفاءٍ : « أَتَيْتُ لِتَوِّي . لا أُريدُ أنْ أَقْطَعَ عَلَيْكُما الحَديثَ !»

قالَ مُورْغان : « اِجْلِسي .»

« لا ، لَنْ أَمْكُثَ .»

« هَلْ سَبَقَ أنْ قابَلْتِ الآنِسَةَ هيلين لانْسِنْغ ؟»

« لا ، وَلكنِّي سَمِعْتُ عَنْها . كَيْفَ حالُكِ ؟» وَلَمْ تَمُدَّ يَدَها لِتُصافِحَها . وَ واصَلَتْ حَديثَها قائِلَةً : « أنْتِ تَعْمَلينَ في المَشْروعِ ؛ أَلَيْسَ كَذلِكَ ؟»

« بَلى ، فَأنا سِكْرِتيرَةٌ وَأُؤَدّي بَعْضَ الأعْمالِ لِلسَّيِّدِ مُورْغان .»

« أَ صَحيحٌ ؟! إنَّ هذا لَجَميلٌ ! هَلْ أَنْتِ مِنْ تريورْن أَيْضاً ؟»

« لا ، أنا مِنْ لَنْدَن .»

« هَلْ تُحِبّينَ الحَياةَ هُنا ؟ هَلْ تَخْرُجينَ كَثيراً ؟»

« إلى حَدٍّ ما !»

« وَلكِنَّ الفَنادِقَ هُنا لَيْسَتْ جَيِّدَةً مِثْلَ فَنادِقِ لَنْدَن ؛ أَ لَيْسَ

كَذلِكَ ؟ كَيْفَ كانَ غَداؤُكِ في « البَيْتِ الأحْمَرِ » ؟»

« لَقَدِ اسْتَمْتَعْتُ بِهِ كَثيراً ، شُكْراً لَكِ . لَقَدْ كانَتْ تِلْكَ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَذْهَبُ فيها إلى هُناكَ .»

« أَحَقّاً ؟ إنَّ هذا لَيَسُرُّني كَثيراً . لَمْ يَذْكُرْ لي داڤيد شَيْئاً عَنْ هذا ، وَقَدْ دَهِشْتُ .» ثُمَّ ابْتَسَمَتْ لَهُما ابْتِسامَةً مُصْطَنَعَةً .

سَأَلَها مُورْغان : « إلى أَيْنَ سَتَذْهَبينَ الآنَ يا غوين ؟»

« سَأَذْهَبُ لِأَتَسَوَّقَ .»

« سَآتي مَعَكِ .»

« أَرْجوكَ ، لا أُريدُ أَنْ أُبْعِدَكَ عَنْ هُنا .»

« أَنْتِ لا تُبْعِدينَني . كانَ المَكانُ مُزْدَحِماً ، وَكانَ لَدى هيلين... أَعْني الآنِسَةَ لانْسِنْغ ، مَقْعَدٌ شاغِرٌ .»

« حَقّاً !» ثُمَّ ابْتَسَمَتْ لَهُما الابْتِسامَةَ المُصْطَنَعَةَ نَفْسَها مَرَّةً أُخْرى .

« حَسَنٌ ، لِنَذْهَبِ الآنَ .» وَمَدَّ يَدَهُ قائِلاً : « دَعيني أَحْمِلْ عَنْكِ هذِهِ الأَشْياءَ .»

« لا ، رُبَّما كانَ مِنَ الأَفْضَلِ ألا تَفْعَلَ ذلِكَ يا داڤيد ؛ فَسَوْفَ أُقابِلُ أبي ، وَهُوَ يَعْتَقِدُ أَنَّكَ لا تَزالُ خارِجَ المَدينَةِ ، وَلَيْسَتْ بَيْنَكُما حِبالُ مَوَدَّةٍ قَوِيَّةٌ في الوَقْتِ الحاضِرِ ؛ أَلَيْسَ كَذلِكَ ؟ سَوْفَ أَذْهَبُ بِمُفْرَدي ، وَلكِنِ اتَّصِلْ بي تِليفونيًّا عِنْدَما يَسْمَحُ لَكَ وَقْتُكَ بِذلِكَ . مَعَ السَّلامَةِ يا آنِسَةُ لانْسِنْغ ، سَرَّني لِقاؤُكِ .» وَمَضَتْ بِسُرْعَةٍ وَسْطَ الزِّحامِ ، وَشَيَّعَها مُورْغان بِنَظَراتِهِ وَهِيَ تَذْهَبُ ، ثُمَّ جَلَسَ وَشَرِبَ قَهْوَتَهُ وَقالَ : « إنَّها لَيْسَتْ دائِماً هكَذا ، كَما تَعْلَمينَ .»

قالَتْ هيلين بِشَيْءٍ مِنَ الارْتِباكِ : « يَجِبُ عَلَيَّ أَنْ أَذْهَبَ أَنا أَيْضاً .» ثُمَّ نَهَضَتْ وَتَناوَلَتْ حَقيبَتَها وَ هِيَ تَقولُ : « هَلْ سَتَأْتي إلى المَكْتَبِ يَوْمَ الاثْنَيْنِ ؟ هُناكَ بَعْضُ الأَوْراقِ الَّتي يَجِبُ أَنْ تَطَّلِعَ عَلَيْها .»

« أَعْتَقِدُ ذلِكَ ، وَ سَأَراكِ هُناكَ . شُكْراً عَلى المَقْعَدِ .»

قالَتْ وَ هِيَ تَبْتَسِمُ : « عَفْواً ! مَعَ السَّلامَةِ .»

« مَعَ السَّلامَةِ .»

*****

كانَ أَلان جونْز رَجُلاً ضَئيلَ الجِسْمِ أَشْيَبَ الرَّأْسِ ، وَكانَ

صَديقُهُ جُون پاول يَصْغُرُهُ سِنًّا ، ذا قامَةٍ طَويلَةٍ وَ وَجْهٍ نَحيفٍ مُسْتَطيلٍ ، مِمّا جَعَلَهُ يَبْدو كالأَبْلَهِ . وَكانَ الرَّجُلانِ مِنْ عُمّالِ أُوين الَّذينَ يَعْمَلونَ في المَشْروعِ ، وَكانا في تِلْكَ اللَّحْظَةِ لا يَعْمَلانِ ، بَلْ كانا جالِسَيْنِ يُدَخِّنانِ في غَيْبَةِ أُوين .

قالَ ألان : « إنَّ اليَوْمَ هُوَ السَّبْتُ ، وَالجَوُّ جَميلٌ بَعْدَ الظُّهْرِ . أَ لَمْ أَقُلْ لَكَ ذلِكَ بِالأَمْسِ ؟ أَ لَمْ أَقُلْ لَكَ إنَّ الطَّقْسَ سَيَكونُ دافِئًا وَالسَّماءَ صَحْوًا ، وَهُوَ جَوٌّ رائِعٌ لِمُباراةِ الرَّجبي ، وَها نَحْنُ أولاءِ مُقَيَّدونَ بِالعَمَلِ هُنا . »

نَظَرَ جُونز بِأَسًى وَحَسْرَةٍ نَحْوَ سَفْحِ التَّلِّ وَقالَ : « نَحْنُ هُنا عَلى حينَ ذَهَبَ تُوم وَ إيڤان إلى مُباراةِ الرَّجبي . »

قالَ ألان : « هذا مَعْقولٌ ، وَلكِنَّهُما لَمْ يُعْطِيانا فُرْصَةً كافِيَةً لِنَذْهَبَ مَعَهُما . نَحْنُ لَمْ نَعْمَلْ قَطُّ مِنْ قَبْلُ يَوْمَي السَّبْتِ والأَحَدِ ، إنَّ عَمَلَنا في هذَيْنِ اليَوْمَيْنِ سَوْفَ يُعَجِّلُ بِانْتِهائِهِ مُبَكِّرًا . هَلْ أُوين قَريبٌ مِنّا ؟ »

وَقَفَ جُونز وَنَظَرَ حَوْلَهُ ثُمَّ قالَ : « لا . »

« ماذا يَفْعَلُ الآخَرونَ ؟ »

« إنَّهُمْ يَعْمَلونَ . »

« اِجْلِسْ يا رَجُلُ ، دَعْهُمْ يَعْمَلوا . نَحْنُ في حاجَةٍ إلى تِلْكَ المَعادِنِ ، كَما تَعْرِفُ ، فَلا يُمْكِنُنا العَمَلُ بِدونِ القُضْبانِ المَعْدِنِيَّةِ . هذِهِ حُجَّةٌ مَعْقولَةٌ ! أَ لَيْسَ كَذلِكَ ؟ حَتّى أُوين نَفْسُهُ ، عَلَيْهِ أَنْ يَعْرِفَ ذلِكَ . »

جَلَسَ جُون مَرَّةً أُخْرى وَطَفِقا يَتَحَدَّثانِ عَنِ المُباراةِ . وَكانَ كُلُّ الرِّجالِ في تريڤورْن مُهْتَمّينَ بِهذِهِ اللُّعْبَةِ ، وَقَدْ ذَهَبَ مُعْظَمُهُمْ لِمُشاهَدَةِ المُباراةِ ؛ إذْ إنَّ ذلِكَ يَخْلُقُ لَهُمْ مَوْضوعًا مُناسِبًا لِلْحَديثِ طَوالَ الأُسْبوعِ .

قالَ جُون : « هَلْ تَذْكُرُ ذلِكَ اللاعِبَ المُمْتازَ الَّذي يُدْعى دافيز ؟ كانَ مُنْذُ أُسْبوعَيْنِ ... »

قاطَعَهُ ألان قائِلاً : « اِنْتَبِهْ ! » ثُمَّ نَهَضَ بِسُرْعَةٍ وَ داسَ بِقَدَمِهِ عَلى سيجارَتِهِ ، أَمّا جُون فَقَدْ نَهَضَ بِبُطْءٍ .

« ماذا تَصْنَعانِ أَنْتُما الاِثْنانِ ؟ »

قالَ ألان بِأَدَبٍ : « نَحْنُ في انْتِظارِ القُضْبانِ المَعْدِنِيَّةِ يا سَيِّدُ أُوين . »

قالَ أوين بِحِدَّةٍ : « أنْتُما لا تَأخُذانِ أجْرًا مِنْ أجْلِ أنْ تَجْلِسا .»

قالَ ألان : « كُنّا في حاجَةٍ إلى القُضْبانِ .»

« إنَّ القُضْبانَ لَنْ تَأتِيَ ، فَقَدِ اتَّصَلْتُ تليفونيًّا بِالمَخْزَنِ مُنْذُ لَحْظَةٍ ، وَلَمْ يَكُنْ بِهِ قُضْبانٌ يُرْسِلونَها لَنا في يَوْمِ السَّبْتِ . يُمْكِنُكُما القِيامُ بِعَمَلٍ آخَرَ . أيْنَ تُوم وَ إيفان ؟»

قالَ ألان : « لَقَدْ عادَ كُلٌّ مِنْهُما إلى بَيْتِهِ .»

« إنَّهُما لَمْ يُقابِلاني .»

« لا يا سَيِّدُ أوين . كانَ عَلَيْهِما أنْ يَعودا إلى المَنْزِلِ ؛ فَلَدَيْهِما بَعْضُ الأعْمالِ .»

« أعْمالٌ ؟! لَقَدْ ذَهَبا إلى المُباراةِ .»

قالَ ألان : « إنَّنا لَمْ نَعْمَلْ مِنْ قَبْلُ في أيّامِ السَّبْتِ ، كَما تَعْرِفُ ، وَهُما لا يُحِبّانِ العَمَلَ في يَوْمِ السَّبْتِ .»

« لا يُحِبّانِ العَمَلَ ! عَلَيْنا أنْ نَنْتَهِيَ مِنَ المَشْروعِ بِسُرْعَةٍ .» وَبَدَأَ أوين يَزْدادُ غَضَبًا : « هذِهِ هِيَ الأوامِرُ الجَديدَةُ . عَلَيْنا أنْ نَعْمَلَ كُلَّ أيّامِ السَّبْتِ وَالأحَدِ كَذلِكَ ، سَواءٌ أ أحَبّوا ذلِكَ أمْ لا . إنَّهُمْ

يَتقاضَوْنَ أجْرًا كَبيرًا مُقابِلَ ذلِكَ .»

« إنَّ بَعْضَ النّاسِ لَيْسَ جُلُّ هَمِّهِمْ في النُّقودِ يا سَيِّدُ أوين .»

وَحدَّقَ أوين إلَيْهِ ، بَيْدَ أنَّ ألان خَفَضَ بَصَرَهُ وَهُوَ يَبْتَسِمُ .

« عَلَيْكُما أنْتُما الاثْنانِ أنْ تَقوما بِعَمَلِ تُوم وَ إيفان . اذْهَبا إلى هُناكَ وَ ... »

قاطَعَهُ جُون باول مُشيرًا بِإصْبَعِهِ : « أُنْظُرْ مَنْ ذلِكَ الرَّجُلُ ؟ لَقَدْ صَعِدَ التَّلَّ لِتَوِّهِ .»

نَظَرَ أوين وَسَأَلَ : « أيْنَ ؟ نَعَمْ ، إنّي أراهُ . لَيْسَ مِنَ المُحْتَمَلِ أنْ يَكونَ أحَدَ رِجالِ الإدارَةِ ، فَهُمْ لا يَعْمَلونَ اليَوْمَ . كَيْفَ جاءَ هذا الشَّخْصُ إلى هُنا ؟ غَيْرُ مَسْموحٍ لِأحَدٍ بِالمَجيءِ إلى هذا المَكانِ . تَعالَيا مَعي .» وَاتَّجَهَ بِسُرْعَةٍ نَحْوَ الشَّخْصِ المُقْبِلِ مِنْ بَعيدٍ .

عِنْدَما اقْتَرَبَ أوين مِنْهُ بَدَأَ يَصيحُ : « أنْتَ يا هَذا ! غَيْرُ مَسْموحٍ لِأحَدٍ بِالسَّيْرِ هُنا . تَعالَ هُنا !»

وَ لَمّا اقْتَرَبوا مِنَ الشَّخْصِ ، بَدَأوا يَرَوْنَهُ بِوُضوحٍ أكْثَرَ .

قالَ ألان : « لا بَأسَ ، إنَّهُ السَّيِّدُ مورْغان .»

« أ تَقولُ لا بَأس ؟ لا ! هذا غَيْرُ جائزٍ عَلى الإطْلاقِ !» ثُمَّ نادى : « مُورْغان !» وَاتَّجَهَ مُورغان نَحْوَهُمْ ، ثُمَّ سَأَلَ بِهُدوءٍ : « ما المَوْضوعُ ؟ وَمَنْ أرى ؟ جُونْز وَ پاول وَ السَّيِّدُ أوِين . مَساءُ الخَيْرِ .»

رَدَّ جُونْز وَ پاول : « مَساءُ الخَيْرِ يا سَيِّدُ مُورْغان .»

سَأَلَهُ أوِين : « ماذا تَفْعَلُ هُنا ؟»

« إنَّني أتَحقَّقُ مِنْ شَيْءٍ .»

« نَحْنُ لَسْنا في حاجَةٍ إلى تَحقُّقٍ . لَسْتَ أنْتَ الَّذي يَتَحقَّقُ مِنّا ! وَالآنَ اذْهَبْ !»

« أنا لا أتَحقَّقُ مِنْكُمْ ، وَإنَّما أبْحَثُ عَنْ شَيْءٍ .»

« ماذا ؟»

نَظَرَ مُورْغان إلى جُونْز وَ پاول ثُمَّ إلى أوِين وَقالَ : « أ تَذْكُرُ حَديثَنا ؟»

« أ تَعْني ذلِكَ المَوْضوعَ السَّخيفَ ؟!»

« إنَّهُ لَيْسَ سَخيفاً . لَقَدْ ذَهَبْتُ إلى أبِرْدان وَوَجَدْتُ وَثيقَةً قَديمَةً ، جاءَ فيها أنَّ مَنْجَماً كانَ بِهذا المَكانِ ، وَأنَّهُمْ بَدَأوا في اسْتِغْلالِهِ .

وَلا بُدَّ أنَّ ثَمَّةَ مَدْخَلاً لِهذا المَنْجَم ، وَكُنْتُ أبْحَثُ عَنْهُ في الجانِبِ الآخَرِ مِنَ التَّلِّ .»

« هُنا ؟ أنا أعْرِفُ كُلَّ شِبْرٍ في هذِهِ المِنْطَقَةِ . دَعْكَ مِنْ هذِهِ التُّرَّهاتِ !»

كانَ أوِين يَقِفُ قَريباً مِنْ مُورْغان ، وَرَغْمَ ذلِكَ فَقَدْ كانَ صَوْتُهُ أشْبَهَ بِالصِّياحِ .

سَأَلَ جُونْز : « هَلْ تَتَحَدَّثُ عَنْ مَنْجَم يا سَيِّدُ مُورْغان ؟ هَلْ تَعْتَقِدُ أنَّهُ يوجَدُ مَنْجَمٌ تَحْتَ التَّلِّ ؟»

اِتَّجَهَ أوِين نَحْوَ مُورْغان قائِلاً : « لا تُثِرْ هذا المَوْضوعَ السَّخيفَ مَرَّةً أخْرى . لَقَدْ نِلْنا كِفايَتَنا مِنْ إشاعاتِكَ المَجْنونَةِ ! لَيْسَ ثَمَّةَ مَنْجَمٌ ، وَلَمْ يَكُنْ بِهذا المَكانِ مَنْجَمٌ قَطٌّ .»

« لَقَدْ بَدَأوا في اسْتِغْلالِ مَنْجَم في هذا المَكانِ ، وَقَدْ وَجَدْتُ تَقْريراً بِذلِكَ . لَقَدْ حَدَثَ هذا مُنْذُ سِنينَ عَديدَةٍ ، وَمِنَ المُحْتَمَلِ أنْ يَكونَ مَدْخَلُ المَنْجَم قَدِ انْهارَ .»

تَدَخَّلَ جُونْز وَقالَ : « هذا صَحيحٌ يا سَيِّدُ أوِين ، فَقَدْ لا تَعْرِفُ الحَقيقَةَ كُلَّها ، وَكُلُّ شَيْءٍ جائِزٌ .» .

صاحَ بِهِ أوين قائِلاً : « صَهٍ وَلا تَتَحَدَّثْ ! عُدْ إلى عَمَلِكَ . وَأَنْتَ يا مُورْغان استَمِعْ إليَّ ! لَقَدْ صادَفْتُ قَدْراً كافِياً مِنَ المَتاعِبِ بَعْدَ ظُهْرِ هذا اليَوْم ، وَلَمْ نَتَمَكَّنْ مِنَ الحُصُولِ عَلى ما نَحْتاجُهُ مِنْ مَوادَّ ، وَقَدْ عادَ بَعْضُ الرِّجالِ إلى مَنازِلِهِمْ ، وَالآخَرونَ لا يُريدونَ العَمَلَ . وَالآنَ ها أَنْتَ ذا قَدْ أَتَيْتَ ، وَسَوْفَ يُفَضِّلونَ الاِسْتِماعَ إلى كَلامِكَ السَّخيفِ بَدَلاً مِنَ العَمَلِ . ها أَنْتَ ذا تَتَدَخَّلُ مَرَّةً أُخْرى . اِرْحَلْ عَنْ هذا المَكانِ !»

« أنا لا أَتَدَخَّلُ في عَمَلِكَ ، وَلَيْسَ ثَمَّةَ مايُجْبِرُهُمْ عَلى أَنْ يَسْتَمِعوا إليَّ .»

« أ لَمْ تَسْمَعْني ؟! قُلْتُ لَكَ ارْحَلْ !» وَأَمْسَكَ أوين بِمُورْغان الَّذي حَرَّرَ نَفْسَهُ مِنْ قَبْضَتِهِ قائِلاً : « كُفَّ عَنِ الصِّياح ، فَأنا لَسْتُ في الوادي الآخَرِ !»

نَظَرَ أوين إلى جُونْز وَ باول ، وَكانَ جُونْز يُحاوِلُ إخْفاءَ ابْتِسامَتِهِ بِيَدِهِ . وَبَدَأَ مُورْغان يَسيرُ مُبْتَعِداً .

صاحَ بِهِ أوين : « إلى أَيْنَ أَنْتَ ذاهِبٌ ؟»

« سَأَذْهَبُ لأَفْحَصَ الجانِبَ الآخَرَ مِنَ التَّلِّ . دَعْني وَشَأْني !»

« إذا ذَهَبْتَ إلى هُناكَ فَسَوْفَ يَتَوَقَّفُ العُمّالُ عَنِ العَمَلِ وَيُراقِبونَكَ ، وَسَوْفَ يَنْسِجونَ بَعْضَ القِصَصِ الطَّريفَةِ . لا ، لَنْ أَدَعَكَ تَذْهَبُ !» وَأَسْرَعَ أوين وَراءَهُ وَأَمْسَكَ بِذِراعِهِ مَرَّةً أُخْرى .

خَلَّصَ مُورْغان نَفْسَهُ قائِلاً : « دَعْني ، وَلا تَكُنْ أَحْمَقَ !»

« لَنْ أَسْمَحَ لَكَ بِالسَّيْرِ هُنا !»

« أَنْتَ لا تَقْدِرُ عَلى أَنْ تَمْنَعَني .»

« أ واثِقٌ أَنْتَ ؟»

« أَجَلْ !»

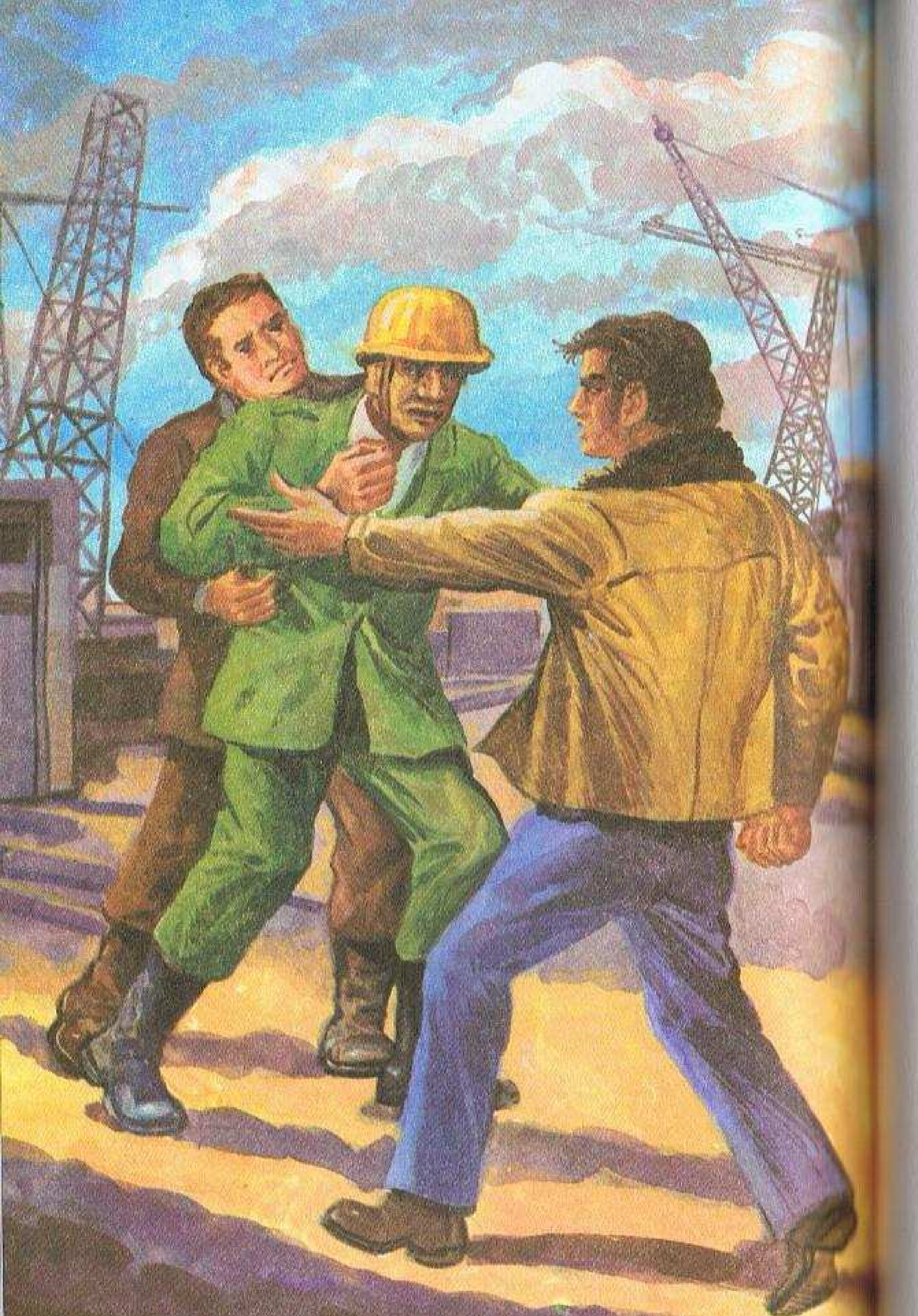
ضَحِكَ باول ، وَكانَ يَقِفُ وَراءَ أوين ، الَّذي احْمَرَّ وَجْهُهُ بِشِدَّةٍ، وَقالَ : « سَوْفَ نَرى . أ لا تَنْوي الذَّهابَ ؟ إذاً سَأَدُقُّ عُنُقَكَ !»

اِبْتَعَدَ مُورْغان قائِلاً : « لا تَكُنْ مُتَهَوِّراً !»

« أ لَنْ تَنْصَرِفَ ؟»

« نَعَمْ !»

« حَسَنٌ !» وَحاوَلَ أوين أَنْ يَلْطِمَهُ ، فَابْتَعَدَ مُورْغان عَنْهُ في



الوَقْتِ المُناسِبِ ، فَسَقَطَتِ الضَّرْبَةُ على ذِراعِهِ ، وَصاحَ جُونْز : « ما هذا ؟!» وَأَقْبَلَ مَعَ پاول مُهَرْوِلَيْنِ ، وَكانَ مُورْغان يوشِكُ أَنْ يَرُدَّ الضَّرْبَةَ ، فَأَمْسَكَ پاول بِأُوِين ، وَأَنْزَلَ مُورْغان يَدَهُ .

قالَ جُونْز : « إِنَّكُما ، أَيُّها السَّيِّدانِ ، تَتَصَرَّفانِ كَطِفْلَيْنِ !» فَبَدَتْ عَلاماتُ الخَجَلِ عَلى وَجْهِ أُوِين .

قالَ مُورْغان : « حَسَنٌ يا أُوِين . اِهْدَأْ وَلا تَقْلَقْ ، إِنّي ذاهِبٌ . شُكْرًا يا جُونْز ، شُكْرًا يا پاول . أَنا آسِفٌ لِما حَدَثَ !» ثُمَّ اتَّجَهَ نَحْوَ البَوّابَةِ الرَّئِيسِيَّةِ .

خَلَّصَ أُوِين نَفْسَهُ وَقالَ : « أَنا آسِفٌ ! لَقَدْ نَسيتُ نَفْسي . وَالآنَ عَلَيْنا أَنْ نَعودَ إِلى العَمَلِ .» ثُمَّ نَظَرَ في اتِّجاهِ مُورْغان وَقالَ : « سَوْفَ نُحاسِبُهُ عَلى ذلِكَ يَوْمَ الاثْنَيْنِ .»

وَفي يَوْمِ الاثْنَيْنِ كانَ وُرد – توماس في مَكْتَبِهِ ، وَقَدِ انْقَضَتْ ساعَةٌ دونَ أَنْ يَفْعَلَ شَيْئًا ، ثُمَّ رَفَعَ سَمّاعَةَ التِّلِيفونِ ، وَانْتَظَرَ لَحْظَةً ثُمَّ قالَ : « لُودْج ؟»

« نَعَمْ يا سَيِّدي .»

« هَلْ تَسَلَّمَ الرِّسالَةَ ؟ هَلْ وَصَلَ إِلى مَكْتَبِهِ ؟»

أجابَ لُودْج : « لا يا سيِّدي . »

وكانَتْ تِلْكَ هِيَ المَرَّةَ الثّالِثَةَ الّتي يُوَجِّهُ فيها وُرد – تُوماس هذا السُّؤالَ إلَيْهِ ، فَقالَ لُودْج : « عِنْدَما يَأتي سَوْفَ أُخْبِرُهُ على الفَوْرِ . »

وَضَعَ وُرد – تُوماس سَمّاعَةَ التِّليفون وَراحَ يَسيرُ في مَكْتَبِهِ جيئَةً وَذَهابًا . وَمَرَّتْ عَشْرُ دَقائِقَ ثُمَّ سَمِعَ طَرْقًا على البابِ فَقالَ : « أُدْخُلْ . » وَدَخَلَ مُورْغان الغُرْفَةَ .

« تَلَقَّيْتُ رِسالَتَكَ . هَلْ تُريدُ أَنْ تَراني ؟ »

« أَجَلْ ، وَأَنْتَ تَعْرِفُ السَّبَبَ . اِجْلِسْ . »

« أَ بِسَبَبِ أَنّي أَغْلَظْتُ القَوْلَ لأُوِين يَوْمَ السَّبْتِ ؟ هَلْ هذا هُوَ السَّبَبُ ؟ »

« هذا جُزْءٌ مِنْهُ . »

« جُزْءٌ مِنْهُ ؟! »

كانَ وُرد – تُوماس جالِسًا إلى مَكْتَبِهِ يَنْظُرُ إلى يَدَيْهِ ، فانْتَظَرَ مُورْغان الرَّدَّ وَهُوَ عابِسٌ ، ثُمَّ نَظَرَ وُرد – تُوماس إلَيْهِ وَقالَ : « أُريدُ مِنْكَ وَعْدًا . »

« وَعْدًا بِماذا ؟ »

« بِألا تَتَحَدَّثَ مَرَّةً أُخْرى عَنِ احْتِمالِ انْخِسافِ الأَرْضِ . »

« وَلكِنْ لِماذا ؟ لَيْسَ هذا مِنَ الأَمانَةِ في شَيْءٍ ؛ فَقَدْ وَجَدْتُ دَليلاً . »

« وَجَدْتَ دَليلاً ؟! أَ وَجَدْتَهُ في مَكاتِبِ جَريدَةِ «تريبيون ميل» ؟ »

« كانَ بِها شَيْءٌ ، وَلكِن ... »

« وَتَحَدَّثْتَ إلى فريزبي عَنْهُ ؟ »

« لا ! بِالطَّبْعِ لا ! »

« إذًا فَقَدْ خَمَّنَ ما حَدَثَ ؛ لَقَدْ تَحَدَّثَ مَعَ أَصْدِقائِهِ في لَنْدَن عَنِ المَوْضوعِ . لا بُدَّ أَنَّ المَوْضوعَ قَدْ بَدا لَهُ في غايَةِ الأَهَمِّيَّةِ . لَقَدِ اتَّصَلَ بي تِليفونيًّا أَمْسِ . »

« إنّي آسِفٌ لِذلِكَ . »

« هَلْ هذا هُوَ كُلُّ ما يُمْكِنُكَ قَوْلُهُ ؟! عَلَيْنا أَنْ نُنْجِزَ هذا المَشْروعَ في مَوْعِدِهِ ، وَفي وُسْعِنا أَنْ نَفْعَلَ ذلِكَ بِدونِكَ . لَقَدْ تَسَبَّبْتَ في إثارَةِ القَلاقِلِ خِلالَ الأُسْبوعَيْنِ الماضِيَيْنِ ، فَما سَبَبُ

ذلِكَ ؟ هَلْ أَنْتَ خائِنٌ ؟ هَلْ أَنْتَ مَأجورٌ لِلْقِيامِ بِذلِكَ ؟ أنا لا أَعْتَقِدُ ذلِكَ . هَلْ أُصِبْتَ بِالجُنونِ ؟! لا يَبْدو علَيْكَ ، ورَغْمَ ذلِكَ فَأَنْتَ تُثيرُ الشُكوكَ ، إنَّكَ تَتَشاجَرُ مَعَ بَعْضِ النّاسِ مِثْلِ أُوين ، أَنْتَ ... »

قاطَعَهُ مورْغان قائِلاً : « لَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ شِجارٌ . كانَ أُوين ... »

وَلَمْ يُعْطِهِ وُرد – تُوماس الفُرْصَةَ لإكْمالِ جُمْلَتِهِ ، فَسَأَلَهُ :

« لِماذا تَفْعَلُ ذلِكَ ؟»

« لَيْسَ مِنَ العَسيرِ فَهْمُ السَّبَبِ الَّذي دَعاني لِذلِكَ ؛ قَدْ يَكونُ ثَمَّةَ خَطَرٌ ! إنّي أُريدُ دَليلاً قاطِعاً على عَدَمِ وُجودِ خَطَرٍ .»

« أَنْتَ تُواصِلُ الحَديثَ عَنِ الدَّليلِ . أَيْنَ هُوَ ؟»

وَقَفَ مُورْغان وَمَشى بِضْعَ خُطُواتٍ ثُمَّ الْتَفَتَ قائِلاً : « هَلْ في وُسْعِكَ أَنْ تُخْبِرَني بِشَيْءٍ واحِدٍ ؟»

« ما هُوَ ؟»

« أ لا يوجَدُ أيُّ خَطَرٍ عَلى الإطْلاقِ مِن احْتِمالِ حُدوثِ انْخِسافٍ في الأرْضِ ؟»

« لا يُمْكِنُني أَنْ أَقولَ ذلِكَ ، لا يُمْكِنُني أَنْ أَجْزِمَ ، وَلَيْسَ في وُسْعِ أَحَدٍ غَيْري أَنْ يُؤَكِّدَ ذلِكَ ، وَلَنْ أَتَحَدَّثَ الآنَ عَنْ ذلِكَ . وَلكِنْ ثَمَّةَ مَوْضوعٌ أَكْثَرُ خَطَراً .»

« وَما هُوَ ؟»

« مُسْتَقْبَلُكَ ، إنَّكَ تُحَطِّمُ مُسْتَقْبَلَكَ! أَنْتَ مُثيرٌ لِلْمَتاعِبِ ! لَقَدْ أَصْبَحْتَ مَشْهوراً بِهذا اللَّقَبِ ! وَلَيْسَ لِمَنْ يُثيرُ المَتاعِبَ مُسْتَقْبَلٌ .»

« هذا لا يُخيفُني ، وَلكِنَّ الَّذي يُخيفُني هُوَ حُدوثُ انْخِسافٍ في الأَرْضِ ، فَقَدْ تَقَعُ حَوادِثُ ، وَلَيْسَ هذا المَشْروعُ لُعْبَةً مِنْ لُعَبِ الأَطْفالِ ! إنَّهُ مَشْروعٌ خَطِرٌ ، وَلَوْ وَقَعَ حادِثٌ فَقَدْ يَنْجُمُ عَنْهُ حُدوثُ إشْعاعٍ ! وَما مَعْنى هذا بِالنِّسْبَةِ لِمَنْ يَعيشونَ في الوادي ؟ إنَّهُ يَعْني أَنْ يُصْبِحَ الإشْعاعُ في الماءِ الَّذي يَشْرَبونَهُ ! وَفي الطَّعامِ الَّذي يَأْكُلونَهُ ! وَيَعْني المَرَضَ وَرُبَّما المَوْتَ ! أ لَيْسَ المَرَضُ وَالمَوْتُ أَكْثَرَ أَهَمِّيَّةً مِنْ مُسْتَقْبَلِ أيِّ إنْسانٍ ؟»

« هذا هُراءٌ ! كُفَّ عَنِ الحَديثِ عَلى هذا النَّحْوِ ! أَنْتَ لا تُريدُ أَنْ تَقْطَعَ عَلى نَفْسِكَ أيَّ وَعْدٍ ، أ لَيْسَ كَذلِكَ ؟ لَقَدْ تَمَلَّكَتْكَ تِلْكَ الفِكْرَةُ المَجْنونَةُ ، وَلا يُمْكِنُ إخْراجُها مِنْ دِماغِكَ . لَقَدْ قُلْتَ لِلْوَزيرِ ... »

قاطَعَهُ مُورْغانْ قائِلاً : « إذاً فهذا هُوَ السَّبَبُ . لَيْسَ في وُسْعي أنْ أنْظُرَ إلى المَوْضوعِ مِنْ وُجْهَةِ نَظَرِكَ ، وَلكِنَّكَ لا تُريدُ كَذلِكَ أنْ تَنْظُرَ إلَيْهِ مِنْ وُجْهَةِ نَظَري . وَالسَّبَبُ في ذلِكَ أنَّكَ خائِفٌ ! »

وَتَمَهَّلَ في حَديثِهِ فَقالَ : « أنْتَ خائِفٌ مِنَ الوَزيرِ ، وَ خائِفٌ مِنْ فِريزْبي وَ صَديقِهِ ، بَلْ إنَّكَ ... »

« كَيْفَ تَجْرُؤُ عَلى مُحادَثَتي بِهذا الأُسْلوبِ ؟! » وَهَبَّ وِرد - توماس واقِفاً ، وَكانَ صَوْتُهُ يُجَلْجِلُ في الغُرْفَةِ .

« لا تَكُنْ مُتَعَجْرِفاً ! أَ لَيْسَ ما أقولُهُ صَحيحاً ؟ »

« أَ تَصِفُني بِأنّي مُتَعَجْرِفٌ ؟! »

جَلَسَ مُورْغان وَغَطّى عَيْنَيْهِ بِيَدَيْهِ ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ وَقالَ : « لا . إنَّني مُتَأَسِّفٌ . »

جَلَسَ وِرد - توماس مَرَّةً أخرى وَقالَ : « نَحْنُ غَيْرُ قادِرَيْنِ عَلى الاتِّفاقِ ، وَأنا غَيْرُ قادِرٍ عَلى أنْ أجْعَلَكَ تُغَيِّرُ رَأْيَكَ ، لَيْسَ في وُسْعي أنْ أفْعَلَ أكْثَرَ مِنْ هذا ، وَعَلَيَّ أنْ أُطالِبَكَ بِالاسْتِقالَةِ . »

نَظَرَ مُورْغان إلى الأرْضِ وَقالَ : « نَعَمْ ، لَقَدْ تَوَقَّعْتُ ذلِكَ .

وَأنْتَ تَعْرِفُ أنَّ مِنْ حَقّي أنْ تُنْذِرَني قَبْلَ تَرْكي العَمَلَ بِثَلاثَةِ أشْهُرٍ . »

« سَتُمْنَحُ إجازَةً مُدَّتُها ثَلاثَةُ أشْهُرٍ مَدْفوعَةَ الأجْرِ ، وَلكِنّي أريدُ مِنْكَ أنْ تُغادِرَ المَكانَ اليَوْمَ . »

« وَإذا رَفَضْتُ ؟ »

« لَيْسَ في وُسْعِكَ أنْ تَرْفُضَ فَمِنْ سُلْطَتي ... »

وَقَفَ مُورْغان قائِلاً : « أعْرِفُ ذلِكَ ، أعْرِفُ ذلِكَ . سَأُغادِرُ المَكانَ اليَوْمَ ، وَسَوْفَ أكْتُبُ لَكَ خِطابَ الاسْتِقالَةِ . هذا هُوَ الإجْراءُ المُعْتادُ ، وَسَأكْتُبُهُ الآنَ . » ثُمَّ غادَرَ الغُرْفَةَ دونَ أنْ يَلْتَفِتَ وَراءَهُ .

الفَصْلُ الثّامِنُ

كانَ بَهْوُ فُنْدُقِ «« البَيْتِ الأَحْمَرِ »» ، يَكادُ يَكونُ خالِياً ، وَقَدْ سُرَّ مُورْغان لِذلِكَ ، وَكانَ المَطَرُ يَتَساقَطُ بِالخارِجِ مِمّا زادَ مِنْ إِغْراءِ الدِّفْءِ المُنْبَعِثِ مِنَ المِدْفَأَةِ . وَكانَ الهُدوءُ يَسودُ المَكانَ مِمّا أَتاحَ فُرْصَةَ الحَديثِ بِصَوْتٍ مُنْخَفِضٍ ، وَكانَ مُورْغان يَنْظُرُ إِلى البابِ ، وَعِنْدَما جاءَتْ غوين نَهَضَ مُسْرِعاً لاِسْتِقْبالِها .

قالَ : « مَرْحَباً يا عَزيزَتي ! هَل ابْتَلَّتْ مَلابِسُكِ بِماءِ المَطَرِ ؟ »

« نَعَم . » وَخَلَعَتْ مِعْطَفَها وَأَخَذَتْ تَنْفُضُهُ .

سَأَلَها بِدَهْشَةٍ : « لَمْ يَكُنْ هُناكَ ما يَدْعوكِ إِلى أَنْ تَقْطَعي المَسافَةَ مَشْياً . »

« لا بِالطَّبْعِ . لَقَدْ قُدْتُ السَّيّارَةَ ، وَلكِنَّ المَطَرَ يَنْهَمِرُ بِشِدَّةٍ . »

« لَمْ أُرِدْ أَنْ آتِيَ إِلى مَنْزِلِكُمْ . »

قالَتْ : « يُمْكِنُني أَنْ أُدْرِكَ سَبَبَ ذلِكَ . »

« اِسْمَحي لي بِأَنْ آخُذَ مِعْطَفَكِ ثُمَّ نَجْلِس . » وَأَشارَ نَحْوَ المائِدَةِ .
« سَوْفَ أُحْضِرُ لَكِ فِنْجاناً مِنَ الشّاي ثُمَّ نَتَحَدَّثُ . » ذَهَبَ لِيُحْضِرَ الشّايَ ، وَأَخَذَتْ هِيَ تَنْظُرُ إِلى مَنْ بِالقاعَةِ وَقَدْ بَدا وَجْهُها صارِماً .
وَعادَ مُورْغان يَحْمِلُ فِنْجانَيْنِ مِنَ الشّاي وَجَلَسَ إِلى جِوارِها .

قالَ مُبْتَسِماً : « لَقَدِ افْتَقَدْتُكِ ، وَأَنْتِ تَعْرِفينَ ذلِكَ . هَلْ ذَهَبْتِ إِلى لَنْدَن ؟ »

أَجابَتْ : « لا ، لَمْ أَذْهَبْ . »

« لَقَدِ اتَّصَلْتُ بِكِ عِدَّةَ مَرّاتٍ ، وَكانَتْ بلُودْوِين تَقولُ دائِماً إِنَّكِ بِالخارِجِ . »

« نَعَمْ ، لَقَدْ أَخْبَرَتْني . »

نَظَرَ حَوْلَهُ وَقالَ : « يَسُرُّني أَنَّنا الْتَقَيْنا ثانِيَةً . أُحِسُّ بِأَنَّني لَمْ أَرَكِ مُنْذُ زَمَنٍ طَويلٍ . لَقَدْ كُنْتُ تَوّاقاً إِلى رُؤْيَتِكِ ، وَأَنا سَعيدٌ بِهذا اللِّقاءِ . »

قالَتْ وَهِيَ تَرْشُفُ قَليلاً مِنَ الشّاي : « صَحيحٌ ؟! »

حَمْلَقَ إِلَيْها وَقالَ بِنَبْرَةٍ تَدُلُّ عَلى أَنَّها جَرَحَتْ شُعورَهُ : « أَعْتَقِدُ

هذا ، وَلَمْ تَتَغَيَّرْ عَواطِفي نَحْوَكِ .»

وَالْتَزَما الصَّمْتَ لِفَتْرَةٍ قَصيرَةٍ ، ثُمَّ وَضَعَتْ فِنْجانَها وَسَأَلَتْهُ :
« ماذا سَتَصْنَعُ ؟»

« ماذا سَأَصْنَعُ ؟ سَوْفَ أَبْقى هُنا وَأَتَحَدَّثُ مَعَكِ .»

قالَتْ بِشَيْءٍ مِنَ الضيقِ : « أنا لا أعني هذا ، أنا أَسْأَلُ عَنْ عَمَلِكَ ؟»

« تَعْنينَ ذلِكَ المَوْضوعَ الّذي لَمْ يَنْتَهِ بَعْدُ ؟ عَلَيَّ أَنْ أَبْقى هُنا في تريورْن .»

وَالْتَفَتَتْ نَحْوَهُ بِسُرْعَةٍ وَقَدْ أَشْرَقَ وَجْهُها بِالسُّرورِ ، وَسَأَلَتْهُ :
« لِماذا ؟ أَ لِكَيْ تَتَحَدَّثَ مَعَ أَبي مَرَّةً أُخْرى ؟»

« لا ، لَيْسَ هذا .»

« إِذًا فَلَيْسَ هُناكَ ما يَشْغَلُكَ فيها ، أَ لَيْسَ كَذلِكَ ؟» ثُمَّ عاوَدَها الشُّعورُ بِالكَآبَةِ وَقالَتْ : « لَقَدْ أَفْسَدْتَ كُلَّ شَيْءٍ .»

قالَ بِشَيْءٍ مِنَ الحَزْمِ : « لَمْ أُفْسِدْ شَيْئًا يا غُوين . لَيْسَ الأَمْرُ سِوى مُجَرَّدِ خِلافٍ في الرَّأْيِ مَعَ والِدِكِ ، وَعَلَيَّ أَنْ أُبَرْهِنَ لَهُ عَلى

شَيْءٍ .»

قالَتْ : « لَقَدْ بَرْهَنْتَ لي عَلى كُلِّ شَيْءٍ ! أَنْتَ لا تَهْتَمُّ بِمَوْضوعِنا .»

« وَهَلْ تَتَصَوَّرينَ أَنّي لا أَهْتَمُّ بِهِ يا غُوين ؟» وَرَبَّتَ عَلى يَدِها ، وَلكِنَّها سَحَبَتْ يَدَها قائِلَةً : « لَقَدْ قَرَّرْنا أَنْ نَتَزَوَّجَ في العامِ المُقْبِلِ ، وَلكِنْ لا يُمْكِنُنا أَنْ نُحَقِّقَ ذلِكَ الآنَ .»

« لِمَ لا ؟»

« لَيْسَ لَدَيْكَ وَظيفَةٌ .»

« يُمْكِنُني أَنْ أَحْصُلَ عَلى عَمَلٍ آخَرَ بَعْدَ قَليلٍ . إِنَّ أَمامي ثَلاثَةَ أَشْهُرٍ .»

« لَنْ تَتَمَكَّنَ مِنَ الحُصولِ عَلى عَمَلٍ كَهذا مَرَّةً أُخْرى ، فَقَدْ أَصْبَحْتَ الآنَ ذا سُمْعَةٍ سَيِّئَةٍ .»

« سُمْعَةٍ سَيِّئَةٍ ؟! مَنْ قالَ هذا ؟ هذا سُخْفٌ !» وَابْتَسَمَ .

قالَتْ غاضِبَةً : « لَيْسَ الأَمْرُ مُضْحِكًا يا داڤيد . لَقَدْ تَصَرَّفْتَ كَما لَوْ كُنْتَ طِفْلاً ! إِنَّكَ تُضَيِّعُ كُلَّ شَيْءٍ .»

عادا إلى الصَّمْتِ مَرَّةً أخرى ، وَأخيراً قالَ بِبُطْءٍ : « أنا لَمْ أتوَقَّعْ هذا مِنْكِ . إنَّكِ مُخْتَلِفَةٌ اللَّيْلَةَ عَمّا أعْهَدُكِ ، لَقَدْ أضْمَرْتِ شَيْئاً، أ لَيْسَ كَذلِكَ ؟ »

قالَتْ بِغَضَبٍ : « لَمْ أضْمِرْ شَيْئاً ، وَلكِنّي فَكَّرْتُ كَثيراً في هذا، وَقَدْ أعَدْتُ التَّفْكيرَ فيهِ مَرَّةً أخرى وَأنا في السَّيّارَةِ اللَّيْلَةَ . وَثَمَّةَ شَيْءٌ واحِدٌ يُمْكِنُكَ أنْ تَفْعَلَهُ ؛ تَعْتَذِرُ لأبي . قُلْ لَهُ إنَّكَ مُتَأسِّفٌ . »

« لَوْ كُنْتُ أسَأتُ إلَيْهِ لاعْتَذَرْتُ ، لا شَكَّ في هذا . »

« قُلْ لَهُ إنَّكَ كُنْتَ مُخْطِئاً . »

« لَسْتُ مُخْطِئاً . »

« بَلْ أنْتَ مُخْطِئٌ ! أنْتَ لَمْ تَعُدْ كَما كُنْتَ ، أنْتَ لَمْ تَعُدْ تَهْتَمُّ بي على الإطْلاقِ . »

أمْسَكَ يَدَها قائِلاً : « غوين ، لَقَدْ شَرَحْتُ لَكِ وَجْهَ الخِلافِ عِدَّةَ مَرّاتٍ . هَلْ مِنَ الضَّروريِّ أنْ أعيدَ ما قُلْتُهُ ؟ »

« أنا لَسْتُ مُهْتَمَّةً بِالمَشْروعِ ، فَهُوَ لا يُهِمُّني ، أنا مُهْتَمَّةٌ بِأمْرِنا . »

« وَأنا أيْضاً . »

« إذاً سَتُكَلِّمُ أبي . »

قالَ : « عَلَيْكِ أنْ تَفْهَمي يا غُوين أنَّ هذا المَوْضوعَ الَّذي بَيْني وَبَيْنَ والِدِكِ لا يُعْتَبَرُ شِجاراً ، وَلَيْسَ لَهُ أيَّةُ عَلاقَةٍ بِنا نَحْنُ . إنَّهُ خاصٌّ بِالعَمَلِ ، وَلَيْسَ في وُسْعي أنْ أقولَ لَهُ إنّي مُخْطِئٌ ، سَوْفَ يَكونُ هذا مُجافِياً لِلْحَقيقَةِ . »

قالَتْ : « لَقَدْ جَعَلْتَ الأمْرَ عَسيرَ الفَهْمِ ، لَقَدْ ألْقَيْتَ بِعَمَلِكَ وَراءَ ظَهْرِكَ . ماذا بِالنِّسْبَةِ لِمُسْتَقْبَلِكَ الآنَ ؟ إنَّ أبي لَنْ يَتَحَدَّثَ إلَيْكَ ، وَأنْتَ تَتَصَرَّفُ بِشَكْلٍ غَريبٍ ! »

قالَ مورْغان بِحَزْم : « يُمْكِنُني أنْ أبْنِيَ مُسْتَقْبَلي بِدونِ مُساعَدَةٍ مِنْ أحَدٍ . اِسْتَمِعي يا غُوين ... »

قاطَعَتْهُ قائِلَةً : « بَلِ اسْتَمِعْ أنْتَ لي يا داڤيد . لَقَدْ فَكَّرْتُ في المَوْضوعِ ، وَوَجَدْتُ أنَّ مِنَ العَسيرِ عَلَيَّ أنْ أتَشاجَرَ مَعَ أبي . قُلْ لَهُ إنَّكَ كُنْتَ مُخْطِئاً ، وَ إذا لَمْ تَفْعَلْ ذلِكَ فَلَنْ يَكونَ في وُسْعي أنْ أتَزَوَّجَكَ ، وَسَيَنْتَهي كُلُّ شَيْءٍ بَيْنَنا ! »

قالَ بِهُدوءٍ : « لَقَدْ كُنْتُ أخْشى هذا ، وَلكِنّي لا أسْتَطيعُ

يا غُوين أنْ أقولَ إنّي مُخْطِئٌ . أنْتِ تَعْرِفينَ هذا .»

« إذاً فَليْسَ لَديْكَ ما تَقولُهُ غَيْرَ هذا ؟»

« لا ، لَديَّ الكَثيرُ لأقولَهُ يا غُوين .» وَلكنَّها نَهَضَتْ وَوَضَعَتْ خاتَمَ الخُطوبَةِ على المائِدَةِ وَخَرَجَتْ ، فَهَبَّ واقِفاً وَصاحَ : « اِنْتَظِري ! لا تَذْهَبي !» وَأَسْرَعَ وَراءَها ، وَلكِنَّهُ عِنْدَما وَصَلَ إلى البابِ الخارِجيِّ وَجَدَها قَدْ رَكِبَتْ سَيّارَتَها ، وَأَدارَتْ مُحَرِّكَها ، ثُمَّ انْطَلَقَتْ مُبْتَعِدَةً .

وَفي صَباحِ اليَوْمِ التّالي ، اِسْتَيْقَظَ دافيد على رَنينِ جَرَسِ التّليفونِ ، وَكانَ نَوْمُهُ مُتَقَطِّعاً ، فَواصَلَ رُقادَهُ في الفِراشِ وَرَنينُ الجَرَسِ يَطِنُّ في أُذُنَيْهِ دونَ أنْ يُحاوِلَ الرَّدَّ . وَلَمْ يَكُنْ يُريدُ أنْ يُحادِثَ أحَداً ، غَيْرَ أنَّهُ خَطَرَ لَهُ أنْ يَكونَ المُتَحَدِّثُ غوين ، فَأَسْرَعَ إلى الغُرْفَةِ الأُخْرى وَأَمْسَكَ بِسَمّاعَةِ التّليفونِ ، وَقالَ وَهُوَ يُغالِبُ النُّعاسَ : « نَعَمْ .» لَقَدْ كانَ المُتَحَدِّثُ امْرَأَةً . وَأَحَسَّ بِقَلْبِهِ يَدُقُّ حَتّى أَدْرَكَ أنَّ هيلين هِيَ المُتَحَدِّثَةُ .

سَأَلَتْهُ : « هَلْ يُمْكِنُني أنْ أَراكَ ؟»

قالَ : « الآنَ ؟»

« إذا أرَدْتَ . وَأَيْنَ تُريدُ أنْ نَلْتَقِيَ ؟»

« لَقَدِ اسْتَيْقَظْتُ مُنْذُ لَحْظَةٍ .»

ضَحِكَتْ وَقالَتْ : « لَقَدْ أَوْشَكَتِ السّاعَةُ على العاشِرَةِ .»

قالَ : « وَهَلْ هذا يُهِمُّ ؟ أنا لا أَعْمَلُ .»

قالَتْ : « يَبْدو أنَّكَ غاضِبٌ بَعْضَ الشَّيْءِ . هَلْ أَيْقَظْتُكَ مِنَ النَّوْمِ ؟ أنا آسِفَةٌ . أنا جادَّةٌ يا دافيد ؛ إذْ أُريدُ أنْ أَتَحَدَّثَ مَعَكَ .»

شَعَرَ بِشَيْءٍ مِنَ الضيِّقِ فَسأَلَ : « عَنْ ماذا ؟» وَسأَلَ نَفْسَهُ : تُرى عَنْ أيِّ شَيْءٍ تُريدُ أَنْ تُحدِّثَني ؟

« عَنِ العَمَلِ . أنا لا أُريدُ أَنْ أوضِّحَ ما أَعْنيهِ عَنْ طَريقِ التِّليفون، فَقَدْ لا تَروقُكَ الفِكْرَةُ . هَلْ يُمْكِنُ أَنْ أراكَ في غُضونِ ساعَةٍ في مَقْهى «« سِنْغِنْغ كِتل »» ؟ لَنْ يَكونَ المَكانُ مُزْدَحِماً اليَوْمَ .»

« في غُضونِ ساعَةٍ ؟» ثُمَّ نَظَرَ إلى ساعَتِهِ وَقالَ : « نَعَمْ ، سأَكونُ هُناكَ .»

« سَوْفَ أُحَدِّثُكَ عِنْدَما نَلْتَقي .»

وَضَعَ سَمّاعَةَ التِّليفونِ ، وَ لَمْ يَكُنْ في الحَقيقَةِ يُريدُ أَنْ يَذْهَبَ إلى ذلِكَ المَكانِ ، فَقَدْ كانَتْ غوين تَشْغَلُ جانِباً مِنْ تَفْكيرِهِ ، وَلكِنَّهُ اغْتَسَلَ ثُمَّ شَرِبَ فِنجاناً مِنَ الشّاي ، وَعِنْدَما خَرَجَ مِنَ المَنْزِلِ كانَ في حالَةٍ نَفْسِيَّةٍ أَفْضَلَ .

كانَ المَقْهى تَقْريباً خالِياً ، وَكانَتْ ثَمَّةَ أَرْبَعُ أَوْ خَمْسُ سَيِّداتٍ يَجْلِسْنَ فيهِ ،وَلكِنَّهُ لَمحَ هيلين عَلى الفَوْرِ .

سأَلَها : « لِماذا لَمْ تَذْهَبي إلى العَمَلِ اليَوْمَ ؟ هَلْ أَنْتِ في إجازَةٍ ؟»

أجابَتْ : « شَيْءٌ مِنْ هذا القَبيلِ . كَيْفَ حالُكَ ؟»

« أنا بِخَيْرٍ .» وَنَظَرَ إلَيْها فَأَلْفاها مَهْمومَةً مِنْ أَجْلِهِ فَدَهِشَ ، تُرى هَلْ سَمِعَتْ بِما حَدَثَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ غوين ؟

سأَلَها : « لِماذا أَرَدْتِ رُؤْيَتي ؟»

« أَجِدُ صُعوبَةً في أَنْ أَشْرَحَ لَكَ السَّبَبَ . دَعْني أَتَناوَلُ فِنْجاناً مِنَ القَهْوَةِ أَوَّلاً .» وَأَشارَتْ إلى عامِلَةِ المَقْهى الَّتي أَقْبَلَتْ نَحْوَها .

نَظَرَ مورْغان إلى هيلين ، فَلَمحَ شَيْئاً غَريباً في نَظَراتِها ، وَكانَ القَلَقُ بادِياً عَلَيْها ، فَلَمْ يُسَرَّ لِذلِكَ .

قالَ : « تَكَلَّمي يا هيلين ، وَ دَعي القَهْوَةَ الآنَ . ما المَوْضوعُ الَّذي تُريدينَ أَنْ تُحادِثيني فيهِ ؟»

سأَلَتْهُ : « هَلْ أَجْبَرَكَ وُرد – توماس عَلى الاِسْتِقالَةِ ؟»

أجابَ : « إنَّهُ لَمْ يُجْبِرْني . حَسَنَ .. يُمْكِنُكِ أَنْ تَقولي إنَّهُ أَجْبَرَني .»

قالَتْ هيلين : « هذا لَيْسَ عَدْلاً ! أَلَيْسَ كَذلِكَ ؟»

وَكانَتْ عِنْدَما يَزْدادُ حَماسُها تَبْدو أَكْثَرَ جَمالاً . وَطَرَدَ مورْغان

هذا الخاطِرَ عَنْ ذِهْنِهِ، وَقالَ : « إنَّهُ عَدْلٌ إلى حَدٍّ ما ، لأنَّنا اخْتَلَفْنا في شئونِ العَمَلِ .»

قالَتْ : « لَقَدْ سَمِعْتُ شَيْئًا عَنْ هذا ، وَلكِنَّكَ كُنْتَ مُصيبًا ، وَكانَ هُوَ مُخْطِئًا ، أ لَيْسَ هذا صَحيحًا ؟ وَعِلاوَةً على ذلِكَ فَهُوَ يُريدُ أنْ يَحْتَفِظَ بِكُلِّ شَيْءٍ سِرًّا . وَهذا لَيْسَ بِعَدْلٍ ! لِماذا تَسْمَحُ لَهُ بِذلِكَ ؟ يَجِبُ أنْ تَفْعَلَ شَيْئًا .»

« إنَّني أقومُ بِعَمَلِ شَيْءٍ ، وَهُوَ لَيْسَ في وُسْعِهِ أنْ يَتَحَدَّثَ عَنِ العَمَلِ ؛ إنَّ المَشْروعَ سِرِّيٌّ .»

قالَتْ بِحَزْمٍ : « أنا لا أنْظُرُ إلى المَوْضوعِ هذهِ النَّظْرَةَ ، إنَّ في يَدِهِ السُّلْطَةَ كُلَّها ، وَلَيْسَ في يَدِكَ أيَّةُ سُلْطَةٍ . يُمْكِنُهُ أنْ يَرْوِيَ ما حَدَثَ ، وَسَوْفَ يَسْمَعُ له كُلُّ النّاسِ ، أمّا أنْتَ فَلَنْ يَسْمَعَ لكَ أحَدٌ .»

قالَ : « سَوْفَ يَسْمَعونَ إلَيَّ يا هيلين ! صَدِّقيني ، سَوْفَ يَسْمَعونَ إلَيَّ في النِّهايَةِ .»

« دَعْني أساعِدْكَ . إنَّ في وُسْعي ذلِكَ إذا وافَقْتَ . سَوْفَ يَأْتي فريزْبي لِزِيارَتي اللَّيْلَةَ ، تَعالَ وَقابِلْهُ ، وَ سَوْفَ يُساعِدُكَ ، وَقَدْ قالَ لي ذلِكَ .»

قالَ مُورْغان بِعَصَبِيَّةٍ ، حَتّى إنَّ فِنْجانَهُ اضْطَرَبَ في يَدِهِ وَ أوْشَكَتِ القَهْوَةُ أنْ تُسْكَبَ : « فرِيزْبي ؟! بِاللهِ عَلَيْكِ لا ! لَيْس فريزْبي ! هَلْ تَعْرِفينَ ماذا تَفْعَلينَ ؟ هَلْ تَعْرِفينَ فريزْبي ؟»

قالَتْ : « لا أعْرِفُهُ جَيِّدًا ، لَقَدْ قابَلْتُهُ لأوَّلِ مَرَّةٍ اللَّيْلَةَ الماضِيَةَ ، وَلكِنّي أعْرِفُ ما أفْعَلُ . إنَّ العَدالَةَ هِيَ الَّتي تُهِمُّني .»

قالَ : « إنَّ فريزْبي لا تُهِمُّهُ العَدالَةُ ! أنْتِ لا تَعْرِفينَ ذلِكَ الرَّجُلَ . إنَّ الَّذي يُهِمُّ فريزْبي هُوَ وَضْعُ العَراقيلِ في طَريقِ المَشْروعِ . ابْتَعِدي عَنْهُ .»

قالَتْ غاضِبَةً : « أ لا تُريدُ العَدْلَ ؟ إنَّكَ كَمَنْ يَسْمَحُ لِوُرد – تُوماس بِأنْ يَطَأهُ بِقَدَمَيْهِ !»

قالَ : « لا تكوني سَخيفَةً يا هيلين ! لَيْسَ الأمْرُ على هذا النَّحْوِ عَلى الإطْلاقِ . إنَّ وُرد – تُوماس لَمْ يُعامِلْني في حَقيقَةِ الأمْرِ مُعامَلَةً سَيِّئَةً . أنا أفْهَمُهُ ، إنَّهُ يَخافُ على المَشْروعِ ، وَلَمْ تَتَّضِحْ لَهُ الأمورُ بَعْدُ .»

سَألَتْهُ هيلين بِحِدَّةٍ : « هَلْ سَتُتيحُ لَهُ الفُرْصَةَ كَيْ يَفْعَلَ ما يُريدُ؟ إنَّكَ لا تُريدُ أنْ تُساعِدَ نَفْسَكَ ، وَمِنَ الواجِبِ أنْ يَقومَ شَخْصٌ ما بِمُساعَدَتِكَ .»

« أنا لا أريدُ مُساعدَةً مِنْ أحَدٍ يا هيلين !» قالَ هذا بِصَوْتٍ مُرْتفعٍ حتّى إنَّ سيِّدَتَيْنِ بِالمَقْهى اسْتدارَتا وَنظَرَتا نَحْوَهُ . وَأرْدَفَ : « أنْتِ تُحاوِلينَ حِمايَتي مِنْ وُرد – توماس ، وَهُوَ يُريدُ حِمايَتي مِنْ نَفْسي ، وَأنا لا أريدُ هذِهِ الحِمايَةَ . هَلْ أنا مَجْنونٌ ؟ إنَّ فريزْبي – على أيَّةِ حالٍ – لايَسْتَطيعُ حِمايَتي . إنَّهُ لَوْ حاوَلَ لازْدادَتِ الأمورُ سوءاً ! هذِهِ لَيْسَتْ فِكْرَةً سَديدَةً على الإطْلاقِ .»

قالَتْ وَقَدْ شعَرَتْ بِشَيْءٍ مِنَ الحَرَجِ : « إنّي آسِفَةٌ . كُنْتُ أريدُ تَقْديمَ المُساعَدَةِ ، وَقَدْ ظَنَنْتُ أنَّها فِكْرَةٌ سَديدَةٌ .»

« أنا أعْرِفُ ذلِكَ ، وَلا تَظُنّينَ أنّي غَيْرُ مُمْتَنٍّ لكِ . أنا أُقَدِّرُ شُعورَكِ ، وَلكِنْ لَيْسَ في اسْتِطاعَتي أنْ أقابِلَ فرِيزْبي . صَدِّقيني إنَّهُ لا يُكِنُّ لَنا المَوَدَّةَ ... لا يُكِنُّها لأيٍّ مِنّا .»

« إنَّكَ لا تُريدُ – على الأقَلِّ – أنْ تُعْطيهُ فُرْصَةً .»

« لا ، لا أريدُ . وَأرى ألا تُقابِليهِ أنْتِ كَذلِكَ ، أمّا إذا كُنْتِ تُعْجَبينَ بِهِ ، فَهذا شَيْءٌ آخَرُ . وَلكِنَّ وُرد – توماس لا يُحِبُّ أيَّ شَخْصٍ يُصادِقُ فرِيزْبي . إنَّهُ لا يُحِبُّني في الوَقْتِ الحاضِرِ ، وَإذا سَمِعَ بِشَيْءٍ مِنْ هذا القَبيلِ فَقَدْ تُصادِفينَ مِنْهُ بَعْضَ المَتاعِبِ في العَمَلِ .»

قالَتْ وَقَدِ اشْتَدَّ فُتورُها نَحْوَهُ : « أنا غَيْرُ قَلِقَةٍ عَلى العَمَلِ ؛ فَقَدِ اسْتَقَلْتُ .»

حَمْلَقَ إلى وَجْهِها وَقالَ : « اسْتَقَلْتِ ! لِماذا ؟ لَقَدْ كُنْتِ تُحِبّينَ هذا العَمَلَ كَثيراً ، وَقُلْتِ لي ذلِكَ .»

« أنا أيْضاً أحِبُّ التَّغْيير .»

« إنَّكِ لَمْ تَسْتَقيلي مِنْ أجْلي ، أ لَيْسَ كَذلِكَ ؟ لَوْ حَدَثَ لَكانَ خَطَأً .»

« لِماذا يَكونُ خَطَأً ؟» وَأمْسَكَتْ عَنِ الكَلامِ ثُمَّ قالَتْ : « لا ، لَقَدْ أحْسَسْتُ بِشَيْءٍ مِنَ المَلَلِ ، وَأريدُ التَّغْيير . سَوْفَ أغادِرُ تريورْن .»

« تَتْرُكينَ تريورْن ؟ لا تَفْعَلي هذا يا هيلين .» ثُمَّ ابْتَسَمَ وَقالَ : « لَقَدِ اعْتَدْتُ لِقاءَكِ .»

ابْتَسَمَتْ لَهُ بِأدَبٍ وَقالَتْ : « أعْتَقِدُ أنّي سَأعودُ إلى لَنْدَن .»

أعْرَبَ عَنْ دَهْشَتِهِ لِذلِكَ ، ثُمَّ الْتَزَما الصَّمْتَ لِفَتْرَةٍ . وَشَعَرَ بِأنَّها تُريدُ الرَّحيلَ ، فَقالَ لَها : « أنا آسِفٌ عَلى كُلِّ هذا يا هيلين .»

« لا بَأسَ ، وَلا داعِيَ لِلأسَفِ ، فَأنا أفْهَمُ المَوْقِفَ .»

« لَنْ تُغادِري البَلْدَةَ في الحالِ ، ألَيْسَ كَذلِكَ ؟»

« بَلى ، لَنْ أغادِرَها عَلى الفَوْرِ .» وَالْتَقَطَتْ حَقيبَتَها .

قالَ : « اِنْتَظِري ، سَوْفَ أذْهَبُ إلى أبِرْدان بَعْدَ ظُهْرِ اليَوْم ، فَهَلْ تُحِبّينَ أنْ تَصْحَبيني ؟»

لَمْ تَقْطَعْ بِرَدٍّ في بادِئِ الأمْرِ ، وَبَعْدَ لَحْظَةٍ اسْتَعادَ وَجْهُها مَلامِحَ الجِدِّ ، وَقالَتْ : « آسِفَة ، فَلَنْ أسْتَطيعَ .»

« سَوْفَ أتَّصِلُ بِكِ تِليفونِيًّا .»

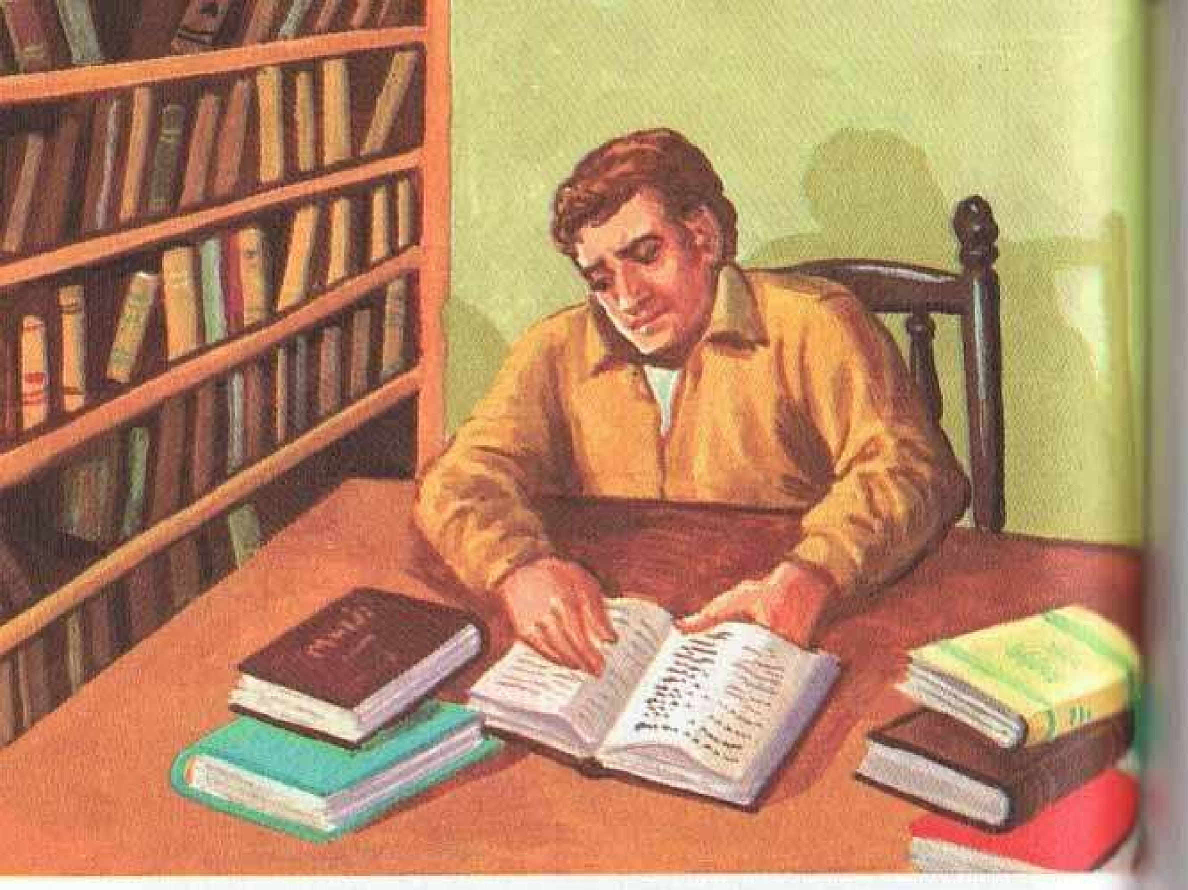
نَهَضَتْ قائِلَةً : « كَما تَشاءُ .»

« أنا في الحَقيقَةِ شاكِرٌ لَكِ وَمُعْتَرِفٌ بِجَميلِكِ ، وَأعَبِّرُ عَنْ أسَفي عَلى مَوْضوع فِريزْبي وَتَرْكِكِ العَمَلَ .»

« لا داعِيَ لِلأسَفِ . مَعَ السَّلامَةِ .»

« مَعَ السَّلامَةِ ، وَشُكْرًا لَكِ .»

عِنْدَما غادَرَتِ المَكانَ جَلَسَ ساكِنًا يَسْتَرْجِعُ ما حَدَثَ ؛ لَقَدْ آذى



شُعورَها وَأفْسَدَ كُلَّ شَيْءٍ ، ثُمَّ فَكَّرَ في غوين فازْدادَ غَضَبُهُ . وَلَمْ يَكُنْ في وُسْعِهِ أنْ يَبْقى في المَقْهى غارِقًا في أفْكارِهِ أكْثَرَ مِنْ ذلِكَ ؛ فَقَدْ كانَتْ أمامَهُ أشْياءُ كَثيرَةٌ يَجِبُ عَمَلُها .

وَفي ساعَةٍ مُتَأخِّرَةٍ مِنْ بَعْدِ ظُهْرِ ذلِكَ اليَوْم ، كانَ جالِسًا في مَكْتَبَةٍ بِمَنْزِلٍ كَبيرٍ ، وَكانَ هذا المَنْزِلُ مِلْكًا لِثَرِيٍّ يَعيشُ في لَنْدَن ، وَكانَتْ أمامَهُ كُتُبٌ وَأوْراق . وَدَخَلَ السَّيِّدُ نِفِنْسُن فَرَفَعَ مورْغان عَيْنَيْهِ عَنِ الأوْراقِ . وَكانَ نِفِنْسُن يَعيشُ في المَنْزِلِ وَيُعْنى بِالمَكْتَبَةِ ، وَهُوَ طَويلُ القامَةِ ، وَيَكْبُرُ مورْغان في العُمْرِ ، وَكانَ وَجْهُهُ النَّحيفُ

وَسيماً جادَّ المَلامح .

أمْسكَ أحَدَ الكُتُبِ وَسَأَلَ مورْغان : « هَلْ وَجدْتَ شَيْئاً جَديداً ؟ » كانَ صوْتُهُ هادِئاً جذّاباً .

هَزَّ مورْغان رَأْسَهُ بِحُزْنٍ وَقالَ : « لا . »

« هَلْ رَأَيْتَ كُلَّ الأوْراقِ المَوْجودَةِ في مكْتَبَةِ أبِرْدان ؟ »

« أجَلْ ، وَقَدْ راجَعْتُها كُلَّها قَبْلَ أنْ آتيَ إلى هُنا . »

« أ رَأَيْتَ ما في قِسْمِ المَخْطوطاتِ ؟ »

« أجَلْ ، وَلَيْسَ فيهِ شَيْءٌ . لَقَدْ وَصَلْتُ إلى طَريقٍ مَسْدودٍ يا سَيِّدُ نِقِنْسُن ! إنَّ ما اكْتَشَفْتُهُ مِنْ أخْبارٍ عَنِ المَنْجَم كانَ مُنْذُ أسْبوعَيْنِ ، فَهُناكَ عَلى الأقَلِّ ما يَدُلُّ عَلى أنَّهُ قَدْ خُطِّطَ لاِسْتِغْلالِ مَنْجَم ، وَعَرَفْتُ أنَّ اسْمَهُ « مَنْجَمُ الأمَلِ الجَديد » ، كَما عَرَفْتُ اسْمَ أصْحابِ المَشْروع . لَقَدْ قامَ أفْرادُ عائِلَةِ رُولينْسون بِبَيْعِ هذا البَيْتِ الَّذي كانَ يَعيشُ فيهِ جُون هَنْري رُولينْسون مُنْذُ مِئَةِ سَنَةٍ ، وَكانَ مُهْتَمّاً بِهذا المَنْجَم . وَكُلُّ الأسْماءِ مُدَوَّنَةٌ في هذا السِّجِلِّ . » وَأمْسَكَ بِكِتابٍ صَغيرٍ وَأراهُ لِنِقِنْسُن وَقالَ : « لَقَدْ سَجَّلَها رُولينْسون كُلَّها ، وَقَدْ تَحَدَّثوا كَثيراً عَنِ المَنْجَم ، وَكانوا يُريدونَ بَدْءَ العَمَلِ

في تريوِرْن ، وَطَلَبوا تَصْريحاً مِنْ لَنْدَن ، بَلْ إنَّهُمْ بِالفِعْلِ حَصَلوا عَلى هذا التَّصْريح . » وَأخَذَ مُورْغان يُقَلِّبُ صَفَحاتِ الكِتابِ حَتّى وَصَلَ إلى الصَّفْحَةِ الأخيرَةِ ، فَقالَ : « لَقَدْ حَصَلوا عَلى التَّصْريح في يونْيَه سَنَةَ ١٨٥٦ ، ثُمَّ انْتَهى الكِتابُ عِنْدَ ذلِكَ . » وَوَضَعَ مُورْغان الكِتابَ عَلى المائِدَةِ .

سَأَلَهُ نِقِنْسُن : « مَنْ هُمْ أولئِكَ الرِّجالُ الآخَرونَ ؟ قَدْ تَكونُ هُناكَ بَعْضُ العائِلاتِ الَّتي لا تَزالُ تَحْتَفِظُ بِالسِّجِلاّتِ القَديمَةِ . »

قالَ مُورْغان : « لَوْ حَصَلْنا عَلى خَريطَةٍ مِنْ أيِّ نَوْعٍ لَكانَ في ذلِكَ مُساعَدَةٌ كَبيرَةٌ لَنا . رُبَّما كانَ لَدى المُهَنْدِسِ مِثْلُ هذِهِ الخَريطَةِ . إنَّ اسْمَهُ ج . إ . جُونْز . »

قالَ نِقِنْسُن : « ثَمَّةَ آلافٌ مِنَ النّاسِ بِاسْمِ جُونْز . »

بَدا مُورْغان مُتَجَهِّماً وَهُوَ يَقولُ : « نَعَمْ ، خاصَّةً في هذا الجُزْءِ مِنَ البِلادِ . »

« أيْنَ كانَ يَعيشُ ؟ »

« في مو ... مولـ ... لا أقْدِرُ عَلى قِراءَةِ اسْمِ القَرْيَةِ . يَبْدو كَما لَوْ كانَ اسْمُها مُولُوفْرا . »

اِتَّجهَ نِقْنسُن إلى المَكْتَبَةِ وَأَخْرَجَ مِنها كِتاباً وَقالَ : « سَوْفَ أحاوِلُ أنْ أخمِّنَ الاِسْمَ الصَّحيحَ . ها هُوَ ذا : مِلْفري وَ هِيَ قَرْيَةٌ صَغيرَةٌ . إنَّ تاريخَ هذا الكِتابِ هُوَ ١٨٦٠ ، وَيُعْطي قائِمَةً بِأَسْماءِ سُكّانِ هذِهِ القَرْيَةِ . ها هُوَ ذا اسْمُ جونْز ، ثَمَّةَ حَوالى خَمْسَةَ عشَرَ شَخْصاً بِاسْمِ جُونْز .» ثُمَّ فَحَصَ الأَسْماءَ وَقالَ : « هُناكَ شَخْصٌ واحِدٌ بِاسْمِ ج . إ . جُونز . أنْتَ لَمْ تَصِلْ إلى طَريقٍ مَسْدودٍ بَعْدُ يا سَيِّدُ مُورْغان .»

« ماذا يُمكِنُني أنْ أفْعلَ ؟»

« اِذْهَبْ إلى القَرْيَةِ وَاطْلُبْ سِجِلَّ السُّكّانِ بِها ، ثُمَّ ابْحَثْ عَنْ ج . إ . جونز هذا ، وَتَتَبَّعْ شَجَرَةَ عائِلَتِهِ . إنَّ بَعْضَ أفْرادِ عائِلَته قَدْ يَكونونَ بِالقَرْيَةِ ، وَمِنَ المُحْتَمَلِ أنْ يَكونَ أحَدُهُمْ لايزالُ يَحْتَفِظُ بِأوراقِهِ الهَنْدَسيَّةِ . هذا مُجَرَّدُ احْتِمالٍ ، وَهُوَ يَسْتَحِقُّ المُحاوَلَةَ .»

وَنَهَضَ مُورْغان بِحَماسٍ وَقالَ : « لا شَكَّ في أنَّهُ يَسْتَحِقُّ المُحاوَلَةَ . شُكْرًا لكَ يا سَيِّدُ نِقْنسُن ، لَقَدْ بَعَثْتَ فِيَّ روحاً جَديدَةً . مِلْفري ..» ثُمَّ نَظَرَ إلى الكُتُبِ وَالأَوْراقِ مَرَّةً ثانِيَةً وَقالَ : « وَلكِنْ عَلَيَّ أنْ أساعِدَكَ في تَرْتيبِها .»

اِبْتَسَمَ نِقْنسُن وَقالَ : « دَعْ عَنْكَ هذا . سَوْفَ أرَتِّبُها .»

وَعادَتْ إلى وَجْهِهِ مَلامِحُهُ الجادَّةُ مَرَّةً أخْرى ، وَقالَ : « لا تُعَلِّقْ آمالاً كِباراً عَلى بَحْثِكَ في القَرْيَةِ .»

اِسْتَغْرَقَ البَحْثُ وَقْتاً طَويلاً وَجَهْداً كَبيراً ، وَلكِنْ في نِهايَةِ الأُسْبوعِ اتَّصَلَ مُورْغان تليفونِيًّا بِأَحَدِ أصْدِقائِهِ في برادْفُورد ، وَسَأَلَهُ في حَماسٍ : « برايان دِيكْسون ؟ برايان ، أهذا أنْتَ ؟»

« أجَلْ . ماذا بِكَ ؟ كَيْفَ حالُ مَشْروعِ الذَّرَّةِ ؟ يَبْدو عَلى صَوْتِكَ الاِنْفِعالُ .»

« نَعَمْ . اِسْتَمِعْ إلَيَّ يا برايان ، أنْتَ تَقومُ بِاكْتِشافِ الكُهوفِ ، ألَيْسَ كَذلِكَ ؟ هَلْ يُمْكِنُكَ أنْ تَأْتِيَ إلى هُنا في الحالِ ؟»

« اِكْتِشافُ الكُهوفِ ؟ نَعَمْ ، أنا أفْعَلُ ذلِكَ ، وَلكِنّي أعْمَلُ وَلَيْسَ في وُسْعي أنْ أقومَ بِإجازَةٍ . ما هُوَ المَوْضوعُ ؟»

« أنا في حاجَةٍ إلى مُساعَدَتِكَ يا برايان . يَجِبُ أنْ أراكَ .»

« لَيْسَ ذلِكَ مُمْكِناً . ما سَبَبُ انْفِعالِكَ ؟ أ تُعاني مِنْ مُشْكِلَةٍ ما؟ يُمْكِنُكَ أنْ تَأْتِيَ إلَيَّ وَتُخْبِرَني بِالمَوْضوعِ .»

وَشَرَحَ لَهُ مُورْغان قِصَّةَ المَشْروعِ وَ وُرد - تُوماس ، وَأَخْبَرَهُ عَنِ المَنْجَمِ وَنَصيحَةِ نِقْنسُن ، وَلَمْ يُقاطِعْهُ برايان في حَديثِهِ . وَقالَ لَهُ

مُورْغان : « لَقَدْ ذَهَبْتُ إلى مِلْفري وَقُمْتُ بِبَحْثٍ طَويلٍ وَمُضْنٍ ، وَانْحَصَرَ الاِحْتِمالُ في عائِلاتٍ ثَلاثٍ : كانَتْ واحِدَةٌ مِنْها تَعيشُ في أبِرْدان ، وَأُخْرى في مِلْفري ، وَالثّالِثَةُ في قَرْيَةٍ أُخْرى بِجوارِ مِلْفري ، وَكانَ أَفْرادُ العائِلَةِ الأولى يَعيشونَ في بَيْتٍ جَديدٍ ، وَلَمْ تَكُنْ بِحَوْزَتِهِمْ أيُّ سِجِلاتٍ قَديمَةٍ ، وَكانَتِ الثّانِيَةُ تَعيشُ في مَزْرَعَةٍ مِمّا أَعْطاني قَدْراً أَكْبَرَ مِنَ الأَمَلِ ، وَلكِنَّ رَبَّةَ البَيْتِ كانَتْ كَثيرَةَ الشُّكوكِ ، فَقالَتْ إنَّ لَدَيْهِمْ بَعْضَ الأَوْراقِ القَديمَةِ ، وَلكِنَّها لَمْ تَسْمَحْ لي بِدُخولِ البَيْتِ ، وَتَحَدَّثْتُ كَثيراً مَعَها ، وَلكِنَّها لَمْ تُرِني الأَوْراقَ مِمّا جَعَلَني أَعْتَقِدُ أَنَّ المَوْضوعَ قَدْ باءَ بِالفَشَلِ . وَتَمَلَّكَني الحُزْنُ الشَّديدُ ، وَيُمْكِنُكَ أَنْ تَتَصَوَّرَ مَشاعِري آنَذاكَ ، وَلكِنّي ذَهَبْتُ إلى المَكانِ الثّالِثِ ، وَفَجْأَةً أَصْبَحَ المَوْضوعُ في غايَةِ السُّهولَةِ ؛ لأَنَّ جُونْز رَقْمَ ثَلاثَةٍ كانَ مُدَرِّساً ، وَكانَ أَبوهُ وَجَدُّهُ مُدَرِّسَيْنِ كَذلِكَ ، وَكانَتِ الأُسْرَةُ مُهْتَمَّةً بِتاريخِها عَلى الدَّوامِ ، وَسَرَّهُمْ أَنْ يُطْلِعوني عَلى كُلِّ سِجِلاتِهِمُ القَديمَةِ .»

قالَ برايان : « ما النَّتيجَةُ ؟ أَرْجوكَ الاِخْتِصارَ ! هَلْ وَجَدْتَ الخَريطَةَ ؟»

« لا .»

« إذاً فَماذا وَجَدْتَ ؟ لا تَجْعَلِ المَوْضوعَ بِهذا الغُموضِ .»

« وَجَدْتُ كِتاباً قَديماً ، كَما أَنَّ ج . إ . جُونْز كانَ يَحْتَفِظُ أَيْضاً بِبَعْضِ السِّجِلاتِ . لَقَدْ بَدَأوا في اسْتِغْلالِ مَنْجَم في جَوْفِ التَّلِّ ، وَحَفَروا لَهُ مَدْخَلاً .» وَتَوَقَّفَ مُورْغان عَنِ الحَديثِ .

« اِمْضِ في الحَديثِ .»

« هذا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ . اِنْتَهى كِتابُ جُونْز عِنْدَ هذا الخَبَرِ .»

قالَ برايان : « لَيْسَ في هذا ما يَكْفي ، وَمَعَ ذلِكَ فَيُمْكِنُكَ أَنْ تُرِيَ الكِتابَ لِذلِكَ الرَّجُلِ ، ما اسْمُهُ ؟»

« وُرد – تُوماس . لا ، سَوْفَ أَقومُ أَوَّلاً بِاكْتِشافِ ما حَدَثَ في جَوْفِ التَّلِّ .»

« هَلْ يُمْكِنُكَ ذلِكَ ؟ لَعَلَّ مَدْخَلَ المَنْجَم قَدِ انْهارَ .»

« لا ، لَمْ يَحْدُثْ ؛ إذْ كُنْتُ هُناكَ اليَوْمَ وَرَأَيْتُهُ مُغَطًّى بِالتُّرابِ وَالصُّخورِ ، وَلكِنّي حَفَرْتُ حُفْرَةً ، وَأَشْعَلْتُ ضَوْءاً داخِلَها ، وَاكْتَشَفْتُ أَنَّ في وُسْعِنا الدُّخولَ مِنْهُ ، وَهُوَ يَمْتَدُّ مَسافَةً كَبيرَةً .»

« أَ تَطْلُبُ مِنّي أَنْ أَذْهَبَ مَعَكَ ؟ أَنا مَشْغولٌ لِلْغايَةِ الآنَ . وَماذا عَنْ رِجالِ المَشْروعِ ؟»

« إنَّ مَدْخَلَ المَنْجَم لَيْسَ بِجِوارِ المَشْروع ، بَلْ في النَّاحِيَةِ الأُخْرى مِنَ التَّلِّ .»

« لَيْسَ في وُسْعي أنْ أذْهَبَ مَعَكَ ، فَمِنَ الصَّعْبِ عَلَيَّ أنْ أفْعَلَ ذَلِكَ .»

قالَ مُورْغان : « إذًا فَلَيْسَ أمامي سِوى أنْ أذْهَبَ وَحْدي .»

« قَدْ يَكونُ في ذَلِكَ خُطورَةٌ عَلَيْكَ !»

« هذا لا يُهِمُّني ! يَجِبُ عَلَيَّ أنْ أُلْقِيَ نَظْرَةً على المنجم يا برايان .»

فَكَّرَ برايان لَحْظَةً ثُمَّ قالَ في النِّهايَةِ : « حَسَنٌ يا دافيد ، لَقَدِ انْتَصَرْتَ ، سَوْفَ أذْهَبُ مَعَكَ لأَنَّهُ لَوْ لَمْ أفْعَلْ فَرُبَّما تَسْقُطُ في إحْدى الحُفَرِ هُناكَ . لا يُمْكِنُني أنْ أحْضُرَ في صَباحِ الغَدِ ، فَهُوَ يَوْمُ الجُمُعَةِ ، وَعَلَيَّ أنْ أكونَ بِالجامِعَةِ ، وَلكِنّي سَآتي إلَيْكَ مَساءً ، ثُمَّ نَذْهَبُ إلى المَنْجَم يَوْمَ السَّبْتِ ، انْتَظِرْني غَدًا في ساعَةٍ مُتَأخِّرَةٍ . سَوْفَ نَحْتاجُ إلى حِبالٍ قَوِيَّةٍ وَقُبَّعَتَيْنِ وَمَصابيحَ وَهِيَ كُلُّها عِنْدي ، وَسَأُحْضِرُها جَميعًا مَعي .»

« شُكْرًا لَكَ يا برايان ، شُكْرًا جَزيلاً لَكَ ! إنَّ هذا يَعْني الكَثيرَ

بِالنِّسْبَةِ لي .» وَابْتَسَمَ مُورْغان وَهُوَ يَضَعُ السَّمّاعَةَ ؛ فَقَدْ بَدَأ الأَمَلُ يُشْرِقُ أخيرًا .

كانَ الجَوُّ بَعْدَ ظُهْرِ يَوْم السَّبْتِ لايَدْعو إلى التَّفاؤُلِ ؛ فَقَدْ كانَتِ السَّماءُ قِطْعَةً واحِدَةً مِنَ السَّحابِ الرَّمادِيِّ المُظْلِم ، وَكانَتْ قَطَراتُ المَطَرِ تَنْهَمِرُ غَزيرَةً عَلى الطَّريقِ ، وَأَوْقَفَ مُورْغان سَيّارَتَهُ وَخَرَجَ مِنْها هُوَ و برايان .

قالَ برايان : « لا بُدَّ أنَّني جُنِنْتُ ! لِماذا لَمْ أَمْكُثْ أمامَ مِدْفَأتِكَ المُشْتَعِلَةِ ؟!»

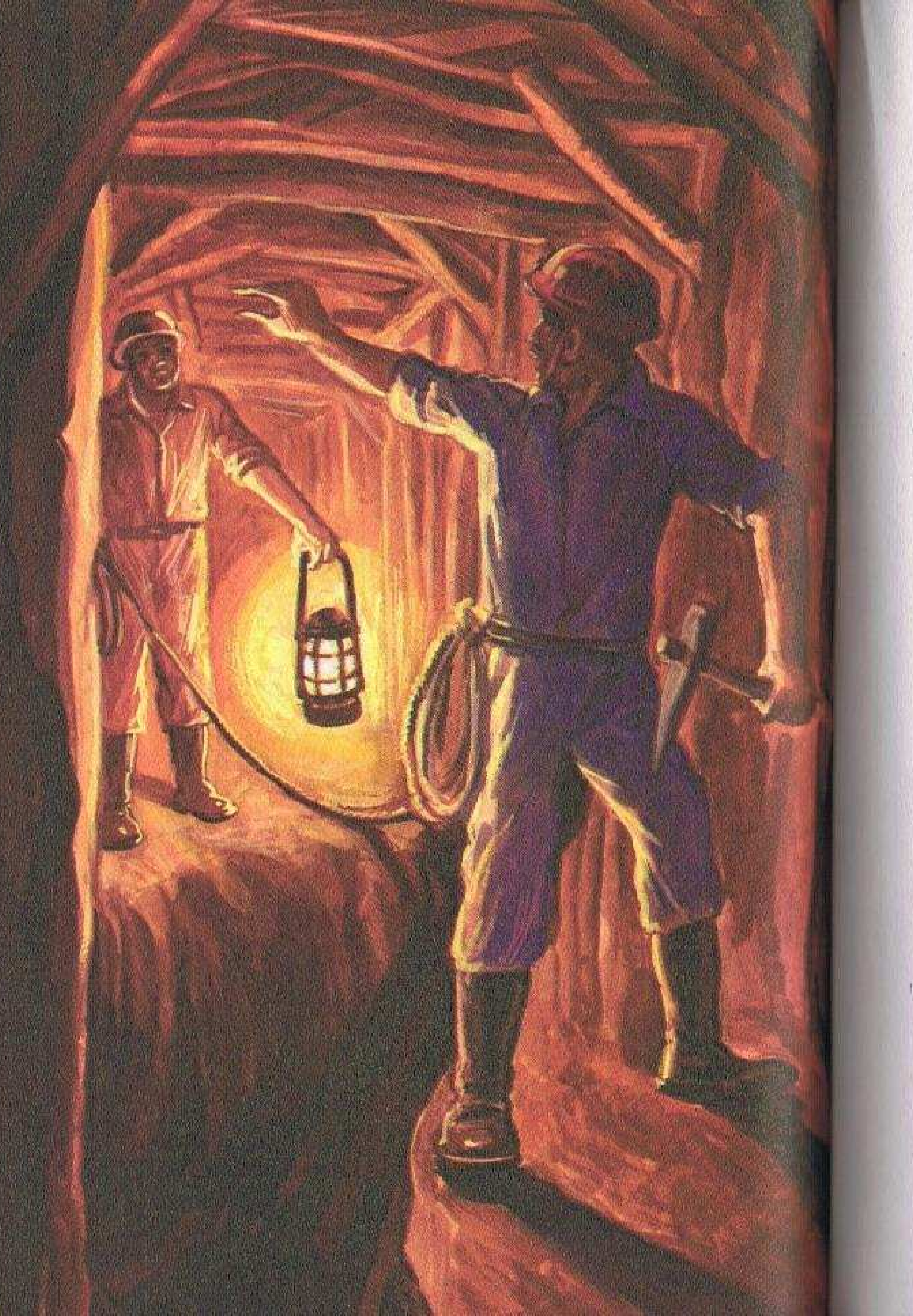
قالَ مُورْغان : « إنَّ الكَهْفَ جافٌّ بِالدّاخِلِ .»

« أَتَعْتَقِدُ هذا ؟! إنَّكَ لا تَعْرِفُ الكَثيرَ عَنِ الكُهوفِ . خُذْ وَاحْمِلْ هذا .» وَأعْطاهُ برايان الحَبْلَ السَّميكَ ، وَسَألَهُ : « هَلْ أحْضَرْتَ مَعَكَ الخَرائِطَ وَالأشْياءَ الأُخْرى ؟»

أجابَ مُورْغان : « أجَلْ .»

قالَ برايان : « تَعالَ إذًا .»

كانَ مَدْخَلُ المَنْجَم مُحاطًا بِتُرابٍ بُنِّيِّ اللَّوْنِ ، وَكانَ المَدْخَلُ يَقَعُ عِنْدَ مُنْتَصَفِ التَّلِّ ، فَبَدَأوا يَصْعَدونَ نَحْوَهُ ، وَعِنْدَما وَصَلوا إلَيْهِ تَوَقَّفَ



براyان وَسَأَلَ : « هَلْ مِصْباحُكَ يَعْمَلُ ؟»

« أجَلْ . أُنْظُرْ !» ثُمَّ أشْعَلَ المِصْباحَ .

« أحْسَنْتَ !»

دَخَلَ برايان مِنَ الفُتْحَةِ الصَّغيرَةِ وَتَبِعَهُ مُورْغان . كانَ مَدْخَلُ المَنْجَم يَمْتَدُّ أُفُقِيًّا داخِلَ التَّلِّ ، وَكانَ سَقْفُهُ مُنْخَفِضاً ، وَلِهذا كانا يَمْشِيانِ بِصُعوبَةٍ ، وَكانَتِ الجُدْرانُ قَدْ تَداعَتْ في بَعْضِ الأنْحاءِ . وَلَمْ يَتَحَدَّثا أثْناءَ سَيْرِهِما ؛ فَقَدْ كانَ برايان يَسيرُ بِسُرْعَةٍ ، وَتَبِعَهُ مُورْغان بِحَذَرٍ وَقَدْ وَضَعَ عَلى رَأْسِهِ خُوذَتَهُ المَعْدِنِيَّةَ ، وَكانَ رَأْسُهُ قَدِ اصْطَدَمَ بِالسَّقْفِ مَرَّةً ، وَلَمْ يُرِدْ أنْ يَتَكَرَّرَ ذلِكَ .

صاحَ برايان : « قِفْ ! أُنْظُرْ !» كانَتْ ثَمَّةَ حُفْرَةٌ مُظْلِمَةٌ في الأرْضِ ، وَكانَتْ تَمْتَدُّ مِنْ أحَدِ الجَوانِبِ إلى الجانِبِ الآخَرِ ، وَيَبْدو أنَّها كانَتْ عَميقَةً .

قالَ برايان : « إنَّ عَرْضَها حَوالى خَمْسَةِ أمْتارٍ ، وَلايُمْكِنُنا أنْ نَقْفِزَ فَوْقَها ، وَلا يَزالُ مَدْخَلُ المَنْجَم مُمْتَدًّا ، وَعَلَيْنا أنْ نَعْبُرَ هذِهِ الحُفْرَةَ أوَّلاً .»

« هَلْ يُمْكِنُنا ذلِكَ ؟» وَبَدا الأمْرُ مُسْتَحيلاً ، وَلكِنَّ برايان قالَ :

« أعْتَقِدُ ذلِكَ ؛ سَوْفَ نَتَسلَّقُ الجُدْرانَ حَوْلَ الحُفْرَةِ ، وَنَرْبِطُ أَنْفُسنا بِالحَبْلِ طَلَباً لِلأمانِ ، وَسَوْفَ أَسْبِقُكَ .»

لاحَظَهُ مُورْغان وهُوَ يَتسلَّقُ الجَوانِبَ عَبْرَ الحُفْرَةِ بِبُطْءٍ، ثُمَّ صاحَ برايان : « لا بَأْسَ ! لَقَدْ عَبَرْتُها . جاءَ دَوْرُكَ الآنَ ، كُنْ في مُنْتَهى الحَذَرِ ، فَلَيْسَ الأمْرُ سَهْلاً !»

نَظَرَ مُورْغان إلى جانِبِ مَدْخَلِ المَنْجَم ، وَكانَ مُبْتلاً فَبَدا كَما لَوْ كانَ زُجاجاً أَسْوَدَ اللَّوْنِ . وَضَعُفَ ضَوْءُ المِصْباحِ فَجْأَةً ؛ فَكانَ عَلَيْهِ أَنْ يَسيرَ في الظَّلام . وَأَخَذَ نَفَساً عَميقاً ، وَمَدَّ يَدَهُ لِيُمْسِكَ بِأَوَّلِ شَيْءٍ تَصْطَدِمُ بِهِ يَدُهُ .

الفَصْلُ التّاسِعُ

قالَ ألان جُونز : « أنا لا أُحِبُّ أيّامَ الاِثْنَيْنِ أبَداً ، وَيَزْدادُ كُرْهي لَها عِنْدَما أَعْمَلُ أيّامَ السَّبْتِ وَالأحَدِ . لَقَدْ تَعِبْتُ .»

قالَ لَهُ أوين : « لا بَأْسَ ، إنَّ العَمَلَ يَسيرُ سَيْراً حَسَناً ، وَلَنْ نُضْطَرَّ إلى العَمَلِ كَثيراً في عُطْلَةِ الأُسْبوع .»

كانَ أوين مُتْعَباً كَذلِكَ ، وَلكِنَّهُ كانَ يَشْعُرُ بِالسُّرورِ ؛ إذْ إنَّ العَمَلَ الَّذي أَنْجِزَ قَدْ فاقَ ما جاءَ في البَرْنامَجِ الزَّمَنِيِّ ، وَلَمْ يَكُنْ أوين يَهْتَمُّ كَثيراً بِشَكْوى ألان لأَنَّهُ اعْتادَ مِنْهُ تِلْكَ الشَّكْوى . وَكانَ ثَلاثَتُهُمْ – أوين وَ ألان وَ جُون – قَدْ لَجَأوا إلى مَأْوًى يَحْميهِمْ مِنَ المَطَرِ ، وَلكِنَّ قَطَراتِ المَطَرِ الَّتي تَسْفيها الرِّياحُ كانَتْ قَد بَدَأَتْ تُضايِقُهُمْ مِنْ جَديدٍ . وَكانَ المَطَرُ قَدْ بَدَأَ يَنْهَمِرُ فَجْأَةً على أَعْلى التَّلِّ مُنْذُ دَقائِقَ ، فَلَجَأوا إلى ظِلِّ الجَرّارِ الكَبيرِ الَّذي لَمْ يَكُنْ يَقيهِمْ بِدَرَجَةٍ كافِيَةٍ .

قالَ ألان : « لَسْتُ أَذْكُرُ سَنَةً سَقَطَ فيها المَطَرُ كَما سَقَطَ هذِهِ السَّنَةَ ! إنَّ الأَرْضَ مَليئَةٌ بِماءِ المَطَرِ ، وَأُصْبَحَ المَشْيُ في الوَحْلِ

عَسيراً .»

قالَ أوين : « هذا صَحيحٌ .» وَكانَتِ السَّماءُ قَدْ بَدَأَتْ تَصْفو ، وَأَمْكَنَهُمْ بَعْدَ فَتْرَةٍ قَصيرَةٍ أَنْ يَسْتَأْنِفوا عَمَلَهُمْ .

قالَ ألان : « مِنْ أَيْنَ يَأْتي كُلُّ هذا الماءِ ؟ إِنَّكَ لَتَعْجَبُ لِكَثْرَتِهِ ! إلى أَيْنَ يَذْهَبُ ؟»

قالَ أوين : « لَقَدْ تَوَقَّفَ المَطَرُ .»

خَرَجَ جون مِنْ وَراءِ الجَرّارِ وَقالَ : « نَعَمْ ، لَيْسَ الأَمْرُ بِهذا السُّوءِ الآنَ .» وَنَظَرَ إلى أَسْفَلِ التَّلِّ وَقالَ : « اُنْظُرْ ، يا سَيِّدُ أوين ، ماذا يَجْري ؟»

ذَهَبَ أوين إِلَيْهِ ، وَأَشارَ جون إلى الحائِطِ الجَديدِ قائِلاً: « اُنْظُرْ .»

كانَ الجَرّارُ وَالآلاتُ الأُخْرى قَدْ جَرَفَتِ الحَشائِشَ مِنْ على سَطْحِ التَّلِّ ، وَ تَحَوَّلَتِ الأَرْضُ المُحيطَةُ بِالأَبْراجِ إلى طينٍ بُنِّيِّ اللَّوْنِ . لَقَدْ كانَ المَألوفُ أَنْ تَرى بَعْضَ الماءِ مُتَجَمِّعاً هُنا وَهُناكَ ، وَلكِنَّ الأَمْرَ الآنَ جِدُّ مُخْتَلِفٍ ؛ فَقَدْ كانَ ماءُ المَطَرِ يَتَدَفَّقُ مِنْ أَعْلى التَّلِّ في مَجْرًى مائِيٍّ سَريعِ التَّدَفُّقِ . وَكانَ اثْنانِ مِنْ رِجالِ أوين قَدْ شَرَعا في بِناءِ حائِطٍ جَديدٍ إلى جِوارِ البُرْجِ ، فَإِذا بِماءِ المَطَرِ يَمْضي

في تَدَفُّقِهِ عَبْرَ هذا الحائِطِ ، وَيَلْطِمُ أَسْفَلَ البُرْجِ . وَذَهَبَ ألان لِيَلْحَقَ بِهِما .

قالَ : « هذا لا شَيْءَ . إِنَّهُ لَنْ يُلْحِقَ أَيَّ ضَرَرٍ بِالبُرْجِ ، فَهُوَ لَيْسَ سِوى ماءِ المَطَرِ ، وَسَوْفَ يَجِفُّ بَعْدَ قَليلٍ دونَ شَكٍّ .»

أَخَذَ الرِّجالُ الثَّلاثَةُ يُراقِبونَ السَّيْلَ المُتَدَفِّقَ وَلكِنَّهُ لَمْ يَتَوَقَّفْ ، بَلِ ازْدادَتْ شِدَّةُ تَدَفُّقِهِ وَازْدادَ اتِّساعُهُ .

قالَ ألان : « هذا أَمْرٌ غَريبٌ ! مِنْ أَيْنَ يَأْتي كُلُّ هذا ؟»

قالَ أوين : « لا أَدْري . وَلكِنْ يُمْكِنُنا أَنْ نوقِفَهُ فَوْراً بِاسْتِخْدامِ الجَرّارِ . سَوْفَ أَحْفِرُ مَجْرًى لِلْماءِ ، إذا حَفَرْناهُ بَعيداً عَنِ المَبْنى فَإِنَّ الماءَ لَنْ يَتَسَبَّبَ في أَيِّ ضَرَرٍ .»

وَلكِنَّهُمْ لَمْ يَتَحَرَّكوا ، بَلْ أَخَذوا يَنْظُرونَ إلى السَّيْلِ المُتَدَفِّقِ الَّذي بَدَأَ يَلْطِمُ جُدْرانَ البُرْجِ وَكَأَنَّهُ بَحْرٌ صَغيرٌ .

قالَ ألان : « إِنَّها كَمِّيّاتٌ هائِلَةٌ مِنَ الماءِ ، وَلَيْسَتْ ناتِجَةً عَنْ مَطَرِ اليَوْمِ وَحْدَهُ .»

قالَ أوين : « لا ، وَمِنَ الأَفْضَلِ أَنْ نَفْعَلَ شَيْئاً .» ثُمَّ نَظَرَ إلى

الجرّارِ قائلاً : « أينَ جاك سائقُ الجرّارِ ؟»

أجابَ جُون : « أعتقدُ أنّهُ ذهبَ إلى الإدارةِ ، يا سيّدُ أوين ، ليُراجعَ شيئًا يتعلّقُ بأجرِه .»

قالَ أوين : « لمْ يكُنْ منَ الواجبِ أنْ يذهبَ الآنَ ، ولكنْ لا يهمُّ ، فالأمرُ بسيطٌ ، ويُمكنُني أنْ أقودَ جرّارَ التّسويةِ بنفسي .» ثُمّ تسلّقَ الجرّارَ وجلسَ في مقعدِ السّائقِ ، وبعدَ لحظةٍ كانَ قدْ أدارهُ وبدأَ يقودُهُ .

قالَ : « ابتعدوا عنْ طريقي .»

بدأَ جرّارُ التّسويةِ الأصفرُ الضّخمُ يتحرّكُ بطيئًا في أوّلِ الأمرِ ، ثُمّ ازدادتْ سرعتُهُ ، وكانَ أوين يقودُهُ متّجهًا صوبَ أعلى التّلّ ، وعندما ابتعدَ قُرابةَ أربعينَ مترًا ، اتّجهَ نحوَ مجرى الماءِ ، وبدأَ الجرّارُ يحفرُ الأرضَ .

قالَ جُون : « تعالَ يا ألان ، لقدْ أوشكَ المطرُ أنْ يتوقّفَ ، ومنَ الأفضلِ أنْ نُواصلَ العملَ ، ولا يُمكنُنا الوقوفُ هنا حتّى ينتهيَ أوين منْ عملِه ، فإنّ ذلكَ سوفَ يُغضبُهُ .»

قالَ ألان : « انتظرْ قليلاً يا رجُلُ ! لِمَ العجلةُ ؟! فسوفَ يستغرقُ

في عملِه وقتًا طويلاً .» ثُمّ واصلَ مُراقبتَهُ للجرّارِ وقالَ : « إنّهُ يقودُ جرّارَ التّسويةِ بمهارةٍ ، أليسَ كذلكَ ؟ إنّهُ سائقٌ ماهرٌ .»

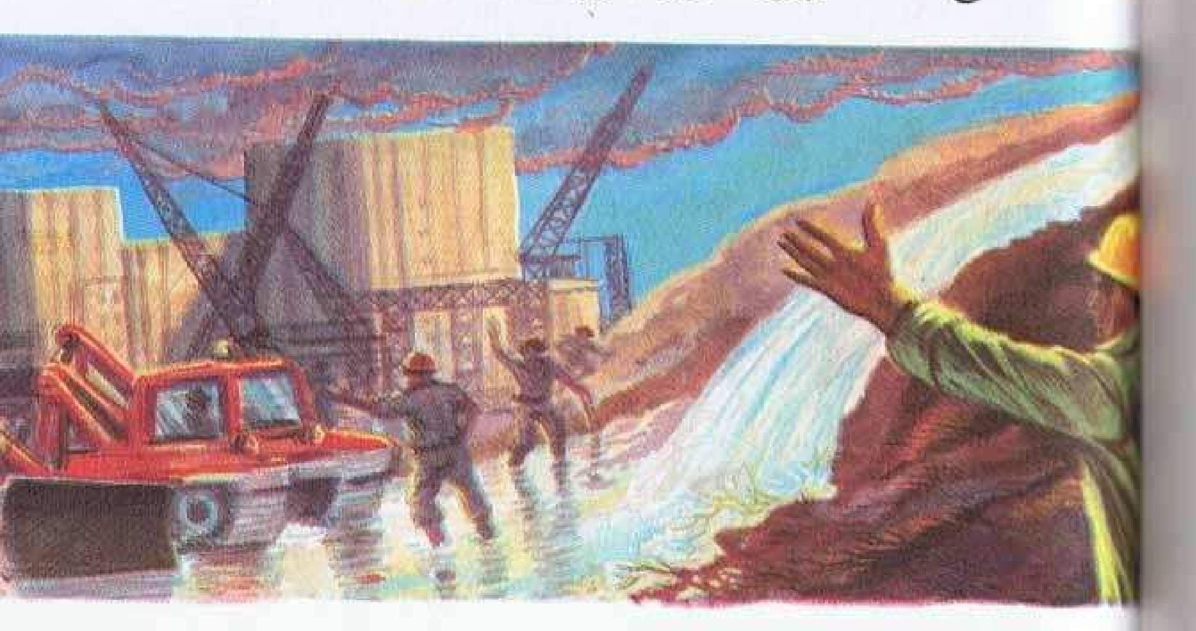
« بلى .»

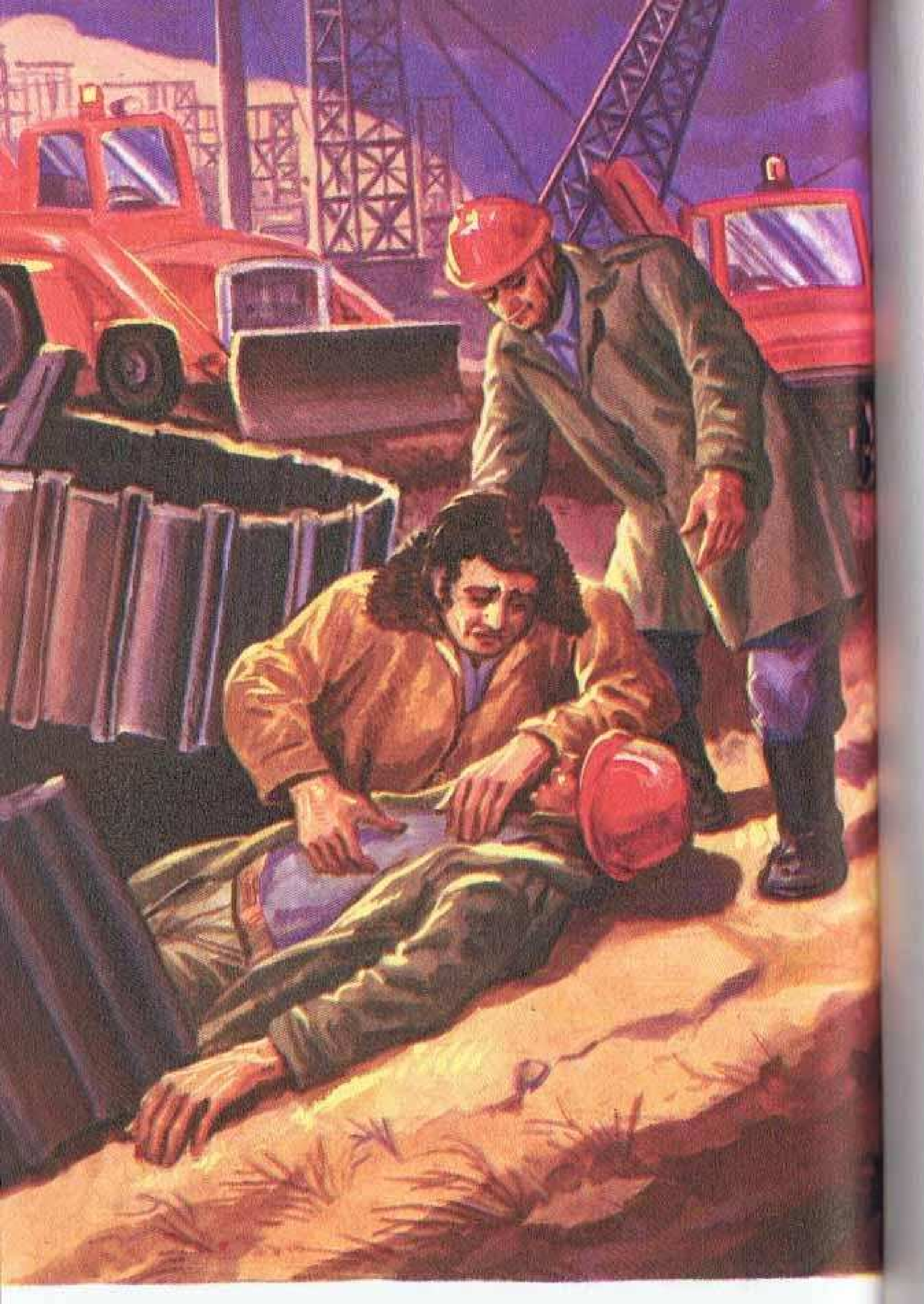
وراحَ جُون يمشي بعيدًا ، ولكنّ ألان أوقفَهُ قائلاً: « انتظرْ قليلاً ! انظرْ ما الّذي يحدثُ ، إنّهُ في مأزقٍ !»

« إنّ الجرّارَ سينقلبُ !» وأخذَ جُون يجري نحوَ الجرّارِ ومعهُ ألان.

صاحَ ألان : « اقفزْ يا رجُلُ ! اقفزْ بسرعةٍ !» ولكنّ أوين لمْ يقفزْ ، بلْ ظلّ جالسًا في مقعدِه يُحاولُ السّيطرةَ على جرّارِ التّسويةِ حتّى يصلَ بِهِ إلى أرضٍ مستويةٍ مرّةً أخرى .

صاحَ ألان : « اقفزْ ! اتركِ الجرّارَ !»





وَانْقَلَبَ الجرّارُ ، وَتَوَقَّفَ مُحَرِّكُهُ ، وَسادَ صَمْتٌ مُطْبِقٌ ، وَلَمْ يَكُنْ يُسْمَعُ إلا صَوْتُ أَقْدامِ جُون وَ ألان وَسْطَ الطِّينِ وَالماءِ ، وَلَمْ يَكُنْ في وُسْعِهِما أنْ يَرَيا أُوين .

وَعِنْدَما وَصَلا إلى الجرّارِ وَجَداهُ راقِداً تَحْتَهُ ، وَكانَ وَجْهُهُ شاحِباً ، وَأَخَذَ يَصيحُ في وَهَنٍ : « أَخْرِجاني . يا إِلهي ! رِجْلايَ ! »

صاحَ ألان : « إنَّنا لا نَقْدِرُ على تَحْريكِ الجرّارِ . » ثُمَّ جَثا بِجِوارِ أُوين ، وَصاحَ في جُون : « نادِ العُمّالَ الآخَرينَ . أُرْكُضْ وَنادِهِمْ يا رَجُلُ ! »

أَسْرَعَ جُون إلى العُمّالِ يُناديهِمْ ، وَبَقِيَ ألان إلى جِوارِ الجرّارِ ، وَكانَتِ الأَرْضُ قَدْ تَصَدَّعَتْ ، وَسَقَطَ جانِبٌ مِنَ الجرّارِ في حُفْرَةٍ ، وَكانَ النِّصْفُ السُّفْلِيُّ مِنْ جِسْمِ أُوين داخِلَ تِلْكَ الحُفْرَةِ تَحْتَ الجرّارِ . وَأَغْمَضَ أُوين عَيْنَيْهِ وَرَقَدَ ساكِناً .

قالَ لَهُ ألان : « إِنَّهُمْ قادِمونَ ، وَلَنْ يَتَأَخَّروا ، وَسَوْفَ نُخْرِجُكَ مِنَ الحُفْرَةِ . » وَلكِنْ لَمْ يَبْدُ على أُوين ما يُفيدُ أَنَّهُ سَمِعَ ما قيلَ لَهُ ، فَفَتَحَ ألان مِعْطَفَهُ وَأَخَذَ يَتَسَمَّعُ دَقّاتِ قَلْبِهِ ، وَنَظَرَ إلى أَسْفَلِ التَّلِّ ثُمَّ صاحَ : « أَسْرِعوا ! أَسْرِعوا ! » وَقالَ لِنَفْسِهِ : « إِنَّهُ في حالَةٍ سَيِّئَةٍ ! أَيْنَ الرِّجالُ ؟ » وَكانَ العُمّالُ قَدْ بَدَأُوا يَتَصايَحونَ أَسْفَلَ التَّلِّ ، كَما

بَدأ آخرونَ يَخْرُجونَ مِنْ مباني المَشْروع ويُهَرْوِلونَ نَحْوَهُما .

*****

رَفَعَ وُرد – توماس يَدَهُ في تَرَدُّدٍ ، ثُمَّ أخَذَ نَفساً عَميقاً ، وَهَزَّ رَأسَهُ، وَأخيراً دَقَّ البابَ دَقّاتٍ عالِيَةً ، وَبَعْدَ لَحْظَةٍ انْفَتَحَ البابُ ، وَظَهَرَ مُورْغان قائلاً : « أهْلاً وَسَهْلاً ! » وَوَقَفَ الرَّجُلانِ دونَ حَراكٍ ، ثُمَّ رَجَعَ مُورْغان إلى الوَراءِ قائِلاً :

« تَفَضَّلْ بِالدُّخولِ وَأعْطِني مِعْطَفَكَ . » فَدَخَلَ وُرد – تُوماس الغُرْفَةَ ، وَجَلَسَ بِتَثاقُلٍ وَكَأنَّهُ شَيْخٌ مُسِنٌّ .

قالَ : « لَقَدْ جِئتُ كَيْ أعْتَذِرَ لَكَ يا داڤيد . »

قالَ مُورْغان مُحَدِّقًا إلَيْهِ : « ماذا ؟! »

سَألَهُ وُرد – تُوماس : « هَلْ سَمِعْتَ الخَبَرَ ؟ » وَكانَ مُورْغان يُعَلِّقُ المِعْطَفَ ، فالْتَفَتَ إلَيْهِ وَالمِعْطَفُ لا يَزالُ في يَدِهِ ، وَقالَ : « لا ، أيُّ خَبَرٍ ؟ »

قالَ وُرد – تُوماس : « لَقَدْ أوْقَفْنا العَمَلَ في المَشْروع ، وَكُنْتَ مُصيباً ؛ فَقَدْ حَدَثَ انْخِسافٌ في الأرْضِ . »

عَلَّقَ مُورْغان المِعْطَفَ ، ثُمَّ جَلَسَ أمامَهُ وَقالَ : « لَمْ أعْرِفْ

بِذلِكَ ؛ فَقَدْ كُنْتُ في لَنْدَن يَوْمَ السَّبْتِ . »

قالَ وُرد – تُوماس : « لَقَدْ حَدَثَ ذلِكَ صَباحَ اليَوْمِ ، وَقَدْ أُصيبَ أُوين . »

« أُوين ؟! ماذا حَدَثَ لَهُ ؟ هَلْ إصابَتُهُ شَديدَةٌ ؟ »

قالَ وُرد – تُوماس : « لا ، لَيْسَتْ شَديدَةً ، إنَّهُ في المُسْتَشْفى ، وَقَدْ كُسِرَتْ ساقُهُ ، وَلكِنَّ حالَتَهُ سَوْفَ تَتَحَسَّنُ ، وَقَدْ ذَهَبْتُ لِزِيارَتِهِ. إنَّهُ خَطَئي ! »

سَألَهُ مُورْغان : « كَيْفَ حَدَثَ ذلِكَ ؟ »

« لَقَدْ تَداعَتِ الأرْضُ ، وَهذا ما كُنْتَ تَرى أنَّهُ سَوْفَ يَحْدُثُ ، وَكانَ مِنَ الواجِبِ عَلَيَّ أنْ أهْتَمَّ بِما قُلْتَهُ . لَقَدْ سَقَطَ جَرّارُ التَّسْوِيَةِ، وَكانَ مِنَ المُحْتَمَلِ أنْ يَقْتُلَهُ . »

« أيْنَ هُوَ ؟ أفي المُسْتَشْفى هُنا ؟ »

« لا . لَقَدْ نَقَلوهُ إلى مُسْتَشْفى أَبِرْدان . »

قالَ مُورْغان : « سَوْفَ أذْهَبُ لِزِيارَتِهِ . هَلْ يَسْمَحونَ لَهُ بِاسْتِقْبالِ الزّائِرينَ ؟ »

« نَعَمْ ، بِالطَّبْع .» ثُمَّ ابْتَسَمَ ابْتِسامَةً باهِتَةً وَقالَ : « إِنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَراكَ .»

قالَ مُورْغان : « إِنَّكَ تَبْدو مُتْعَباً . أ أحْضِرُ لَكَ فِنْجاناً مِنَ الشّايِ ؟»

« لا ، شُكْرًا . لَقَدْ كانَ يَوْماً عَصِيباً أَرْهَقْتُ نَفْسي فيهِ بِالتَّفْكِيرِ ، وَلَقَدْ جِئْتُ لأَعْتَذِرَ لَكَ ، وَلكِنّي لَمْ أُحْسِنِ الاعْتِذارَ ، أ لَيْسَ كَذلِكَ ؟»

قالَ مُورْغان : « لا تَهْتَمَّ بِهذا . لَقَدْ كانَ لَكَ رَأْيٌ ، وَلي رَأْيٌ آخَرُ ، هذا كُلُّ ما في المَوْضوعِ . لِنَنْسَ ما حَدَثَ فَقَدِ انْتَهى الأَمْرُ .»

تَنَهَّدَ وِرد – تُوماس وَقالَ : « نَنْساهُ ، وَلكِنَّكَ مُصِيبٌ في قَوْلِكَ بِأَنَّ الأَمْرَ قَدِ انْتَهى ، لَقَدِ انْتَهى المَشْروعُ !»

قالَ مُورْغان : « لا ، إِنَّهُ لَمْ يَنْتَهِ .»

« أَعْرِفُ ذلِكَ . إِنَّ المَشْروعَ لَمْ يَنْتَهِ ، وَلكِنّي أَنا الَّذي انْتَهَيْتُ !» وَنَهَضَ وِرد – تُوماس وَأَخَذَ يَجولُ في الغُرْفَةِ ، ثُمَّ قالَ : « لَقَدْ نَعَتَني بِأَنّي مُتَعَجْرِفٌ ، وَهذا وَصْفٌ حَقِيقِيٌّ ، بَلْ وَمَجْنونٌ أَيْضاً ! إِنَّني لَمْ أَتَحَدَّثِ اليَوْمَ مَعَ أَحَدٍ ، فَغُوين في لَنْدَن ، وَمَكَثْتُ طَوالَ اليَوْمِ أُفَكِّرُ

فيما حَدَثَ .» ثُمَّ تَوَقَّفَ وَجَلَسَ وَقَدْ بَدا عَلَيْهِ التَّعَبُ .

قالَ مُورْغان : « اِسْتَمِرَّ .»

قالَ وِرد – تُوماس : « لَمْ أُنْعِمِ التَّفْكِيرَ في المَشْروعِ وَحْدَهُ ، بَلْ في أَكْثَرَ مِنْ ذلِكَ . عِنْدَما كانَتْ غُوين طِفْلَةً ماتَتْ أُمُّها فَجْأَةً .»

قالَ مُورْغان : « أَنا أَعْرِفُ ذلِكَ .»

« شَعَرْتُ بِالوَحْدَةِ القاسِيَةِ ، بِالطَّبْعِ كانَتْ غُوين مَعي ، وَلَعَلَّني دَلَّلْتُها كَثِيراً ، فَقَدْ كانَتْ دائِماً تُحِبُّ الاِسْتِقْلالَ بِالرَّأْيِ ، وَلكِنَّ ذلِكَ كانَ يُصادِفُ هَوًى في نَفْسي ، فَلَمْ يَكُنْ عِنْدي غَيْرُها . وَلكِنَّ السُّؤالَ الَّذي كانَ يَدورُ بِخَلَدي هُوَ ما مَعْنى الحَياةِ بِالنِّسْبَةِ لي ؟ لَمْ يَكُنْ لي كَثِيرٌ مِنَ الأَصْدِقاءِ ، وَلا يَزالُ أَصْدِقائي قَلِيلينَ لِلْغايَةِ ، لِهذا قَرَّرْتُ ... لا لَمْ أُقَرِّرْ بَلْ شَعَرْتُ ...» ثُمَّ أَمْسَكَ عَنِ الكَلامِ .

قالَ مُورْغان : « لَسْتَ بِحاجَةٍ إِلى أَنْ تُخْبِرَني بِهذا كُلِّهِ .»

« بَلْ مِنَ الواجِبِ عَلَيَّ أَنْ أَفْعَلَ ذلِكَ ؛ فَأَنا أُرِيدُ أَنْ أَعْتَذِرَ وَأَنْ أَشْرَحَ لَكَ السَّبَبَ ...» ثُمَّ أَمْسَكَ مَرَّةً أُخْرى عَنِ الكَلامِ ، وَانْتَظَرَ مُورْغان لِيَسْتَمِعَ لِما يَقولُهُ ، ثُمَّ واصَلَ وِرد – تُوماس حَدِيثَهُ قائِلاً :

« إذا لَمْ يَكُنْ في استطاعتي أنْ أنشئَ صداقاتٍ ، ففي وُسْعي أنْ أنالَ الحُظْوَةَ والسُّلْطانَ ، وأبْلُغَ مكانةً مرموقةً . وقَدْ أصبَحَ ذلكَ شُغْلِي الشاغِلَ ، ووُعِدْتُ بِأنْ أحصُلَ على لَقَبِ « سير » . هَلْ سمِعْتَ بِهذا ؟ »

أجابَ مُورْغان : « نَعَمْ سمِعْتُ . »

« كُنْتُ أُريدُ أنْ يَنْجَحَ المَشْروعُ حَتى أحْصُلَ على لَقَبِ «سير» ، وكانَ هذا يُسَيْطِرُ على تفكيري ، فَلَمْ أرَ أيَّ شَيْءٍ آخرَ بِوُضوحٍ ، ولَمْ أرِدْ أنْ أصغِيَ إلَيْكَ ؛ كُنْتُ أريدُ أنْ أحصُلَ على مُكافأتي ، وهأنَذا قَدْ حَصَلْتُ علَيْها ، ولكِنَّها تَخْتَلِفُ عمّا توَقَّعْتُ . إنَّ المَشْروعَ قَدْ يَسْتَمِرُّ ، ولَكِنّي قَضَيْتُ على كُلِّ الفُرَصِ أمامي ، ولَكِنَّ هذا لا يُهِمُّ ، رُبَّما كانَ ذلِكَ خَيْراً لي ، رُبَّما أتمَكَّنُ مِنَ التَّغْييرِ . » وكَفَّ عَنِ الكَلامِ لَحظَةً ثُمَّ أرْدَفَ : « أنا لا أقومُ بالاعْتِذارِ بِطَريقَةٍ حَسَنَةٍ ، بَلْ أواصِلُ الحَديثَ عَنْ نَفْسي ، ولَكِنَّ هَدَفي أنْ أشْرَحَ لكَ ظُروفي . أريدُكَ أنْ تَفْهَمَ الوَضْعَ . »

« أنا أفْهَمُهُ . »

« يُمكِنُكَ أنْ تَرْجِعَ إلى عَمَلِكَ غَداً ، لَقَدْ كُنْتَ مُصيباً طَوالَ الوَقْتِ ، وأتَمَنّى لكَ التَّوْفيقَ مِنْ كُلِّ قَلْبي ، ولَكِنَّكَ سَتَعْمَلُ مَعَ

شَخْصٍ آخَرَ ، لأنّي سَأَسْتَقيلُ . »

قالَ مُورْغان : « لا تَفْعَلْ هذا . »

« ماذا يُمْكِنُني أنْ أفْعَلَ غَيْرَ هذا ؟ إنَّهُمْ لَنْ يَتَمَكَّنوا الآنَ مِنْ إتْمامِ المَشْروعِ في مَوْعِدِهِ ، لَقَدْ وَعَدْتُ الوَزيرَ بِأنْ نُنْجِزَهُ في مَوْعِدِهِ ، ولَكِنْ إلى أيِّ مَدًى سَيَسْتَمِرُّ هذا الانْخِسافُ في الأرْضِ ؟ عَلَيْهِمُ الآنَ أنْ يُعيدوا فَحْصَ التَّلِّ مِنْ جَديدٍ ، رُبَّما اضْطُرّوا لأنْ يُعيدوا بِناءَ البُرْجِ ، وأنْ يَبْنوا أشْياءَ أُخْرى كَثيرَةً ، وهَذا يَعْني مَزيداً مِنْ إعادَةِ التَّخْطيطِ ، وسَوْفَ يَتَعَطَّلُ العَمَلُ لِفَتْرَةٍ طَويلَةٍ ، وأنا وَراءَ هذا التَّعْطيلِ . »

قالَ مُورْغان : « لا . »

« لا ؟ ولَكِنْ بِطَبيعَةِ الحالِ كانَ الخَطَأُ خَطَئي . إنَّهُ لَيْسَ خَطَأَكَ بَلْ ولا خَطَأَ تِرِسْتون . »

« أنا لا أعْني هذا ، بَلْ أعْني أنَّهُ قَدْ لا يَكونُ هُناكَ تَأخيرٌ . »

« ولَكِنْ لا بُدَّ أنْ يَكونَ هُناكَ تَأخيرٌ ؛ إذْ إنَّ عَلَيْهِمْ هذِهِ المَرَّةَ أنْ يَقوموا بِاخْتِبارِ كُلِّ شَيْءٍ . لَنْ يَجْرُؤوا على البَدْءِ في العَمَلِ مَرَّةً أخْرى إلا بَعْدَ أنْ يَقوموا بِهذا الاخْتِبارِ . »

« لَقَدْ تَمَّ إنْجازُ جُزْءٍ مِنْهُ .»

حَمْلَقَ وُرد – تُوماس إلى وَجْهِهِ وَسَأَلَهُ : « عَمَّ تَتَحَدَّثُ ؟ وَمَتى حَدَثَ ذلِكَ ؟»

« لَقَدْ ذَهَبْتُ إلى هُناكَ يَوْمَ السَّبْتِ الماضي وَمَعي صَديقٌ ، وَقَدْ وَجَدْنا المَنْجَمَ . لَقَدْ بُدِئَ العَمَلُ فيهِ مُنْذُ عِدَّةِ سِنينَ ثُمَّ تَوَقَّفَ ، وَلكِنَّ المَنْجَمَ يَمْتَدُّ تَحْتَ التَّلِّ .»

سَأَلَهُ وُرد – تُوماس بِقَلَقٍ : « هَلْ يَعْني هذا مَزيداً مِنَ انْخِسافِ الأَرْضِ ؟»

« انْتَظِرْ قَليلاً .» وَذَهَبَ مُورْغان إلى المِنْضَدَةِ وَأَحْضَرَ خَريطَةً ، ثُمَّ وَضَعَها عَلى الأَرْضِ ، وَكانَتْ عَلى الخَريطَةِ خُطوطٌ بِالحِبْرِ الأَحْمَرِ ، وَأَخَذَ يَشْرَحُ المَوْضوعَ قائِلاً : « وَضَعْتُ رَسْماً **تَخْطيطِيّاً** لِلْمَنْجَمِ وَلِمَناطِقِ الصُّدوعِ . اُنْظُرْ إلى الخُطوطِ الحَمْراءِ ؛ هذا هُوَ مَدْخَلُ المَنْجَمِ الرَّئيسِيُّ ، وَهذِهِ صُدوعٌ في الصُّخورِ .»

« أَهِيَ كَثيرَةٌ ؟»

« مُعْظَمُها غَيْرُ خَطِرٍ .» وَواصَلَ مُورْغان حَديثَهُ ، وَكانَ يُشيرُ مِنْ وَقْتٍ لآخَرَ إلى الخَريطَةِ ، وَيَرْسُمُ عَلَيْها خُطوطاً بِإصْبَعِهِ ، وَكانَ وُرد

– تُوماس يُصْغي بِاهْتِمامٍ وَيومِئُ بِرَأْسِهِ .

قالَ مُورْغان : « هذا هُوَ أَخْطَرُ صُدوعِ الصُّخورِ تَأْثيراً عَلى المَشْروعِ ، وَهُوَ يَمْتَدُّ عَلى مَقْرُبَةٍ مِنَ الأَبْراجِ ، أَمّا الصُّدوعُ الأُخْرى فَلَيْسَتْ ذاتَ أَهَمِّيَّةٍ ، وَلاتَظْهَرُ خُطورَةُ هذا الصَّدْعِ إلا عِنْدَ المَطَرِ ؛ إذْ إنَّ ماءَ المَطَرِ يَتَخَلَّلُهُ ، وَيَجْرُفُ مَعَهُ ذَرّاتِ التُّرابِ وَالرَّمْلِ الَّتي سَدَّتْ شُقوقَهُ ، وَفي الحالاتِ العادِيَّةِ تَكونُ هذِهِ الصُّدوعُ مَمْلوءَةً بِالرَّمْلِ وَالتُّرابِ مِمّا يَجْعَلُها آمِنَةً ، وَلكِنَّ المَطَرَ كانَ غَزيراً هذا العامَ مِمّا جَعَلَ المِياهَ تَتَخَلَّلُ الشُّقوقَ وَتَجْرُفُ ما في ثَناياها .»

قالَ وُرد – تُوماس : « قَدْ يَحْدُثُ هذا مَرَّةً أُخرى ؛ وَلِهذا فَهِيَ لا تَزالُ خَطِرَةً . هَلْ فَحَصْتَ كُلَّ المَناطِقِ ؟ لَعَلَّ هُناكَ صُدوعاً أُخرى .»

« هذا مُحْتَمَلٌ ، وَإنْ كُنْتُ لا أَعْتَقِدُ بِوُجودِ صُدوعٍ غَيْرِ هذِهِ . لِنَرْجِعْ إلى هذا الصَّدْعِ ، يُمْكِنُنا أَنْ نَحْفِرَ في هذا المَكانِ ، وَسَوْفَ يَصِلُ الحَفْرُ إلى بِدايَةِ الصَّدْعِ ، وَعِنْدَئِذٍ نَمْلأُ مَدْخَلَ الصَّدْعِ هذا بِالخَرَسانَةِ المُسَلَّحَةِ ، وَهكَذا نَسُدُّ الجُزْءَ العُلْوِيَّ مِنَ الصَّدْعِ بِصورَةٍ آمِنَةٍ ، وَبَعْدَ ذلِكَ نَمْلأُ بِالخَرَسانَةِ المُسَلَّحَةِ بَقِيَّةَ الصَّدْعِ ، وَبِهذا الإجْراءِ تُصْبِحُ الأَرْضُ تَحْتَ الأَبْراجِ مَأْمونَةً .»

نظَرَ وُرد – تُوماس إلى الخَريطَةِ وَقالَ في النِّهايَةِ : « هَلْ مِنَ المُمْكِنِ تَنْفيذُ ذلِكَ ؟»

« أنا موقِنٌ مِنْ ذلِكَ .»

« ولكِنْ كَيْفَ عَرَفْتَ ذلِكَ كُلَّهُ ؟»

اِبْتَسَمَ مُورْغان وَقالَ : « هَلْ سَيُساوِرُكَ الشَّكُّ في مَرَّةٍ أخرى ؟ لَقَدْ ذَهَبْتُ إلى لَنْدَن ، وَسَأَلْتُ الخُبَراءَ هُناكَ ، لَقَدْ كانَ ذلِكَ يَوْمَ السَّبْتِ ، وَلَمْ يَكونوا في مَكاتِبِهِمْ وَلَمْ أَتَمَكَّنْ مِنَ الاتِّصالِ بِهِمْ ، وَلِذلِكَ كانَ عَلَيَّ أنْ أسعى إلَيْهِمْ في مَنازِلِهِمْ . لَقَدْ قابَلْتُ كُروسُون وَهُوَ خَبيرٌ في هذا المَجالِ – كَما تَعْلَمُ – ثُمَّ قابَلْتُ بريكْمان ، وَأَنْتَ تَعْرِفُهُ كَذلِكَ ، وَمِنْ حُسْنِ الحَظِّ أنَّهُما لَمْ يَكونا بِالخارِجِ ، وَوافَقَ الاثْنانِ وَلكِنَّهُما يُريدانِ بِالطَّبْعِ أنْ يَزورا التَّلَّ .»

« بِالطَّبْعِ .» وَكانَ وُرد – تُوماس لا يَزالُ يَفْحَصُ الخَريطَةَ ، وَقَدْ أَخَذَتْ عَلاماتُ التَّجَهُّمِ تَزولُ عَنْ مُحَيّاهُ .

قالَ : « أَ تَعْتَقِدُ حَقيقَةً أنَّ هذا قابِلٌ لِلتَّنْفيذِ ؟»

رَدَّ عَلَيْهِ مُورْغان بِابْتِهاجٍ قائِلاً : « وَلِمَ لا ؟»

« كَمْ مِنَ الوَقْتِ سَوْفَ يَسْتَغْرِقُ هذا العَمَلُ ؟»

« لا أدري بِالضَّبْطِ كَمْ مِنَ الوَقْتِ يَسْتَغْرِقُهُ مَلْءُ الصَّدْعِ بِالخَرَسانَةِ . رُبَّما يَسْتَغْرِقُ ذلِكَ أسْبوعاً ، وَرُبَّما يَسْتَغْرِقُ أَقَلَّ مِنْ ذلِكَ .»

« أسْبوعاً فَقَطْ ؟!» ثُمَّ فَكَّرَ وَقالَ : « إذا صَحَّ هذا فَيُمْكِنُنا أنْ نُنْهِيَ المَشْروعَ في الوَقْتِ المُحَدَّدِ .»

« نَعَمْ .» وَالْتَقَطَ مُورْغان الخَريطَةَ مِنْ عَلى الأرْضِ وَأعادَها إلى مَكانِها .

وَكانَ وُرد – تُوماس يَرْقُبُهُ وَهُوَ يُفَكِّرُ بِعُمْقٍ ، ثُمَّ سَأَلَهُ : « مَتى سَيَحْضُرانِ ؟»

« يَوْمَ الأرْبعاءِ في قِطارِ السّاعَةِ العاشِرَةِ ، وَلا يُمْكِنُهُما أنْ يَأْتِيا قَبْلَ ذلِكَ .»

« سَوْفَ نَسْتَقْبِلُهُما مَعاً ، أَلَيْسَ كَذلِكَ ؟»

« لَقَدْ أَخْبَرْتُهُما بِأنَّنا سَنَسْتَقْبِلُهُما .»

وَقَفَ وُرد – تُوماس وَمَشى إلى النّافِذَةِ ، وَقالَ : « كَمْ أنا شاكِرٌ لَكَ يا داڤيد ! إنَّ هذا يُغَيِّرُ كُلَّ شَيْءٍ . أنْتَ لا يُمْكِنُكَ أنْ تَتَصَوَّرَ مَدى تَأْثيرِهِ عَلَيَّ .»

قالَ مُورْغان : « بَلْ أتصَوَّرُ ! هَلْ غَيَّرْتَ رَأيَكَ بِخُصوصِ فِنْجانِ الشّاي ؟»

قالَ وُرد – تُوماس وَهُوَ يَبْتَسِمُ : « نَعَمْ ، لَقَدْ غَيَّرْتُهُ ، مَرْحَباً بِفِنْجانٍ مِنَ الشّاي ! وَلا يَزالُ أَمامَنا حَديثٌ طَويلٌ .» وَكانَ صادِقاً ؛ فَلَمْ يُغادِرِ المكانَ إلا عِنْدَما قارَبَتِ السّاعَةُ الثّانِيَةَ عَشْرَةَ .

*****

كانَ المَرْضى في المُسْتَشْفى في انْتِظارِ الزّائِرينَ ، وَكانَ ذلِكَ مَساءَ يَوْمِ الثُّلاثاءِ ، وَكانوا قَدْ تَوَقَّفوا عَنِ الحَديثِ وَوَضَعوا الكُتُبَ وَالمَجلاتِ جانِباً ، وَرَقَدوا في أَسِرَّتِهِمُ المُرَتَّبَةِ وَقَدِ اتَّجَهَتْ رُؤوسُهُمْ نَحْوَ البابِ ؛ فَقَدْ حانَ وَقْتُ الزِّيارَةِ .

بَدَأَ الزّائِرونَ يَفِدونَ مُسْرِعينَ ، وَقَدْ بَدا القَلَقُ عَلى بَعْضِهِمْ ، بَيْنَما كانَتْ الاِبْتِسامَةُ مَرْسومَةً عَلى وجوهِ بَعْضِهِمُ الآخَرِ ، وَاقْتَرَبوا بِكَراسِيِّهِمْ مِنَ الأَسِرَّةِ وَأَخَذوا يَتَحَدَّثونَ إلى المَرْضى بِصَوْتٍ خَفيضٍ ، أَمّا وَجْهُ أوين فَقَدْ كانَ أَقَلَّ بَهْجَةً ، وَأَخَذَ يُسائِلُ نَفْسَهُ أَ لَنْ تَأْتِيَ زَوْجَتُهُ جون لِزِيارَتِهِ ؟ وفي النِّهايَةِ أَدارَ رَأْسَهُ وَتَناوَلَ كِتاباً مَرَّةً أُخْرى، ثُمَّ جَلَسَ وَنَظَرَ إلى البابِ وَبَدَأَتِ الاِبْتِسامَةُ تَرْتَسِمُ عَلى شَفَتَيْهِ .

قالَتْ جُون : « يُؤْسِفُني أَنّي تَأَخَّرْتُ . الأَوْلادُ هُمُ السَّبَبُ ، فَلَمْ



يَكُنْ بِإمْكاني أَنْ أَتْرُكَهُمْ وَحْدَهُمْ ، وَالسَّيِّدَةُ إِدْوارْدز مَريضَةٌ ، وَلَمْ يَكُنْ في وُسْعِها أَنْ تَرْعاهُمْ .»

سَأَلَها أوين : « مَنِ الّتي تَقومُ بِرِعايَتِهِمْ ؟»

أَجابَتْ : « طَلَبْتُ ذلِكَ مِنَ السَّيِّدَةِ لِيف ، وَسَوْفَ تَبْقى مَعَهُمْ حَتّى أَعودَ .»

سَأَلَها : « كَيْفَ حالُهُمْ ؟»

أَجابَتْ : « بِخَيْرٍ . إِنَّهُمْ قَلِقونَ مِنْ أَجْلِكَ ، وَكانَ سُلوكُهُمْ في بَعْضِ الأَوْقاتِ صَعْباً ، لأَنَّهُمْ يَفْتَقِدونَكَ ، وَأَنا كَذلِكَ أَفْتَقِدُكَ .» ثُمَّ

ابْتَسَمَتْ لَه .

قالَ : « إنّي أَفْتَقِدُكُمْ أَكْثَرَ .»

سَأَلَتْهُ : « كَيْفَ حالُكَ ؟ أ لا تَزالُ ساقُكَ تُؤْلِمُكَ ؟»

أجابَها : « إنَّها لا تُؤْلِمُني كَثيراً اليَوْمَ ، وَلكِنَّ ثَمَّةَ آلاماً أَشَدَّ في أَجْزاءٍ أُخْرى .. هُنا وَهُنا .» وَأَراها مَناطِقَ أَلَمِهِ .

سَأَلَتْهُ بِقَلَقٍ : « وَلكِنَّكَ سَتُصْبِحُ بِخَيْرٍ ، أَ لَيْسَ كَذلِكَ ؟»

« بَلى ، بِالطَّبْعِ يا حَبيبَتي .» وَ رَبَّتَ عَلى يَدِها قائِلاً : « لَقَدْ زارَني الطَّبيبُ وَطَمْأَنَني بِأَنَّني سَوْفَ أَسْتَعيدُ صِحَّتي .»

اِبْتَسَمَتْ لَهُ مَرَّةً أُخْرى وَقالَتْ : « هذا خَبَرٌ سارٌّ ، فَقَدْ كُنْتُ قَلِقَةً كَما تَعْلَمُ .»

« أَنا أَعْلَمُ بِشُعورِكِ وَلكِنْ لا داعِيَ لِلْقَلَقِ .»

« مَتى سَتُغادِرُ المُسْتَشْفى ؟»

« إنَّهُمْ لَمْ يُخْبِروني بَعْدُ ، وَ آمُلُ أَنْ يَكونَ ذلِكَ قَريباً .»

نَظَرَتْ إلَيْهِ بِحَماسٍ وَقالَتْ : « لَقَدْ نَسيتُ أَنْ أُخْبِرَكَ بِأَنَّ السَّيِّد

وُرد – تُوماس قَدْ جاءَ إلَيْنا اليَوْمَ .»

« ماذا كانَ يُريدُ ؟»

« لا تَنْظُرْ إلَيَّ هكَذا يا غلين ! لَقَدْ كانَ لَطيفاً ، وَقَدْ أَدْهَشَني أَنْ أَراهُ ، وَكُنْتُ أوشِكُ أَنْ أُنَظِّفَ البَيْتَ عِنْدَما زارَنا ، وَلكِنَّ هذا لَمْ يُهِمَّهُ ، فَقَدْ كانَ لَطيفاً حَقًّا ، وَتَحَدَّثْنا مُدَّةً طَويلَةً ، وَسَأَلَني عَنْكَ وَعَنِ الأَوْلادِ ، وَعَمّا إذا كُنْتُ في حاجَةٍ إلى أَيَّةِ مُساعَدَةٍ .»

« مُساعَدَةً ؟ أَيُّ نَوْعٍ مِنَ المُساعَدَةِ ؟ بِماذا أَخْبَرْتِهِ ؟» وَلَمْ يَبْدُ السُّرورُ عَلى أُوِين .

« لا تَكُنْ مُتَشَكِّكاً ! لَقَدْ كانَ يُحاوِلُ أَنْ يُبْدِيَ عَطْفَهُ .»

وَلَمْ يَقُلْ أُوِين شَيْئاً ، ثُمَّ انْبَسَطَتْ أَساريرُ وَجْهِهِ ، وَقالَ : « إذا كانَ يُريدُ أَنْ يُساعِدَ ، فَفي وُسْعِهِ ذلِكَ .» ثُمَّ فَكَّرَ لَحْظَةً وَقالَ : « هذا غَريبٌ ! أَنا لَمْ أَكُنْ أَعْتَقِدُ أَنَّهُ كَذلِكَ . كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّهُ مَغْرورٌ ، وَمَعَ ذلِكَ فَقَدْ تَغَيَّرَتْ فِكْرَتي عَنْ أَشْياءَ عَديدَةٍ . يا لَذلِكَ الجَرّارِ ! لَقَدِ اعْتَقَدْتُ أَنَّني مَيِّتٌ لا مَحالَةَ .» ثُمَّ تَوَقَّفَ عَنِ الكَلام .

« لا تَتَحَدَّثْ عَنِ المَوْتِ مِنْ فَضْلِكَ !»

قالَ لَها بَعْدَ لَحْظَةٍ : « وَأَنا أَيْضاً كانَ عِنْدي زائِرٌ .»

« مَنْ ؟ أ أحَدُ الرِّجالِ الَّذينَ يَعْمَلونَ بِالمَشْروع ؟»

ضَحِكَ وَقالَ : « إلى حَدٍّ ما . إنَّهُ داڤيد مُورغان .»

« ولكِنَّهُ لَيسَ صَديقَكَ ، وَأنْتَ لَمْ تُحِبَّهُ قَطُّ .»

قالَ : « أنا لا أعرِفُ يا عَزيزَتي جُون . إنَّهُ لا بَأْسَ بِهِ ، لَقَدْ تَحادَثْنا حَديثاً طَويلاً ، وَلَمْ أكُنْ أعْرِفُهُ عَلى حَقيقَتِهِ مِنْ قَبْلُ ، لَقَدْ أحْضَرَ إلَيَّ بَعْضَ السَّجائِرِ .»

« عَمَّ تَحَدَّثْتُما ؟»

« عَنْ شِجارِنا !» وَابْتَسَمَ لَها .

« هَلْ تَشاجَرْتُما ؟ إنَّكَ لَمْ تُخْبِرْني بِذلِكَ .»

« لَمْ يَكُنْ شِجاراً في حَقيقَةِ الأمْرِ ، وَإنَّما كانَ شَيْئاً سَخيفاً . وَضَحِكْنا مِنْ قَلْبَينا عِنْدَما اسْتَرْجَعْنا ماحَدَثَ بَيْننا .»

قالَتْ لَهُ : « ألان وَ جُونز أتَيا مَرَّةً أخرى اللَّيْلَة ، وَكُلُّ العامِلينَ يَبْعَثونَ إلَيْكَ بِأطْيَبِ تَمَنِّياتِهِمْ .»

« أ صَحيحٌ هذا ؟»

اِبْتَسَمَتْ لَهُ وَقالَتْ : « لا تَدْهَشْ .»

قالَ لَها : « أنا دَهِشٌ بَعْضَ الشَّيْءِ . لَقَدْ كُنْتُ قاسِياً عَلى العُمّالِ في بَعْضِ الأوْقاتِ ، وَكُنْتُ قاسِياً مَعَ النّاسِ جَميعاً ، وَمَعَكِ وَمَعَ الأوْلادِ .»

نَظَرَتْ إلَيْهِ وَهِيَ تَبْتَسِمُ وَقالَتْ : « رُبَّما كُنْتَ كَذلِكَ .»

قالَ : « إنَّ الوَظيفَةَ هِيَ السَّبَبُ ، وَقَدْ جَعَلَتْني أشْعُرُ بِأنّي شَخصٌ مُهِمٌّ ، وَكُنْتُ أخْشاها بَعْضَ الشَّيْءِ ، وَلكِنّي لَمْ أُرِدْ أنْ أفْقِدَها .»

قالَتْ : « أنْتَ لَمْ تَكُنْ سَيِّئاً لِلْغايَةِ في مُعامَلَتِكَ .»

قالَ : « لَعَلّي لَمْ أكُنْ سَيِّئاً ، وَلكِنَّ الحادِثَ أوْقَفَ هذا كُلَّهُ . سَوْفَ تَخْتَلِفُ الأمورُ في المُسْتَقْبَلِ .»

قالَتْ : « أرْجو ألا يَكونَ الاخْتِلافُ كَبيراً .» وَابْتَسَمَ كُلٌّ مِنْهُما للآخَرِ .

الفَصْلُ العاشِرُ

وَصَلَ مُورْغان إلى المَحطَّةِ مُبكِّرًا ، وكانَ الجوُّ لطيفًا ، فوَقَفَ خارِجَ المَحطَّةِ وأخذَ يُراقِبُ مايَجْري حوْلَهُ . كانَتِ السَّيّاراتُ تَجيءُ وَتمْضي ، وَالنّاسُ يَحْمِلونَ الصَّناديقَ ، وَ أتوبيسٌ يَتَوقَّفُ ويَخْرُجُ مِنْهُ حَشْدٌ مِنَ النّاسِ ، يَدْخُلونَ المَحطَّةَ ومَعهُمْ عددٌ مِنَ الأطْفالِ يَتَحدَّثونَ بِحَماسٍ .

وَعِنْدَئِذٍ جاءَتْ سَيّارَةُ وُرد – تُوماس الطَّويلَةُ السَّوْداءُ وَتَوَقَّفَتْ .

صاحَ وُرد – تُوماس : « أهْلاً يا داڤيد . أنا لَمْ أتأخَّرْ ، أ لَيْسَ كَذلِكَ ؟ إنِّي أسْمَعُ صَوْتَ قِطارٍ .» واتَّجَهَ نَحْوَ مُورْغان .

قالَ مُورْغان : « بَلى ، لَمْ تَتأخَّرْ . إنَّهُ صَوْتُ القِطارِ الذّاهِبِ إلى لَنْدن . إنَّهُ يوشِكُ أنْ يَتَحرَّكَ ، وَ القِطارُ الَّذي نَنْتَظِرُهُ لَمْ يَأتِ بَعْدُ .»

« إنَّ غُوين هِيَ الَّتي قادَتِ السَّيّارَةَ إلى هُنا .» ثُمَّ الْتفَتَ وَصاحَ بِها : « اِنْتَظِرينا يا غُوين .» وَلكِنَّ غُوين كانَتْ قَدْ غادَرَتِ السَّيّارَةَ وَبَدأَتْ تَسيرُ نَحْوَهُما .

قالَتْ بِشَيْءٍ مِنْ عَدَمِ الرِّضا : « أنا لَنْ أقْنَعَ بِمُجَرَّدِ الجُلوسِ هُناكَ يا أبي ، فَلَسْتُ سائِقَةَ سَيّارَتِكَ كَما تَعْلَمُ ! أُريدُ أنْ أُقابِلَ هؤُلاءِ النّاسَ أيْضًا . أهْلاً يا داڤيد ! كَيْفَ حالُكَ ؟»

قالَ مُورْغان : « بِخَيْرٍ ، وَشُكْرًا .» وَكانَ ثَمَّةَ أتوبيسٌ آخَرُ قَدْ تَوَقَّفَ ، فَأخَذَ يَنْظُرُ إلى رُكّابِهِ .

قالَ وُرد – تُوماس : « أ لَيْسَ مِنَ الأفْضَلِ أنْ نَدْخُلَ المَحطَّةَ ؟ نَحْنُ لا نُريدُ أنْ يَأتِيا دونَ أنْ نَراهُما .»

قالَ مُورْغان فَجْأَةً : « اُدْخُلْ أنْتَ . أنا مُضْطَرٌّ إلى الحَديثِ مَعَ أحَدِ الأشْخاصِ .» وَكانَ النّاسُ الَّذينَ نَزَلوا مِنَ الأتوبيسِ يَدْخُلونَ إلى المَحطَّةِ ، فَأسْرَعَ وَراءَهُمْ .

قالَتْ غُوين : « أ لا تَرى أنَّهُ كَما هُوَ لَمْ يَتَغَيَّرْ ؟ لَيْسَ في وُسْعِهِ أنْ يَتَعلَّمَ كَيْفَ يَكونُ مُهَذَّبًا ! يا لَهُ مِنْ رَجُلٍ ! لَقَدْ كانَتْ تِلْكَ الفَتاةُ هِيَ الآنِسَةَ لانْسِنْغ ، أ لَيْسَ كَذلِكَ ؟»

سَألَها وُرد – تُوماس : « مَنْ تَعْنينَ ؟ أنا لَمْ أرَها . هَيّا نَذْهَبْ إلى القِطارِ .»

اِخْتارَتْ هيلين لانْسِنْغ مَقْصورَةً خالِيَةً مِنَ الرُّكّابِ ، وَأدْخَلَتْ

أمْتِعَتها بِها ، ثُمَّ دَخلَتْ وَجلَستْ . وَبعْدَ فَتْرةٍ انْفتح البابُ بِعُنْفٍ ، وَدخَلَ مُورْغان قائِلاً : « أنْتِ لَمْ تُخْبِريني بِسفَرِكِ هذا ! إلى أيْنَ تَذْهَبينَ ؟ »

نَظَرَتْ إليْهِ وَقالَتْ : « إلى لَنْدَن . »

« لا يُمْكِنُكِ أنْ تَفْعَلي هذا . »

« ألا يُمْكِنُني ؟! لَقدِ ابْتَعْتُ تَذْكِرَةً . » و أرَتْهُ التَّذْكِرَةَ قائِلَةً : « لَقدِ اشْتَرَيْتُها اللَّيْلَةَ الماضِيَةَ . »

« لا تكوني سَخيفَةً ! إنَّكِ تَفْهَمينَني جَيِّداً . »

قالَتْ : « لا ، لا أفْهَمُكَ . »

قالَ : « لَيْسَ ثَمَّةَ ضَرورَةٌ لأنْ تَذْهَبي إلى لَنْدَن . لَقدْ تَغَيَّرَ كُلُّ شَيْءٍ ، فَقَدْ عُدْتُ إلى عَمَلي ، وَ يُمْكِنُكِ أنْ تعودي إلى عَمَلِكِ . »

قالَتْ : « هَلْ هذا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ ؟ أنا لا أُريدُ عَمَلي الآنَ ، وَسَأُسافِرُ على أيَّةِ حالٍ ، وَلَقَدْ أخْبَرْتُ الجَميعَ بِذلِكَ . »

قالَ : « وَلكِنْ لا يُمْكِنُ أنْ تَذْهَبي هكَذا . هَيّا ! إنَّ القِطارَ يوشِكُ أنْ يَتَحَرَّكَ ! انْزِلي ! يَجِبُ أنْ نَتَحَدَّثَ . »

جَلَستْ ساكِنَةً وَقالَتْ : « عَمَّ نَتَحَدَّثُ ؟ لَقَدِ اسْتَعَدْتَ وَظيفَتَكَ ، وَرَجَعَتْ إلَيْكَ الآنِسَةُ غُوين وُرد – تُوماس ، وَقَدْ تَكونُ في حاجَةٍ إلى سِكِرْتيرَةٍ ، وَلكِنَّكَ لَسْتَ في حاجَةٍ إلَيَّ . »

كانَ أحَدُ العُمّالِ يَسيرُ بِجوارِ القِطارِ وَيَقومُ بِإغْلاقِ كُلِّ الأبْوابِ، فَقالَ لَها مُورْغان بِانْفِعالٍ : « إنَّ القِطارَ يوشِكُ عَلى التَّحَرُّكِ ، وَأنْتِ مُخْطِئَةٌ ! أنا في حاجَةٍ إلَيْكِ ، لَقَدْ أحْسَسْتُ بِذلِكَ . مِنْ فَضْلِكِ انْزِلي وَإلا ... سَوْفَ أذْهَبُ مَعَكِ إلى لَنْدَن ! » وَبَدأ يَدْخُلُ المَقْصورَةَ.

قالَتْ : « لَقَدْ أصْبَحْتَ الآنَ مَجْنوناً ! حَسَنٌ ، سَوْفَ أبْقى . دَعْني أخْرِج الحَقائِبَ . »

قالَ : « أعْطينيها . » ثُمَّ أخَذَها ، وَخَرَجَتْ هيلين مِنَ القِطارِ وَوَقَفَتْ إلى جِوارِهِ .

سَألَتْهُ : « ماذا سَتَصْنَعُ الآنَ ؟ أ لَيْسَ مِنَ الواجِبِ أنْ تَذْهَبَ إلى العَمَلِ ؟ »

قالَ : « يُمْكِنُ لِلْعَمَلِ أنْ يَنْتَظِرَ . » ثُمَّ حَمَلَ الحَقائِبَ وَقالَ : « يُمْكِنُنا أنْ نَتَحَدَّثَ هُنا حَيْثُ المَكانُ خالٍ مِنَ المُسافِرينَ . » وَ وَضَعَ إحْدى الحَقائِبِ عَلى الأرْضِ ، ثُمَّ فَتَحَ بابَ غُرْفَةِ الانْتِظارِ فَدَخَلَتْها وَ هِيَ تَبْتَسِمُ .

كانَ وُرد – تُوماس وَ غُوين في الجانِبِ الآخرِ مِنَ المَحطَّةِ ، ووَصلَ القِطارُ وَسْطَ سَحابَةٍ مِنَ البُخارِ ، وَسأَلَ وُرد – تُوماس : « أيْنَ مُورْغان ؟ »

رَدَّتْ غُوين غاضِبَةً : « لا أعرِفُ يا أبي ، يَجِبُ أنْ تُؤَنِّبَهُ على اخْتِفائِهِ عَلى هذا النَّحْوِ ! »

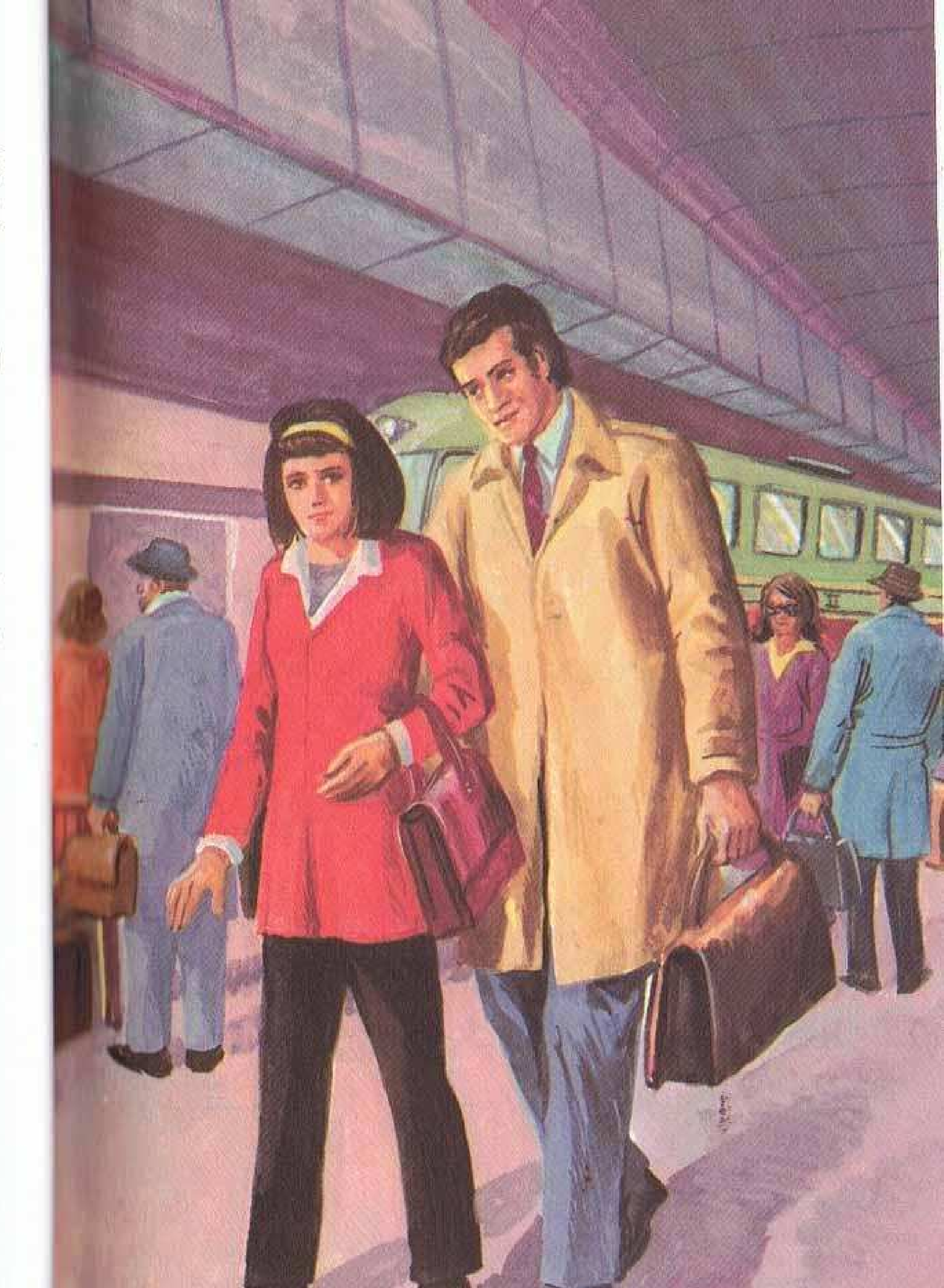
« لا بَأسَ . ها هُما ذانِ قَدْ حَضَرا . »

كانَ بريكْمان في حَوالى الخَمْسينَ مِنَ العُمْرِ ، قَصيرَ القامَةِ ذا شَعْرٍ أبْيَضَ ؛ أمّا كُروسُون فكانَ عَلى النَّقيضِ مِنْهُ ، فَقَدْ كانَ أقَلَّ مِنَ الثَّلاثينَ ، طَويلَ القامَةِ كَثيرَ الابْتِسام ، في غايَةِ الوَسامَةِ . وَتَصافَحَ الرِّجالُ الثَّلاثَةُ ، وَأخَذوا يَتَحادَثونَ .

قالَتْ غُوين بِابْتِهاج : « أبي ، لا تَنْسَ أنّي لَمْ أقابِلْهُما مِنْ قَبْلُ ! »

قالَ وُرد – تُوماس : « مُتَأسِّفٌ . السَّيِّدُ بريكْمان ، السَّيِّدُ كروسُون ، اِبْنَتي غُوين . »

صافَحَتْ غُوين السَّيِّدَ بريكْمان ، وَعِنْدَما صافَحَتِ السَّيِّدَ كُروسُون كانَتْ عَيْناها مُشْرِقَتَيْنِ ، وَابْتِسامَتُها عَذْبَةً ، وَقالَتْ لَهُ :



« لَقَدْ سَمِعْتُ عَنْكَ الْكَثيرَ .»

اِبْتَسَمَ لَها وَقالَ : « « أ حَقًّا تَقولينَ ؟ أَرْجو ألا تكوني قَدْ سَمِعْتِ عَنّي أَشْياءَ مُزْعِجَةً !»

« لا ، إطْلاقًا .» ثُمَّ تَرَكَتْ يَدَهُ وَسَأَلَتْهُ : « هَلْ سَتَمْكُثُ هُنا فَتْرَةً طَويلَةً ؟»

تَدَخَّلَ وُرد – تُوماس قائِلاً : « لَقَدْ نَسيتُ أَنْ أَخْبِرَكُما أَنَّني لَمْ أَحْجِزْ لَكُما في الفُنْدُقِ ، وَأَنَّكُما سَتُقيمانِ في مَنْزِلي ، هَلْ يَروقُكُما ذلِكَ ؟»

قالَ كَرُوسُون : « هذا جَميلٌ .» وَكانَ يَنْظُرُ إلى غُوين .

وافَقَ بريكْمان قائِلاً : « نَعَمْ ، سَوْفَ نَعودُ غَدًا مَساءً إذا أَمْكَنَنا ذلِكَ . هَلْ أَخْبَرَكَ مُورْغان بِانْشِغالِنا ؟ أَيْنَ هُوَ ؟»

قالَ وُرد – تُوماس : « إنَّهُ سَوْفَ يُقابِلُنا في المَشْروع . هَيّا بِنا نَذْهَبِ الآنَ ، وَيُمْكِنُكُما أَنْ تَتْرُكا الحَقائِبَ في السَّيّارَةِ .»

قالَ بريكْمان : « هذا حَسَنٌ . هَيّا بِنا .»

مَشى الرَّجُلانِ الكَبيرانِ أَوَّلاً ، وَتَبِعَتْهُما غُوين وَإلى جِوارِها

كُروسُون ، وَسارَ وَراءَهُمْ حَمّالٌ يَحْمِلُ الحَقائِبَ .

قالَتْ غُوين : « أرى أَنَّكَ رَجُلٌ مُهِمٌّ لِلْغايَةِ ، وَلَقَدْ أَخْبَرَني أَبي كَثيرًا عَنْكَ ، وَلكِنّي لَمْ أَكُنْ أَعْلَمُ أَنَّكَ صَغيرُ السِّنِّ إلى هذا الحَدِّ .»

قالَ كُروسُون : « أنا لَسْتُ صَغيرًا لِلْغايَةِ .»

قالَتْ غُوين : « أنا لا أَعْني هذا ، وَلكِنّي أَعْتَقِدُ أَنَّكَ لا بُدَّ أَنْ تَكونَ في غايَةِ الذَّكاءِ .»

قالَ كُروسُون وَقَدْ بَدا عَلَيْهِ السُّرورُ : « أَعْتَقِدُ أَنَّكِ تُبالِغينَ .»

كانَ وُرد – تُوماس يَتَحَدَّثُ إلى بريكْمان ، قال : « أ تَعْتَقِدُ أَنَّ الخُطَّةَ الَّتي وَضَعَها مُورْغان ، سَوْفَ تَأْتي بِفائِدَةٍ ؟»

نَظَرَ بريكْمان إلَيْهِ وَقالَ: « أنا موقِنٌ مِنْ ذلِكَ ، أ لَسْتَ مَعي ؟»

« لَمْ أَكُنْ في أَوَّلِ الأَمْرِ كَذلِكَ ، وَلكِنّي قَضَيْتُ يَوْمًا مَعَ مُورْغان ، وَرَأَيْتُ جُزْءًا مِنَ المَنْجَمِ القَديمِ ، وَأنا الآنَ أَكْثَرُ سَعادَةً .»

قالَ بريكْمان : « حَسَنٌ ، سَوْفَ نَرى . إنَّ لَدَيَّ يَوْمَيْنِ ، وَيُمْكِنُنا أَنْ نَرى كُلَّ شَيْءٍ بِعِنايَةٍ .»

وَ وَصلوا إلى السَّيَّارَةِ ، فَأَعْطَتْ غُوين مَفاتيحَها لأبيها وَقالَتْ مُبْتَسِمَةً : « ها هِيَ ذي المَفاتيحُ يا أبي ، لَقَدْ قُدْتُ السَّيَّارَةَ إلى هُنا ، وَالآنَ جاءَ دَوْرُكَ .»

قالَ لَها : « أَصْغي إِلَيَّ يا غُوين ...» وَلكِنَّها كانَتْ تَتَحَدَّثُ مَعَ كُروسُون مَرَّةً أُخْرى ، فَجَلَسَ في مَقْعَدِ القِيادَةِ ، وَجَلَسَ بريكْمان إلى جِوارِهِ ، أمّا غُوين فَقَدْ جَلَسَتْ مَعَ كُروسُون في المَقْعَدِ الخَلْفِيِّ مِنَ السَّيَّارَةِ ، وَكانَتْ تَتَحَدَّثُ بِسُرورٍ طَوالَ الطَّريقِ إلى المَشْروعِ .

وَبَعْدَ ثَمانِيَةِ أَشْهُرٍ كانَتِ الغُرْفَةُ الكُبْرى في المَشْروعِ مُزْدَحِمَةً ، وَكانَ اليَوْمُ دافِئًا ، وَنَوافِذُ الغُرْفَةِ مَفْتوحَةً ، وَكانَ الصَّيْفُ قَدْ حَلَّ بِالوادي وَتَمَّ إِنْجازُ المَشْروعِ بِنَجاحٍ ، وَقامَ بِافْتِتاحِهِ أَحَدُ الأَشْخاصِ المَرْموقينَ وَالَّذي أوفِدَ مِنْ لَنْدَن خِصّيصًا ، وَقَدْ أَلْقى خِطابَهُ وَمَضى ، كَما أُلْقِيَتْ خُطَبٌ أُخْرى ، وَكانَ كُلُّ الحاضِرينَ يَسْتَمْتِعونَ بِالحَفْلِ .

وَمَشى الوَزيرُ وَسْطَ الحَشْدِ مُتَّجِهًا نَحْوَ وُرد – تُوماس ، وَقالَ : « جيمْس ! أنا في غايَةِ السُّرورِ حَقًّا !» وَصافَحَ وُرد – تُوماس قائِلاً : « لَقَدْ قُمْتَ بِعَمَلٍ عَظيمٍ هُنا ، أَنْتَ وَ ثِرِسْتُون .» وَكانَ ثِرِسْتُون واقِفًا مَعَ وُرد – تُوماس ، فَصافَحَهُ الوَزيرُ كَذلِكَ وَقالَ : « إِنَّهُ لَعَمَلٌ

عَظيمٌ ! يُمْكِنُكُما أَنْ تَفْخَرا بِما أَنْجَزْتُما .»

قالَ وُرد – تُوماس : « أَشْكُرُكَ ، وَلكِنْ كانَ مَعي بَعْضُ الرِّجالِ الأَفاضِلِ ، فَهَلْ تُحِبُّ أَنْ تُقابِلَ بَعْضَهُمْ ؟ إِنَّ داقيد مُورْغان هُناكَ .»

اِبْتَسَمَ الوَزيرُ وَقالَ : « أَخْشى أَنْ لَيْسَ لَدَيَّ مَزيدٌ مِنَ الوَقْتِ ؛ إِذْ عَلَيَّ أَنْ أَعودَ سَريعًا إلى لَنْدَن ، وَلكِنْ قُلْ لَهُمْ جَميعًا أنا في غايَةِ السُّرورِ .» وَبَدَأَ يَمْشي وَلكِنَّهُ رَجَعَ قائِلاً : « جيمْس !»

« نَعَمْ يا سِيادَةَ الوَزيرِ .»

قالَ لَهُ الوَزيرُ بِصَوْتٍ هادِئٍ : « سَوْفَ تَسْمَعُ الخَبَرَ قَريبًا ، وَلكِنِّي أُريدُ أَنْ أُخْبِرَكَ بِهِ بِنَفْسي ؛ فَقَدْ حَصَلْتَ عَلى لَقَبِ « سير » .»

وَبَدَتِ السَّعادَةُ عَلى وَجْهِ وُرد – تُوماس وَقالَ : « أَشْكُرُكَ غايَةَ الشُّكْرِ !»

قالَ الوَزيرُ : « لا تَشْكُرْني . لَقَدِ اسْتَحْقَقْتَهُ بِعَمَلِكَ الجادِّ ، فَإِنَّكَ جَديرٌ بِهِ . طِبْتُمْ مَساءً .» وَمَشى بِسُرْعَةٍ وَسْطَ المُحْتَفينَ .

قالَ ثِرِسْتُون : « هذا خَبَرٌ رائِعٌ !»

قالَ وُرد – تُوماس : « شُكْرًا . عَلَيَّ أَنْ أُخْبِرَ غُوين ، أَيْنَ هِيَ ؟»

أجابَهُ ثِرِسْتُون قائِلاً : « هُناكَ فيما أظنُّ .»

« يُمْكِنُني أنْ أرى مُورْغان ، وَلكِنّي لا أراها ، وَلا أرى أليكْس كُروسُون ، هَيّا بِنا نَبْحَثْ عَنْهُما .»

سارا مَسافَةً قَصيرَةً ، وَلكِنْ أَوْقَفَهُما صَوْتٌ يَقولُ لَهُما : « السَّيِّدُ وُرد – تُوماس وَ السَّيِّدُ ثِرِسْتُون ! إنَّ الحَفْلَ في قِمَّةِ النَّجاح .» وَكانَ المُتَحَدِّثُ هُوَ فريزْبي .

قالَ وُرد – تُوماس : « أهْلاً ! كَيْفَ حالُكَ أيُّها المُسْتَشار جُونز ؟»

سَأَلَهُ فرِيزْبي : « هَلْ قَرَأْتَ مَقالي الَّذي نُشِرَ يَوْمَ السَّبْتِ ؟»

قالَ ثِرِسْتُون : « مَقالُ التريبيُون مِيل ؟ نَعَمْ .»

« وَما رَأْيُكَ فيهِ ؟»

« أعْجَبَني كَثيراً ، فَقَدْ نَشَرْتَ العَديدَ مِنَ الأخْبارِ الطَّيِّبَةِ عَنّا . هَلْ صَفَحْتَ عَنّا ؟!»

سَأَلَهُ فريزْبي : « تَقولُ صَفَحْتُ عَنْكُمْ ؟! نَحْنُ لَمْ نَغْضَبْ مِنْكُمْ قَطُّ ، هَلْ كُنّا غاضِبِينَ أيُّها المُسْتَشارُ ؟»

قالَ المُسْتَشارُ جُونز : « إنَّ الَّذي حَدَثَ هُوَ مُجَرَّدُ عَدَم فَهْم أحَدِنا

لِلآخَرِ ، وَيُمْكِنُنا الآنَ أنْ نَرى الوَضْعَ عَلى حَقيقَتِهِ . إنَّ المَشْروعَ سَيَكونُ مُفيداً لِلْوادي .»

سَأَلَهُ فرِيزْبي : « أ لَمْ أكُنْ أقولُ هذا دائِماً ؟» نَظَرَ الرِّجالُ الثَّلاثَةُ إلَيْهِ ، وَتَفادى فرِيزْبي نَظَراتِهِمْ بِأنْ نَظَرَ إلى مَجْموعَةِ المُحْتَفِينَ قائِلاً : « أحِبُّ أنْ أنْظُرَ إلى رِجالِكُمْ وَرِجالِ المَدينَةِ وَهُمْ يَتَحَدَّثُونَ مَعاً ، وَقَدْ سادَتْ بَيْنَهُمْ روحُ المَوَدَّةِ والصَّداقَةِ .»

وَاسْتَدارَ ثِرِسْتُون لِيُخْفِيَ ابْتِسامَتَهُ ، وَتَبادَلَ وُرد – تُوماس وَ ثِرِسْتُون النَّظَراتِ ، فَرَأى مُورْغان وَأوْمَأَ إلَيْهِ ، ثُمَّ الْتَفَتَ إلى فرِيزْبي .

وَكانَ مُورْغان وَ هِيلِين لانسْنغ يَتَحَدَّثانِ إلى أوِين وَ زَوْجَتِهِ .

كانَ أوِين يَقولُ : « كُنْتُ مَسْروراً بِالعَمَلِ في المَشْروع ، وَعِنْدَما انْتَهى قُلْتُ لِجُون إنَّ عَلَيَّ أنْ أبْحَثَ عَنْ وَظيفَةٍ أُخْرى ، وَلكِنِ اتَّضَحَ أنَّ الأمْرَ لَيْسَ عَلى هذا النَّحْوِ ، فَقَدْ قيلَ لي إنَّ بِوُسْعي أنْ أسْتَمِرَّ في العَمَلِ هُنا .»

قالَتْ جُون : « نَعَمْ ، لَمْ نَعُدْ مُضْطَرّينَ لِتَرْكِ العَمَلِ هُنا ، وَهذا أمْرٌ يُسْعِدُني .» وَالْتَفَتَتْ تُوَجِّهُ كَلامَها إلى هِيلين : « وَأنْتِ هَلْ سَتَبْقَيْنَ في تريبيُون أيْضاً ؟ سَمِعْتُ أنَّكِ سَوْفَ تَتَزَوَّجِينَ قَريباً ،

أ لَيْسَ كَذلِكَ ؟»

قالَتْ هيلين : « إنَّ عَمَلَ داڤيد هُنا ، وَلِذلِكَ سَوْفَ نَبْقى .»

سَأَلَها أوين : « إذاً فَجَوُّ بَلَدِنا لا يُضايِقُكِ ؟»

نَظَرَتْ هيلين إلى الشَّمْسِ السّاطِعَةِ ، وَابْتَسَمَتْ ثُمَّ قالَتْ : « لا ، لَيْسَ اليَوْمَ عَلى الأَقَلِّ .»

سَأَلَهُ مورْغان : « كَيْفَ حالُ ساقِكَ يا غلين ؟»

قالَ أوين : « بِخَيْرٍ . إنَّني نَسيتُ تِلْكَ الحادِثَةَ تَقْريباً .»

قالَتْ جُون : « وَلكِنَّها كانَتْ مُثيرَةً لِلْقَلَقِ في حينِها .»

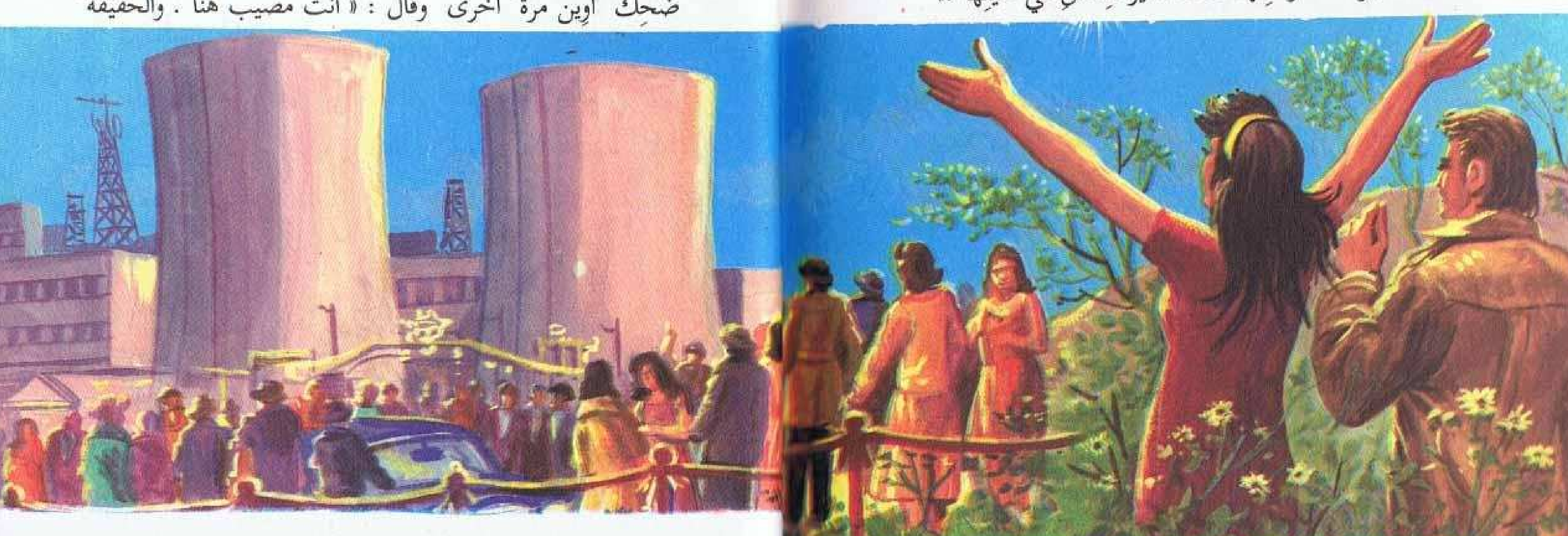
اِبْتَسَمَ مُورْغان وَقالَ : « ها قَدِ انْتَهى كُلُّ شَيْءٍ ، وَتَمَّ المَشْروعُ في مَوْعِدِهِ تَقْريباً . لَقَدْ قُمْنا بِعَمَلٍ رائعٍ ، أ لَيْسَ كَذلِكَ ؟»

ضَحِكَ أوين وَقالَ : « قُمْنا ؟! ماذا تَعْني ؟ إنَّ الأَوْلادَ وَأَنا هُمُ الَّذينَ قاموا بِكُلِّ العَمَلِ ، أَمّا أَنْتَ فَلَمْ تَقُمْ إلا بِمُجَرَّدِ الجُلوسِ في مَكْتَبِكَ .»

قالَتْ جُون : « غلين ، لا تَكُنْ فَظّاً !»

قالَ مُورْغان : « كُلٌّ مِنّا يَفْهَمُ الآخَرَ . وَعَلى أَيَّةِ حالٍ أنا لَمْ أَجْلِسْ في مَكْتَبي ؛ مَنْ إذاً الَّذي وَجَدَ المَنْجَمَ ؟»

ضَحِكَ أوين مَرَّةً أُخْرى وَقالَ : « أَنْتَ مُصيبٌ هُنا . وَالحَقيقَةُ



أنّنا جميعاً مَدينونَ لكَ بِالشُّكرِ .» وَأشارَ بِيَدِهِ إلى جميع المُحْتَفين وَ أرْدَفَ : « وَحَتّى فريزبي ، فَإنَّهُ مدينٌ لكَ . إنّهُ لايزالُ يُقاطِعُني كَما تَعْلَمُ .»

أمْسَكَتْ جُون بِذِراعِ أوِين وَقالَتْ : « إنَّ النّاسَ قَدْ بَدَأوا يَنْصَرِفونَ ، وَمِنَ الأفْضَلِ أنْ نَذْهَبَ نَحْنُ كَذلِكَ ، فَأطْفالُنا يَنْتَظِرونَنا .»

وَعِنْدَما ذَهَبا اتَّجَهَ مُورْغان إلى هِيلين وَقالَ : « إنَّ المكانَ هُنا صاخِبٌ ، فَهَيّا بِنا نَذْهَبْ لِلْهَواءِ الطَّلْقِ .»

قالَتْ : « يَسُرُّني أنَّكَ قُلْتَ هذا ، فَقَدْ كُنْتُ أوشِكُ أنْ أقولَ الشَّيْءَ نَفْسَهُ .»

وَتَرَكا الحَفْلَ وَذَهَبا إلى عَرَبَةِ مُورْغان ، الّذي قامَ بِقِيادَتِها إلى نِهايَةِ الطَّريقِ ، ثُمَّ خَرَجا وَطَفِقا يَصْعَدانِ التَّلَّ . لَقَدْ كانَ في وُسْعِهِما أنْ يُشاهِدا المَدينَةَ أسْفَلَ مِنْهُمْ ، وَكانَتِ الطُّيورُ تُغَرِّدُ حَوْلَهُما في الهَواءِ الطَّلْقِ .

سَألَها مُورْغان : « هَلْ لَدَيْكِ مانِعٌ ؟»

قالَتْ : « فيمَ ؟»

« في أنْ تَعيشي هُنا في تريورْن .»

اِبْتَسَمَتْ لَهُ وَقالَتْ : « سَوْفَ تَكونُ هُنا ، أ لَيْسَ كَذلِكَ ؟»

اِبْتَسَمَ وَقالَ : « بَلى ، هذا هُوَ الشَّيْءُ المُهِمُّ بِالنِّسْبَةِ لَنا ، أ لَيْسَ كَذلِكَ ؟»

كانَتِ التِّلالُ جاثِمَةً وَراءَ سُطوحِ المَنازِلِ وَدُخانِ المَدينَةِ ، وَكانَتْ ألْوانُ التِّلالِ القَريبَةِ تَبْدو بُنِّيَّةً وَخَضْراءَ ، أمّا البَعيدَةُ فَكانَتْ تَبْدو زَرْقاءَ .

قالَتْ : « عَلى أيَّةِ حالٍ أنا أحِبُّ الرّيفَ ، أحِبُّهُ كَثيراً الآنَ ، إنَّهُ يوحي بِالأمانِ .»

وافَقَها قائِلاً : « نَعَمْ ، إنَّ الأمانَ يَسودُ كُلَّ شَيْءٍ اليَوْمَ .»

وَ وَقَفا هُناكَ مَعاً مُدَّةً طَويلَةً يَنْظُرانِ إلى التِّلالِ الهادِئَةِ .



الروايات المشهورة

١ - جين إير
٢ - فرانكنشتاين
٣ - مونفليت
٤ - دراكولا
٥ - لورنا دون
٦ - دكتور جيكل ومستر هايد
٧ - شي الملكة الأسطورة
٨ - كونت مونت كريستو
٩ - الرجل الخفي
١٠- الزمن العصيب
١١- الزنبقة السوداء
١٢- الأمير و الفقير
١٣- سايلاس مارنر
١٤- الوادي الغاضب



مكتبة لبنان
ساحة رياض الصلح - بيروت

رقم الكمبيوتر 01 C 198112